

الدكتور / محمد عمارة

شخصيات

لها

تاريخ

٤٥ شخصية

دار السالار

نطاعة والنشر والتوزيع والترجمة

شَخْصِيَّاتٌ لِهَا ذِيَّخٌ

كتاب ح حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للإشارة

دار الأسكندرية للطباعة والتوزيع والتربية
لصاحبها

عبد الغفار محمود البكار

الطبعة الأولى

دار الأسكندرية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

دار السalam

طهارة والنشر والتوزيع والتربية
٢٠٠٨

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الادارة: القاهرة: ١٩ - شارع عمر العظيم مروي لشارع عباس العقاد عنفت مكتب مصر للطيران
من مدينة القاهرة وأمام مسجد الشهيد صابر الشهريسي - مدينة مصر

هاتف: ٢٣٨١٦٧٨١ - ٢٣٧٢٦٥٧٦ - ٢٣٧٢٦٥٧٨ - ٢٣٧٢٦٥٧٩ - ٢٣٧٢٦٥٧٥ - ٢٣٧٢٦٥٧٤ - ٢٣٧٢٦٥٧٣

اللوكية: قرط الأزهر: ١٢٠ - شارع الأزهر العربي - هاتف: ٢٣٦٩٣٢٨٢ - ٢٣٦٩٣٢٨٣ - ٢٣٦٩٣٢٨٤

النكبة: قرط مدينة مصر: ١١ شارع الحسن بن علي حنفية من شارع علي ابن ابي طالب شارع
مصطفى النحاس - مدينة مصر - هاتف: ٢٣٦٩١٢ - ٢٣٦٩١٣ - ٢٣٦٩١٤

اللوكية: قرط الإسكندرية: ٢٢٧ - شارع الإسكندر الأكبر - الشاطئ بمبور حمبة العبات للشئون
الفنية - مكتب: ٢٣٦٩٢٠٠ - ٢٣٦٩٢٠١ - ٢٣٦٩٢٠٢ - ٢٣٦٩٢٠٣

بريميا: القاهرة: مص. ب. ١٦٦ الفورة - البريد: ١٦٦٣٩

البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com

موقعنا على الانترنت: www.dar-alsalam.com

تأسست قبل عام ١٩٧٣ وتحت

عنوان: شارع ناصر العزاب لخلافة

أوامر ملكية: ١١١٩ - ٢٠٠٠

١٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠

٢٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠

٢٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠

شَخْصِيَّاتُ الْهَانَارِيج

تألِيف

دُكُورُ مُحَمَّد عَمَّارَة

خَارِجُونَ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

عندما انقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان تعداد الأمة الإسلامية ١٢٤٠٠٠ - هم الذين مثلوا ويمثلون الجيل الذي ثبتت له « صحابة » و « معاصرة » للرسول وعصر البعثة والتأسيس .

وعندما أرخ المؤرخون لأعلام الصحابة والصحابيات - أي الذين كانت لهم إسهامات متميزة ، ومشاركات بارزة في الحياة العامة - الدينية .. الفكرية .. والسياسية .. والأدبية .. والعسكرية .. إلخ - بلغ تعداد هؤلاء الأعلام نحو الثمانية آلاف .. أي أن الإسلام ، قد استطاع في سنوات قليلة ، أن يفجر في هذه الأرض المجاهلة المجدبة الطاقات والملكات التي جعلت نحو ١٦٪ من تعداد الأمة يصنفون في عدد « الأعلام » ..

ثم توالي ، بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة ، اندیاح دوائر هذه الطاقات التي فجرها الإسلام في مختلف ميادين الإبداع ، الشرعي منه والمدني ، النظري منه والعملي ، حتى لقد أبدعت الثقافة الإسلامية فنًا متميزًا في التأليف التاريخية ، هو فن « الطبقات » ، الذي يورخ لأجيال وطبقات وسلسل المفسرين والمخدين والأصوليين والفقهاء والحكماء والشعراء والأدباء والنحاة والبلغيين والمؤرخين والرياضيين والفيزيائين والفلكيين

والأطباء والمتجمين .. وغيرهم وغيرهم من الأعلام في مختلف فنون وعلوم الحضارة الإسلامية .. وهو فن لا يمكن كتابة تاريخ الإسلام بدون النظر فيه ؛ لأنه - مع فن « الخطط » ... الذي يُؤرخ للأمكنة والعماير والحرف والصناعات - بمثابة « ديوان الأمة » ، وإنجازات الحضارة .. بينما لم يتجاوز تاريخ « الدولة » و « السلطان » ، الشريحة الأقل وزناً وتأثيراً في حقيقة ذلك التاريخ ..

« فأعلام الأمة » .. وليس « سلاطين الدولة » هم المرأة الأكثر تمثيلاً لتاريخ الأمة وإنجازاتها الحضارية عبر المسيرة التي بدأت بظهور الإسلام ..

والذين يقارنون ذلك الغنى والثراء ، الذي فجره الإسلام ، في محيط بدواوة الجاهلية ، طبقات وأجيالاً من أعلام العلماء في مختلف ميادين الإبداع ، بذلك الفقر المدقع والموت التام الذي أحدهته النصرانية في أوربا ، عندما هيمنت في مناخ سبق وازدهرت فيه الحضارة الإغريقية والرومانية .. يدرك أبعاد الحقيقة التي تؤكد تميز موقف كل من الإسلام والنصرانية إزاء العلم والعلماء والأعلام ..

فمنذ أن انتشرت المسيحية في الدولة الرومانية - على عهد قسطنطين الكبير [٢٧٤ - ٣٧٧ م] - وحتى القرن السادس عشر الميلادي - أي لأكثر من ثلاثة عشر قرناً - لم تنجُ أوربا النصرانية عالماً من العلماء !! .. ولم تبدأ أوربا مسيرة

الظلمة على العلم الإسلامي - في ظل مقاومة عاتية من الكنيسة واللاهوت - إلا في النصف الثاني من القرن السادس عشر .. فقبل سنة ١٥٤٣ م لم يكن لها أي إسهام في الطب أو العلوم الطبيعية أو الرياضيات أو الفلك .. وقبل سنة ١٥٣٨ م لم يكن لها أي إنجاز في الفيزياء أو الكيمياء أو العلوم التقنية .. بل إن كتاب « كوبيرنيكوس » [١٤٧٣ - ١٥٤٣ م] عن دوران الفلك ، الذي ألفه سنة ١٥٣٠ م قد ظل محظماً - من قبل الكنيسة - ولم يأخذ طريقة إلى التوزيع إلا في سنة ١٧٥٨ م ... أي بعد انتصار فلسفة التنوير الوضعي العلماني على اللاهوت الكنسي ، وحلول ثالوث هذا التنوير - « العقل » و « العلم » و « الفلسفة » محل ثالوث النصرانية الأوروبية : « الله » و « الكنيسة » و « اللاهوت » ! ..

ومنذ ذلك التاريخ ، تفجرت ميادين الإبداع الحضاري الأوروبي بطبقات وسلسل أعلام العلماء ، لكن بعد أن خلعت أوربا العلمانية من على « رأسها » غلالة وأغلال الدين .. فال الأوروبيون لم يتمدنوا إلا عندما « تحرروا » من لاهوت النصرانية وكنيستها .. على حين كان التقىض في عالم الإسلام ، فالإسلام هو الذي فجر بناء الثقافة والمدنية والحضارة والإبداع في مختلف ميادين العلوم والفنون .. ومبدأ الحياة الإسلامية بأجيال وسلسل وطبقات أعلام العلماء في كل هذه الميادين .. بل لقد افترن تراجع الإبداع الإسلامي في هذه

الميادين ، وندرة أسماء الأعلام المبدعين فيها بتراجع حاكمة
وتأثير الروح الإسلامية عن هذه الميادين ..

لذلك .. كان من أكبر الأخطاء في كتابة التاريخ
الإسلامي ، الوقوف عند تاريخ « الدولة » و « السلطان » ..
واهتمال تاريخ « الأمة » ، الذي تجسد في طبقات أعلام
العلماء .. فحضارتنا ، التي فجرها الإسلام ، وصبغها بصبغته ،
قد أبعدتها الأمة ، وصنعتها العلماء ، الذين عاشوا في أحضان
الأمة ، ومؤلت الأمة صناعتتها تمويلاً أهلياً بواسطة الأوقاف ..
بل إن جميع هذه الإيجازات قد تمت في ظل انحراف « الدولة »
و « السلطان » عن منهاج « العدل » و « الشورى » ، الذي جاء
به الإسلام ! ..

ولخطر هذه الحقيقة من حقائق الوعي الحقيقي بتاريخ الإسلام
وأمهه وحضارته ، كان اهتمامي - منذ السنوات الأولى
لمشروعي الفكري - بالكتابة عن أعلام التجدد والتتجدد في
حضارة الإسلام .. كتبت في ذلك الكتب العديدة .. والفصوص
التي تناولت حياة وإبداعات العديد من هؤلاء الأعلام ..

* * *

ومواصلة لهذه المسيرة ، أقدم إلى الباحثين والقراء هذه
الدراسات - المتفاوتة الحجم - عن حياة وإنجازات خمس
وأربعين علماً من أعلام التجدد والتجدد في تاريخ الإسلام -
من القرن الهجري الأول وحتى العصر الذي نعيش فيه - ..

والجامع بين هذه الدراسات هو الإبداع في ميادين التجديد والاجتهاد .. في مختلف مدارس الفكر والسياسة .. ما يرضاه البعض مما وما لا يرضاه .. لأن ما يرضاه قوم هو ما لا يرضاه آخرون ! .. ففي صفحات هذا الكتاب بناءً من الفكر المجدد ، فجرتها عقريات إسلامية ، من خلال حياة وفكرة هؤلاء الأعلام ، الذين أزدانت بهم ، ولا تزال حضارة الإسلام .
والله نسأل أن ينفع به .. وأن يجعله حافزاً للعقل المسلم المعاصر على المزيد من الإبداع والاجتهاد والتجدد .. إنه ~~رسالة~~
خير مسئول وأكرم مجيب ..

دُكْتُور رَحْمَةِ عَمَّارَة

* * *

(١) نافع بن الأزرق

[٦٨٥ هـ = ٦٥ م]

هو أبو راشد ، نافع بن الأزرق بن قيس الخنفي ، البكري الرايلي ، الحروري [٦٨٥ هـ - ٦٥ م] .. زعيم فرقه الأزارقة - التي نسبت إليه - من الخوارج .. ويسمى الحروري كواحد من الخوارج الذين تبلورت فرقتهم ، على عهد علي بن أبي طالب [٦٦١ هـ - ٤٠ ق] في قرية « حرورة » - من ضواحي الكوفة - فسموا لذلك بالحرورية ، نسبة إلى « حرورة » ! ..

وكان نافع بن الأزرق من أهل البصرة ، وأحد فقهائها .. بدأ حياته العلمية بصحبة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وعندما بدأت الثورة على عثمان بن عفان [٤٧ ق . هـ - ٣٥ هـ = ٦٥٦ - ٥٧٧ م] أواخر عهده ، كان نافع وأصحابه من أنصار هذه الثورة ، التي استهدفت عزل الخليفة الراشد الثالث ، لما رأوه من ضعفه عن كبح جماح قرابته ، منبني أمية ، الذين استأثروا بالحكم من دون الناس .. ولقد عبر الأزارقة عن رأيهم في عثمان بقولهم : « إنه آثر القربي ، ورفع الدرة ، ووضع السوط ! ومزق الكتاب ، وضرب منكر الجور ، وأوى طريد رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وضرب السابعين بالفضل وحرمهن ، وأخذ الفيء فقسمه في فشاق قريش ومجان العرب ! ... » .

وبعد انقضاء عهد عثمان بن عفان ، باستشهاده ، كان نافع ابن الأزرق وأنصاره من أعون علي بن أبي طالب ، ناصروه وقاتلوا معه ضد جميع خصومه ومعارضيه : طلحة بن عبد الله [٢٨ ق. هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٦ م] والزبير بن العوام [٢٨ ق. هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٦ م] .. ثم معاوية بن أبي سفيان [٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ = ٦٨٠ م] .

وعندما ظهرت نتيجة « التحكيم » بين علي ومعاوية في « صفين » .. كان نافع بن الأزرق من زعماء الخوارج الذين رفضوا هذه النتيجة ، ورفعوا شعار « لا حكم إلا لله » ، فسموا « بالمحكمة » .. وبالحرورية ، لاجتماعهم في حرراء .. وبالخوارج - لخروجهم على الدين ومرورهم منه - في رأي خصومهم - وخروجهم إلى الدين ، ضد أئمة الجور - كما يقولون هم - ! ..

وكان نافع بن الأزرق - ككل الخوارج - يرى الإمامة والخلافة فيمن يصلح لها وتتوافق فيه شروطها ... رافضين احتكار قريش لها واستئثارها بها دون المسلمين .. كما كانوا يرون - على عكس الشيعة - أن طريق الخلافة والإماماة هو الشوري والاختيار والبيعة من الأمة للإمام .. وليس النص والتعيين والوراثة ..

وفي تقسيم التاريخ السياسي لدولة الخلافة الراشدة .. أعملوا

ولاءهم لعهدي أبي بكر وعمر .. وتولوا عثمان بن عفان في
السنوات التي سبقت سيطرة قرائبه على شئون الخلافة ، وأعلنوا
براءتهم منه في هذه السنوات .. كما تولوا علي بن أبي طالب
حتى وقعة « التحكيم » ، ثم تبرأوا منه بعد التحكيم ..

أما تقسيمهم للانقلاب الأموي ولدولةبني أمية : فهو الرفض
لهم والبراءة منهم ، باعتبارهم مرتكبين للذنوب الكبائر
ومصررين عليها ! ..

وعندما احتمم الخدل بين فقهاء الأمة حول حكم مرتكب
الكبيرة .. في حقبة اشتداد الصراع عند بنى أمية .. وقال قوم : إنه
منافق .. وقال آخرون : إنه مؤمن .. وقال فريق ثالث : إنه
فاسق .. كان رأي نافع بن الأزرق - الذي كان يقود يومئذ أكبر
ثورات الخارج ضد الدولة الأموية - إن مرتكب الكبيرة -
والمعنى والمزاد بالدرجة الأولى ، بتوأمهم وعمالهم وأنصارهم -
كافر ومخلد في النار .. فكان ذلك بداية فكر التكفير لم ينقطع
بالشهدتين في تاريخ الفكر الإسلامي ! .. ولقد تراوح التكفير بين
« كفر الشرك » وبين « كفر النعمة » أي الجحود لأنعم الله ! ..
كذلك ، انحاز الخارج إلى القول بحرمة الإنسان واحتياره ،
ورفضوا « الجبر » الذي كان بتوأمهم يبررون به ما أحدثوه في
فلسفة الخلافة وعلاقة الحاكم بالحكم من تغيرات ! ..

وشددوا على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وانطلقا منها إلى نظرية في « الثورة » وتجريد السيف ضد ولاة

الجور والفسق والضعف يمكن تسميتها بـ « نظرية الثورة المستمرة » ! .. فلقد « أوجبوا » الثورة والخروج إذا بلغ عدد التائرين أربعين رجلاً .. وسموا هذه الحد « حد الشراء » ، أي الذين اشتروا الجنة عندما باعوا أرواحهم .. فعليهم « واجب الخروج » - [الثورة] - « حتى يموتون أو يظهر دين الله ، ويحمد الكفر والجور ! .. ٠ ٠ ٠

أما إذا كان عدد الثوار فوق الثلاثة ، ودون الأربعين .. فإنهم يكونون على « حد الدفاع » ، يقفون من أعدائهم موقف الدفاع ، لا موقف الخروج والهجوم ! .. فإذا كان العدد دون الثلاثة جاز لهم القعود ، وكأنوا على « مسلك الكتمان » ... فإذا قامت دولتهم ، وظهر أمرهم ، فهم حينئذ ، على « حد الظهور » ! .. أي أن الموقف من الثورة والخروج قد تراوح بين : « مسلك الكتمان » .. و « حد الدفاع » .. و « حد الشراء » .. و « حد الظهور » ! ..

٠ ٠ ٠

وعندما ثار عبد الله بن الزبير [١ - ٢ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م] بمكة ، على عهد يزيد بن معاوية [٢٥ - ٦٤ هـ = ٦٨٣ - ٦٤٥ م] دعا نافع بن الأزرق ثوار الخوارج في البصرة إلى الخروج إلى مكة لمناصرة ابن الزبير ضدبني أمية ، وللدفاع عن بيت الله الحرام ضد حصار الجيش الأموي .. وقال لأصحابه : « إن الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفرض عليكم فيه الجهاد ،

وأجمع عليكم باليان ، وقد جرد فيكم السيف أهل الضلم وأولوا العداء والغثيم ، وهذا من قد ثار بمكة ، فاخرجوها بما نأت البيت ونلق هذا الرجل ، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا ... » .

فخرجوا بقيادةه إلى مكة ، لإبان اشتداد القتال بين ابن الزبير وجيش يزيد بن معاوية ، فقاتلوا معه ضد جيش يزيد .. فلما توفي يزيد ، ورجع جيشه عن حصار مكة .. أراد نافع بن الأزرق وأصحابه محاورة ابن الزبير لمعرفة رأيه في عثمان بن عفان ، .. وهل هو على مثل رأيهم فيه ، .. أم هو من الخالفين .. ولقد انتهت الماظرة بينهما بإعلان ابن الزبير خلافه لهم في أمر عثمان .. فرفضوا نصرته .. وغادروا مكة عائدين إلى البصرة مرة أخرى ..

وفي البصرة تواصل الصراع بين المخوارج ، بقودهم نافع بن الأزرق ، وبين ولاة بني أمية .. حتى اضطررت البصرة بالفتنة التي حدثت بين بعض قبائلها .. فانتهزها المخوارج وثاروا كبرى ثورانهم ، التي بدأت بتحطيم أبواب السجون ، والخروج إلى الأهواز .. وفي الأهواز .. ومن حول البصرة .. دارت موجات من القتال الضاري ، الذي استمر لعدة شهور .. وفيه قتل العديد من الولاة والقواد الذين تابعوا على قيادة جيش بني أمية .. وقتل كذلك نافع بن الأزرق في المعركة التي دارت في

«دولاب» على مقربة من الأهواز ..

ولقد كانت ثورة الأزارقة هذه أعظم ثورات الخارج ضد دولة بني أمية .. حتى لقد كانت التزيف الذي أصاب تلك الدولة بالإعياء .. فأجهزت عليها ثورة الجند الخراسانية .. وقطف ثمارها بنو العباس ! ^(١) ..

(١) [تاريخ الطبراني] - ج٥ - طبعة دار المعارف - القاهرة - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - .. [تبارات الفكر الإسلامي] - للذكور محمد عسارة - طبعة بيروت سنة ١٩٨٥ م .

(٢) نجدة بن عامر

[٣٦ - ٧٢ هـ = ٦٩١ م]

هو نجدة بن عامر الحنفي [٣٦ - ٧٢ هـ = ٦٥٦ م] من بني حنفة ، من بكر بن وائل .. يلقب بالحروري - أبي الخارجى - نسبة إلى قرية حروراء - على بعد ميلين من الكوفة - وهي التي اجتمع فيها أوائل الخارج على عهد علي بن أبي طالب [٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ = ٦٦١ م] .. عقب «التحكيم» ..

وكان نجدة بن عامر ، في البداية ، واحداً من قادة الخارج الأزرارقة ، قبل القسامتهم .. ولقد شارك في ثوراتهم التي سبقت على هذا الانقسام الذي حدث سنة ٦٤ هـ = سنة ٦٨٤ م ..

وعندما ثار عبد الله بن الزبير [١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ م] بمكة ضد يزيد بن معاوية [٢٥ - ٦٤ هـ = ٦٩٢ م] خرج نجدة بن عامر ، مع الخارج ، من البصرة إلى مكة ، لتصير ثورة ابن الزبير ، وللدفاع عن بيت الله الحرام ضد حصار جيش يزيد .. وهناك قاتلوا مع جيش ابن الزبير ..

فتما توفي يزيد بن معاوية ، ورجع جيشه المحاصر لمكة إلى الشام ، دارت محاورات ومناظرات بين الخارج وبين ابن الزبير حول موقفه من عثمان بن عفان [٤٧ ق. هـ - ٣٥ هـ = ٥٧٧ - ٦٥٦ م] ومن الأحداث التي تقمصها عليه الناس وثاروا عليه وقتلوه بسببها .. وكان الخارج يراون من عثمان بسبب

تلك الأحداث .. وكان ابن الزبير يخالفهم في ذلك ويتولاه .. فلما وضح الخلاف بينهما في هذه القضية ، وكان الخطر قد زال عن بيت الله الحرام ، انصرف الخوارج عن نصرة ابن الزبير ، وقلوا راجعين إلى البصرة ..

وفي البصرة توزعت قواتهم وقيادتهم .. فبقى نافع بن الأزرق [٦٥ هـ = ٦٨٥ م] مع من بقى معه - وهم الذين سموا بعد ذلك بالخوارج الأزارقة - يقروا في البصرة .. وقامت ثوراتهم فيها وفيما حولها من الأقاليم والأمصار ..

أما نجمة بن عامر ، فلقد خرج مع فريق آخر من الخوارج - فيهم من قادتهم أبو طالوت - من بني زمان بن مالك بن صعب ابن علي بن مالك بن بكر بن وائل .. وأبو فديك ، عبد الله ابن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب [٧٣ هـ = ٦٩٢ م] .. وعطاءة بن الأسود البشكري [٧٥ هـ = ٦٩٥ م] .. فانطلقوا إلى أرض اليمامة ، فأعلنوا الثورة هناك ..

ولقد أصبح نجمة بن عامر أمير المؤمنين في دولة الخوارج التي أقاموها باليمامة ، والتي ضمت البحرين ، وعمان ، وهجر ، وبعض من أرض العرض .. وأصبح لهذه الدولة جيش وولاة وعمال .. وظل نجمة بن عامر أميراً للمؤمنين فيها قرابة العشر سنوات ! ..

واستطاع جيش هذه الدولة الخارجية أن يتتصر في العديد من المعارك ضد جيوش مصعب بن الزبير [٢٦ - ٧١ هـ =

٦٤٧ - ٦٩٠ م [الذي تولى أمر العراق من قبل أخيه - ثائر مكّة - عبد الله بن الزبير .. وضد جيوش منبني أمية بعد وفاة نحدة .. ووفاة ابن الزبير ! ..

• • •

وكان نحدة بن عامر وفرقة الخوارج النجدات - التي كانت على رأيه والتي نسبت إليه - يرون رأي عامة الخوارج في المبادئ الأساسية التي ميزتهم عن الفرق الإسلامية الأخرى ..

● فالخلافة والإمامية فيمن توفرت شروطهما فيه ، فرشياً كان أم غير فرشي ، عريضاً كان أم عجمياً ..

● والثورة فريضة ضد أئمة الجور والضعف والفساد .. توجّبها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

● وهم يتولون أياً يكر وعمر .. وعثمان قبل الأحداث التي أحدهما في السنوات الأخيرة لحكمه .. ويرأون منه فيها ويسبّها .. ويقولون علياً فيما سبق التحكيم .. ويرأون منه بسببه وفيما بعده ..

● وطريق الخلافة هو الشوري والاختيار والبيعة من ممثلي الأمة ..

● والإنسان حر مختار .. والله متّه عن مماثلة الخلوقات والمحذّفات ..

ولم يكن نحدة من يكفر مرتكب الكبيرة « كفر شرك » -

كما هو رأي نافع بن الأزرق - وإنما كان يراه « كفر فحمة » .. أي أن ارتكاب الكبيرة هو نوع من الكفر والمحظى بأنعم الله .. وليس شركاً في التوحيد لله .. كذلك ، فلمن يكن الصحابة يكفرون الخارج .. بل لقد روى التاريخ أن نفراً من الصحابة رسول الله عليه السلام ، فيهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يصلّي خلف نجدية بن عامر ! ..

ولقد تميز الخارجان التجدات - واما مفهم وفقهم نجدية بن عامر - عن فرق إسلامية أخرى خارجية وغير خارجية - ببعض الآراء .. فعند هم ، مثلاً ، أن الدين أمران : أحدهما : معرفة الله ومعرفة رسوله عليه السلام ، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم ..

وثانيهما : الإقرار بما جاء من عند الله جملة ..
وما عدا ذلك من تفاصيل الحلال والحرام والشرع ،
فالحاهل بها معدور ؛ لأنها ليست من الدين ! ..

على أن أهم ما تميزت به التجدات ، في الفكر السياسي : هو القول بأن « الخلافة - الإمامة - السلطة - الدولة » هي واجهة من طريق « العقل » ، لا من طريق « الشرع » .. لأن وجوبها من طريق الشرع يجعل إقامتها واجباً دائمًا وأبداً .. أما وجوبها من طريق العقل : فإنه يربط إقامتها بقيام الضرورة وال الحاجة إليها ، وهي إقامة العدل والتناسف بين الناس .. فإذا قام العدل

وامتنع الظلم ، وتناصف الناس دون حاجة لوجود السلطة والدولة ، فلا وجوب لإقامة هذه السلطة والدولة ! ..

ولقد استدروا في رأيهم هذا إلى أسباب ، منها :

أ - أنه ليس هناك نص على وجوب الإمامة ، لا من الكتاب ولا من السنة .. أي ليس هناك نص متواتر يعلو مقامه مقام أحاديث الأحاداد ، التي هي خلنية الثبوت ، ومن ثم لا تكون مصدراً للعقائد ! ..

ب - وأنه ليس هناك إجماع على وجوب الإمامة شرعاً .. فالإجماع لابد وأن يستند إلى نص شرعي - وهذا النص غير موجود - حتى يتأسس عليه الإجماع ! .. ثم إن الإجماع - برأيهم - لم يحدث في السابقة الأولى للخلافة ، على عهد أبي بكر .. ومن الأئمة من ينكر إمكانية قيام الإجماع أصلاً ! ..

فليس «الشرع» ، إذن ، هو طريق وجوب الإمامة ، وإنما طريق وجوبها هو «المصلحة» للأمة والمجتمع .. فعندما تكون السلطة والدولة والخلافة والإمامية ضرورية لإقامة العدل - والعدل واجب شرعي - فإن وجوبها يصبح أمراً لا نزاع فيه ؛ لأنها تستمد وجوبها هذا من الوجوب الشرعي الدائم لإقامة العدل بين الناس .. فكأنها واجب مدنى إذا توقف على إقامته إقامة الواجب الشرعي ؛ إذ ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب ..

أما إذا قام العدل بين الناس ، وانتفت المظالم وأسبابها واحتمالات ظهورها في المجتمع ، فإن العدل الواجب شرعاً يكون قد تحقق ، فكأن الإمامة والدولة متحققة ، ولهذا لا وجه ولا مبرر لإقامة سلطة حاكمة قد انتفت دواعي قيامها في المجتمع العادل ..

فهم لا ينفون وجوب الإمامة والسلطة - كما فهم البعض - وإنما ينفون أن يكون «الشرع» هو مصدر وجوبها ، ويرونها واجبًا عقليًا ، لا شرعياً ! ..

وعبارة الشهريستاني ، التي تحدث فيها عن رأيهم في هذه القضية ، هي من أدق العبارات التي عبرت عن رأيهم هذا .. فرأيهم - كما تعرّضه عبارة الشهريستاني [٤٧٩ - ٥٤٨ هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣ م] : «إن الإمامة غير واجبة في الشرع وجوبياً لو امتنعت الأمة عن ذلك استحقوا النلوم والعقاب ، بل هي مبنية على معاملات الناس ، فإن تعادلوا وتعاونوا وتناصروا على البر والتقوى ، واستغلال كل واحد من المكفيين بواجهه وتکلیفه ؛ استغروا عن الإمام ومتابعه ، فإن كل واحد من المجتهدين مثل صاحبه في الدين والإسلام والعلم والاجتهاد ، والناس كأسنان المشط .. فمن أين يلزم وجوب العذابة لمن هو مثله؟! ..» .

قد تبدو الفكرة مثالية .. خصوصاً عندما تأتي من ثوار ، ومن قائد تولى في الدولة الخارجية الثالثة إمارة المؤمنين ! ..

لكتها منطقية .. بل وتفتح صفحة مهمة من صفحات الفكر
السياسي فيتراث الإسلام^(١) .

(١) [تاريخ الطبرى] ج ٥ ج ٦ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار المعارف - القاهرة [تيارات الفكر الإسلامي] للدكتور محمد عمارة - طبعة بيروت سنة ١٩٨٥ م . [الإسلام وفلسفة الحكم] للدكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩ م .

(٣) محمد ابن الحنفية

[٢١ - ٨١ هـ = ٦٤٢ - ٧٠٠ م]

هو محمد بن علي بن أبي طالب . وكنيته أبو القاسم . وشهرته : ابن الحنفية - وهذه الشهادة نسبة إلى أمه - خولة بنت جعفر - التي اشتهرت بـ « الحنفية » - نسبة إلىبني حنفية .. فلقد كانت خولة بنت جعفر سوداء ، سُبِّيَّت في موقعة « اليمامة » ، فأصبحت أمة لبني حنفية ، ثم أعطاها أبو بكر الصديق لعلي بن أبي طالب ، فولدت لعلي محمدا ، الذي سماه وكاه باسم النبي عليه السلام وكنيته ، قائلاً : إنه قد استأذن الرسول في فعل ذلك إذا أعطاه الله ولدًا بعد وفاة الرسول عليه السلام .

ولقد ولد محمد في المدينة ، ونشأ بها ورعا ، واسع العلم .. وورث سواد اللون عن أمه الحنفية .. ومع العلم والورع كان أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام .. وعلى حين كان الإمام علي يخشى على ولديه الحسن والحسين القتال في معركة ضد خصومه ، فلقد شارك ابن الحنفية في هذه المعركة ، فقاتل مع أخيه في موقعة الجمل [٣٦ هـ = ٦٥٦ م] وكان حامل الراية يوم موقعة صفين [٣٧ هـ = ٦٥٧ م] .
وعندما بدأ التشيع لأنئمة آل البيت في العهد الأموي ، حضر الشيعة الائمه عشرية إمامتهم في أبناء علي من قاطمة دمشق ،

فلم يقولوا بإمامية محمد ابن الحنفية .. لكن فرقه من فرق الشيعة - هي « الكيسانية » - نسبة إلى « كيسان » مولى علي ابن أبي طالب - لم تحصر انتها في أبناء فاطمة ، واتخذت من ابن الحنفية إمامها ومهديتها .

وعلى حين انتشرت في صحف فرق الشيعة المبالغات والأساطير حول أئمتهم - من فيهم ابن الحنفية - الذي زعمت « الكيسانية » أنه حي لم يميت ، وأنه غائب ، في « جبل رضوى » ، وسيعود ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملأها الأمويون جوراً - حتى قالوا في ذلك شعراً ، من مثل قول « كثير » عن علي والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية :

ألا إنَّ الائمةَ من قريشِ ولادةُ الحقِّ أربعةَ سواءٍ
علىَ والثلاثةَ من بنيهِ هم الأسباطُ ليسَ بهم خفاءٌ
فسيطٌ سبطٌ إيمانٌ وبرٌ وسبطٌ غيبةٌ كربلاءُ
وسبطٌ لا ترآه العينُ حتى يقودُ الخيلَ يتبعُها اللواءُ
تعيَّثُ لا تُرى فيهم زماناً « برضوى » عندَه عسلٌ وماءٌ
فاعتقدوا فيه عقيدةً « الغيبة » والعودة بعد الغيبة ، قبل أن يعتقدوا الاثنا عشرية في إمامتهم الثاني عشر محمد بن الحسن - ابن العسكري - الذي زعموا غيبته في القرن الثالث الهجري ..
ومن مثل زعمهم أن الملائكة تراجعه الحديث في جبل رضوى .. كما قال السيد الحميري - بعد سبعين عاماً من وفاته

ابن الحنفية :

ولَا وَارَثَ لَهُ أَرْضٌ عَظَمًا
لِقَدْ أَمْسَى بِرَدْفٍ بِشَغْبٍ رَضْوِيٍّ
وَمَا ذَاقَ أَبْنَى خُولَةً طَعْمَ مُوتٍ

عَلَى حِينَ اتَّشَرَتْ هَذِهِ «الْعَقَانِدُ» الشَّيْعِيَّةُ ، حَوْلَ أَبْنَى
الْحَنْفِيَّةِ ، وَهُوَ لَا يَزَالُ حَيًّا .. فَإِنَّ وَرَعَهُ وَعْلَمَهُ قَدْ جَعَلَهُ
يَسْتَكْرِرُ هَذِهِ الْمُبَالَغَاتُ ، وَيَنْهَا النَّاسُ عَنْ هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ ..

فِي مَوَاجِهَةِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي حَكَيَتْ حَوْلَ فَكْرَةِ «الْمَهْدِي» ،
وَ«عِقِيدَةِ الْمَهْدِيَّةِ» ، وَبَعْدَ أَنْ قَادَ «الْمُخْتَارُ الثَّقِيفِيُّ» [١ - ٦٦٧ هـ = ٦٢٢ - ٦٨٧ م] ثُورَةَ بِالْعَرَاقِ نَسَبَهَا إِلَى أَبْنَى الْحَنْفِيَّةِ .. مُثَلِّ
مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ لَقْبِ «الْمَهْدِي» .. فَلَمْ يَنْكُرْ أَنَّهُ
«مَهْدِيٌّ» ، لَكِنَّهُ فَسَرَ الْمَعْنَى تَفْسِيرًا مُضْبُوطًا بِضَرَابِطِ عَقْلَانِيَّةِ
الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : «نَعَمْ ، أَنَا مَهْدِيٌّ ، أَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ
وَالْخَيْرِ» ! .. وَنَهَا أَصْحَابَهُ عَنْ تَصْدِيقِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرَعَّمُ
الْخَصَاصُ آلُ الْبَيْتِ بِعِلْمِ خَصْبِهِمْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ؛ دُونَ
الْمُؤْمِنِينَ .. وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ أَحَدُ أَتَابَاعِهِ :

- كَانَتْ تَبَلَّغُنَا عَنْكَ أَحَادِيثٌ مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ ! ..

أَجَابَهُ بِقُولِهِ :

- إِيَاكُمْ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ ؟ فَإِنَّهَا عَيْبٌ عَلَيْكُمْ . وَعَلَيْكُمْ
بِكِتابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؟ فَإِنَّهُ بِهِ هُدَى أُولَئِكُمْ ، وَبِهِ يُهْدَى
آخِرُكُمْ » .

ولقد عاش ابن الحنفية حقبة الصراع على الخلافة ، عقب وفاة يزيد بن معاوية ، بين عبد الله بن الزير [١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م] وعبد الملك بن مروان [٢٦ - ٨٦ هـ = ٦٤٦ - ٧٠٥ م] .. ورغم اعتقاده بأحقية آل البيت للخلافة ، إلا أن مذهبه كان رفض الاشتراك في هذا الصراع ، بل ورفض ال碧عة لأحدهما ، والانتظار حتى تجتمع الأمة على إمام واحد .. ولما ذهب الناس إليه وهو يسألوه عن صلته بشورة المختار التقي بالعراق .

قال لهم : « نحن حيث ترون محاسبون ، وما أحب أن لي سلطان الدنيا يقتل مؤمن بغير حق ». .

ولقد اضطرته الأحداث إلى التنقل في البلاد ، فخرج من المدينة إلى مكة عندما تعرضت المدينة عقب موت معاوية بن أبي سفيان ، لمؤامرة « الحرة » [٦٣ هـ = ٦٨٢ م] في بداية حكم يزيد .. فلما مات يزيد ، وخرج ابن الزير بمكة ، ورفض ابن الحنفية مبايعته ، قالاً : « حتى تجتمع لك البلاد ، ويتسق لك الناس » عزله ابن الزير مع أنصاره بشعب بن هاشم .. ثم خرج إلى منى ، فالطائف ، ثم دخل مكة حاجًا ، في أربعة آلاف من أنصاره - وكان له في عرفة لواء ، ولا ابن الزير لواء ، ولبني أمية لواء ! .. ومن الطائف ذهب إلى « أيلة » عندما دعاه عبد الملك بن مروان للإقامة في أرضه .. فلما طلب منه مبايعته اعتذر بمثل ما اعتذر به لابن الزير ، قالاً : « حتى يجتمع

الناس عليك أو عليه [ابن الزبير] - ثم أدخل فيما دخل الناس فيه ، فأكون كرجل منهم ! .. وقصد مكة معمراً ، فمنعه ابن الزبير من دخولها ، فرجع إلى الطائف ، حتى قتل ابن الزبير ، فذهب إلى مكة حاجاً ، ومنها عاد إلى المدينة فتوفي فيها ، ودفن بالبقاء .

ومع شجاعته الفائقة ، وعلمه الواسع ، وورعه الذي جعله قدوة الناس .. فلقد كان إنساناً في خاصة نفسه وفي أهله ومع ذويه ؛ فهو يخضب شعره بالحناء ..

وعندما سُئل : لم يخضب ، وكان أبوه لا يخضب .
قال : أتشبّه به للنساء ! ..

وعندما رأيت آثار الحناء بيده ، وسئل عنها ، قال : كنت أخضب أمي ! ..

بل لقد بلغت إنسانيته في بيته - وهو البطل العالم الورع - أنه كان يضفر ذوايب أمه ويمشط لها شعرها ! .. فكان إنساناً راقياً ، بالمعنى الإسلامي ، في كل الم Yadīn ! .

ومن كلماته : « اصبر وما صبرك إلا بالله . وما هو بعظيم من لا يصبر على ما لا يجد من الصبر عليه بدأ حتى يجعل الله له منه مخرجاً » ! ?

(٤) الجعدي بن درهم

[١٠٥ هـ = ٧٤٤ م]

هو مولى سويد بن غفلة ، يعد من جيل التابعين ، سكن في الجزيرة الفراتية ، شمالي العراق .. وعندما كان واليها مروان بن محمد - قبل خلافه في الدولة الأموية - على عهد هشام بن عبد الملك [٦٩٠ م = ١٢٥ هـ] تلتمذ مروان وتأنب على الجعدي بن درهم - فكان يلقب بـ « الجعدي » ..

وينسب إلى الجعدي بن درهم أنه من أوائل من تكلم في « خلق القرآن » وفي « نفي الصفات » عن الذات الإلهية - وهو مذهب يرى فيه أصحابه « تنزيهاً » للذات الإلهية عن إثبات صفات قديمة لها قد تزددي إلى شبهة تعدد القدماء ، وهو باب للشرك أدخلت فيه النصرانية ، فأغلقوه ، وحذروا من فتحه .. بينما يرى فيه آخرون - وهم جمهور أهل السنة - « تعطيلًا » لمدلولات صفات الذات الإلهية ، يتجاوز حدود « التنزيه » ..

ولقد أظهر الجعدي آراءه هذه في دمشق [١٠٤ هـ = ٧٢٣ م] فطلبته هشام بن عبد الملك ، فخرج إلى الكوفة ، فبعث هشام إلى واليه على العراق « خالد القسري » - وكان جباراً - أن يقتل الجعدي ، « فضحي » به يوم عبد الأضحى ، مبرراً قتيلاً بأن إنكاره للصفات - ومنها صفة « الكلام » - يعني أن الله لم يكلم موسى ولا إبراهيم .. فقال للناس ، في نهاية خطبته للعيد :

لأنصروا ، وضحوا ، قبل الله منكم ، فإني أريد أن أضحي اليوم
بالجعدي بن درهم ، فإنه يقول : ما كلام الله موسى ، ولا اتخذ
إبراهيم خليلا ، تعالى الله عما يقول الجعدي علواً كبيرا .. ثم نزل
فذهب !؟ ..

وقيل : إن ميمون بن مهران الرقي [٣٧ - ١١٧ هـ = ٦٥٧ - ٧٣٥ م] - وهو من العباد والفقهاء والقضاة والحدّادين
والمجاهدين - قد شهد على الجعدي بالزندقة ، فاستند هشام بن
عبد الملك إلى شهادته في الحكم عليه بالقتل ..
وفي تاريخ مقتله خلاف .. فالبعض يجعله [١١٨ هـ = ٧٣٦ م] .

* * *

(٥) غيلان الْدَّمْشِقِي

[١٠٦ هـ = ٧٢٤ م]

هو غيلان بن مسلم - وقيل : ابن مروان .. أو : ابن يونس ..
أصله مصرى .. وكان أبوه من موالي عثمان بن عفان ..
درس الفقه على الحسن البصري [٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ -
٧٢٨ م] .. واشتهر في الشام كصاحب فرقه من فرق
المتكلمين المسلمين تسمى « الغيلانية » - نسبة إليه - تقول بأن
الإنسان حر مختار في أفعاله .. وكان غيلان وفرقه من أوائل
الذين أظهروا هذا المذهب ، وعارضوا الحجرا والجبرية في عاصمة
الدولة الأموية - دمشق ..

وكان الحجرا والجبرية المذهب الذي يشجعه خلفاء بني أمية ؛
لأنه يغيبهم أمام الناس من المسئولية عن التغيرات التي أحدثوها
في نظام الحكم الإسلامي .. فكان غيلان من قادة المعارضة
السياسية والفكرية للأمويين ..

ويعد غيلان من أعلام الوعاظ والخطباء والكتاب البلغاء ،
يضعه العلماء والمؤرخون في طبقة ابن المفعع وسهل بن هارون
وعبد الحميد الكاتب .. وله رسائل - ضاعت - يقول عنها
ابن التديم إنها بلغت ألفي صفحة ..

ولقد استعان عمر بن عبد العزيز بغيلان الْدَّمْشِقِي [ابن
خلافته ، وعهد إليه ببيع المظالم التي صادرها عمر من أمراء بني

أمية .. فلما تولى الخليفة - بعد عمر - هشام بن عبد الملك ، انتقم من غيلان ، فأعتقله وقتلـه ، وصلبه على أحد أبواب دمشق ! .. وفرح خصوصه - من أركان الدولة الأموية - بمقتله ، وقالوا : « إن قته أفضل من قتل ألفين من الروم ! .. أما أستاذـه » الحسن بن محمد ابن الحنفية » ، فكان قد تباً له بهذا المصير .. عندما أشار إليه فقال : « أترون هذا ؟ .. إنه حجة الله على أهل الشام - [بني أمية] - .. ولكن الفتى مقتول !! ..

وكان رأي غيلان في الإمامة والخلافة أنها تصلح في كل من يجمع شروطها ، حتى ولو لم يكن من قبيلة قريش - مخالفًا بذلك بني أمية والشيعة على حد سواء - « فكل من كان قائمًا بالكتاب والسنـة فهو مستحق لها ، ولا ثبت إلا بإجماع الأمة » .. ولقد كان بهذا الرأي - ضرورة إجماع الأمة - طاعـنا في شرعـية الخلفاء الأمويين (١) !؟ ..

* * *

(١) [مسامون ثوار] للدكتور محمد عسارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٦) الحسن البصري

[٢١ - ١١٠ هـ = ٧٢٨ - ٦٤٢ م]

هو أبو سعيد ، الحسن بن يسار البصري [٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م] .. واحد من أبرز العلماء الأعلام ، والمفكرين المصلحين ، والساسة الزهاد في جيل التابعين .. وهو أبرز علماء عصره على الإطلاق ..

ولد بالمدينة المنورة .. وكان أبوه - يسار - من سبى - رفيق - « ميسان » - وهي بلدة بين البصرة وواسط - .. وكانت أمه - خيرة - مولادة لأم سلمة = زوج رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنها .. وما يروى عن طفولته : رضاعته من أم سلمة زوج الرسول ، أثناء غياب أمه عنه في فترة الرضاع ! ..

ولقد نشأ الحسن البصري ، بالمدينة ، في كنف الإمام علي ابن أبي طالب ، كرم الله وجهه .. وتولى كتابة ولادة خراسان ، أثناء ولادة الربيع بن زياد عليها ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان [٤١ - ٦٠ هـ = ٦٦١ - ٦٨٠ م] ..

وفي البصرة أقام الحسن ، وإليها نسب .. وفي مسجدها عدلت مدرسته أشهر مدارس ذلك العصر ؛ فلقد تعلمذ عليه فيها أئمة عصره ، حتى لم يمكن القول : إنه قد خرج من تحت عباءته أبرز علماء ذلك التاريخ ! ..

ولم يكن الحسن البصري - كما تقدم - عربي الأصل ..

ومع ذلك فلقد بلغ في علوم العربية والإسلام الحد الذي أصبح فيه الانتساب إليه وإلى مدرسته إجازة الاعتماد للعلماء ! ..

وكان من جيل التابعين - وليس من جيل الصحابة - ومع ذلك فلقد روي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، عندما سمعته يرتل القرآن أنها قالت : « من هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء » ! ..

وفيه قال حجة الإسلام الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م] : « كان الحسن البصري أشبه كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدىاً من الصحابة ، وكان غاية في الفصاحة ، تتصبّب الحكمة من فيه ! .. »

ولم يكن ، فقط ، واحداً من ثقة المحدثين والرواية لحديث رسول الله ﷺ ، وإنما كان إماماً ورأينا لأول مدرسة لرواية ورواية التاريخ العربي الإسلامي تبلورت في تاريخنا الحضاري .. فالنااظرون في المصادر الأولى لتاريخنا الإسلامي ، يرون - عند التأمل - أن الحسن البصري وتلامذته هم نواة أول مدرسة روت أحداث هذا التاريخ ..

وكانت أحداث التاريخ السياسي الإسلامي ، بما فيه من صراعات على الخلافة والإمارة منذ خلافة الراشد الثالث عثمان ابن عفان [٢٣ - ٣٥ هـ = ٦٤٤ - ٦٥٦ م] في مقدمة الأحداث التي حظيت من هذه المدرسة التاريخية بالرواية والتحقيق والتقدّم والتقويم .. وكانت حروب تلك الحقبة تسمى -

في المصطلح العربي - بـ « الدماء » .. وكانت ثوارتها تسمى بـ « الفتن » ! .. ولربادة الحسن البصري وإمامته في هذا الميدان .. ولإحاطته بتاريخ « الحروب » و « الثورات » ، تحدث عنه المؤرخون فقالوا : إنه كان عالماً في « الفتن » و « الدماء » .. أي عالماً في تاريخ الثورات والمحروbes ! ..

وكان الحسن البصري إماماً من أئمة المعارضة للانقلاب الذي أحدثه بنو أمية في فلسفة الحكم الإسلامي ونظام الخلافة الإسلامية ، عندما جعلوا الوراثة والاستبداد بها البديل عن الشورى والاختيار الحر من قبل الأمة للخلفاء .. ولهذا فلم يؤيد من خلفاء تلك الدولة الأموية سوى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز [٦٢ - ١٠١ هـ = ٧٢٠ م] إذ تولى قضاء البصرة في عهده ، وكان له ناصحاً وعليه مشيراً ، يكتب له الرسائل ، ابتداءً أو جواباً ، قبل وبعد تولي عمر بن عبد العزيز لإمارة المؤمنين .. والراسلات بينهما نموذج من نماذج فكر السياسة والإدارة والإصلاح لواقع الأمة في ذلك التاريخ ..

لكن معارضة الحسن البصري للدولة الأموية لم تصل إلى درجة الثورة عليها وحمل السلاح ضدها .. لا لأنه كان ضد الشورة عليها ، وإنما لأنه كان - كمؤرخ - يدرك ما جرته الثورات الفاشلة من مأساة وألام على الثوار - الذين كان كثير منهم من تلاميذه - بل وعلى عامة الناس .. فكان يشترط لتأييد الثورة وللإنخراط فيها أن تجتمع للثوار أسباب « التمكّن » ، أي

غلبة الظن في النصر ، أو ما يرجح الانتصار على ولاة الدولة
وجيوشها ! ..

ولقد تعرض الحسن البصري ، بسبب موقفه هذا ،
لضيقات عديدة من الثوار علىبني أمية ، لفروط حرصهم على
كلمة تأييد منه لهم وانتفاضاتهم التي توالت في ذلك
التاريخ ، وذلك إيماناً منهم أن تأييده لهم سيكون حافزاً للعامة
والخاصة على الانخراط في الثورة ، وعاماً من عوامل الضغط
على المترددين في التأييد لها والانخراط فيها ! ..

ومع ذلك ، فلم يسلم الحسن البصري من أذى بنى أمية
واضطهاد ولائهم على العراق .. وخاصة أذى الحجاج بن
يوسف الثقفي [٤٠ - ٩٥ هـ = ٦٦٠ - ٧١٤ م] ..
قطعوا عنه العطاء - [المعاش] - .. وأحاطوه بالعيون
والجواسيس .. بل لقد اضطر إلى الهرب من ملاحقتهم عندما
هموا بسجنه ، حتى ماتت ابنته وهو هارب ، فلم يستطع
الصلاحة عليها ، ولم يحضر مواراتها في التراب ! ..

ولكن هذا الاضطهاد لم يمنعه من إعلان نقهه وإدانته
للانقلاب الأموي ، ولظلماتم الدولة الأموية وجور ولاتها ..
فكأن يدين انقلاب معاوية بن أبي سفيان على شورى الخليفة
الراشدية ... وكان يسب الحجاج بن يوسف علينا وعلى
رؤوس الأشهاد .. ومن كلماته فيه : « يا أحيث الأخرين
وأفسق الفاسقين .. أما أهل السماء فمفترك ، وأما أهل

الأرض فغروك ! ..

وعندما كان نفر من الفقهاء ، المترافقين للخلفاء والولاة ،
ينهون الناس عن ذم الحكام ، بدعوى أن هذا الذم « غيبة »
ينهى عنها الإسلام ، كان الحسن البصري يفتى : « ليس
للفاسق المُعْنَى غيبة .. ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة .. ولا
للسلطان الجائر غيبة ! .. » .. فأعمالهم ملك للرأي العام ،
يحيثها الناس ويصدرون فيها الأحكام ! ..

وعندما كان فقهاء السلاطين هؤلاء يجتهدون لإلهاء الناس بالفروع عن الجوهر والأصول وعن سياسة الأمة وشئون حكمها، فيجعلون من « الفقه » علمًا يقف فقط عند الجزئيات، بل والتوادر والغرائب من هذه الجزئيات .. كان الحسن البصري يفضح هذه الاتجاهات .. ولقد جاءه يوماً واحد من بطانة الحكام يسأله عن « طهارة » أو « نجامة » دم البراغيث ! .. فأجابه متعجبًا : « يا عجباً من يلغ في دماء المسلمين كأنه كلب ، ثم يسأل عن دم البراغيث ؟! .. »

وَعِنْدَمَا أَخْذَتِ الدُّولَةُ الْأَمْوَيَّةُ تِبْرُرَ مَظَالِمَهَا وَتَحْوِيلَهَا إِلَى الْخَلَافَةِ
مِنْ « الشُّورِيَّ الرَّاشِدَةَ » إِلَى « الْمُلْكَ الْعَضُودَ » ، تِبْرُرَ ذَلِكَ
بِفَلْسَفَةِ « الْجَبَرِ وَالْجَبَرِيَّةِ » ، وَنَشَأَتْ لِذَلِكَ فِي الْفَكْرِ الْإِسْلَامِيِّ
بِدُعَةِ « الْجَبَرِ » .. وَسَانَدَتْهَا فِرْقَةُ « الْمَرْجِيَّةِ » ، الَّتِي تَدْعُوا إِلَى
عَدَمِ الْخُوضِ فِي تَقْوِيمِ أَحَادِيثِ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ وَرَمْوزِهِمَا ،
وَارْجَاءِ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. عِنْدَمَا أَخْذَ هَذَا

«الفكر» يبرر لذلك «الواقع» .. كان الحسن البصري طليعة الذين تصدوا لناهضة الفكر الجبري .. فكانت مدرسته الفكرية، التي اشتهرت بمدرسة «أهل العدل والتوجيد» .. هي أولى المدارس التي بذلت في تاريخنا الحضاري ، فلسفة الإسلام في «الحرية والاختيار» .. بل لقد حفظ لنا التاريخ أول نص كُتب في هذا الفكر ، فإذا هو رسالة الحسن البصري إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [٢٦ - ٨٦ هـ = ٦٤٦ - ٧٠٥ م] التي يُؤصل فيها فلسفة الحرية والاختيار ، مفتداً وناقضاً فلسفة «الجبر .. والإرجاء» .. فكان إماماً في فلسفة .. السياسة .. كما كان إماماً في التاريخ السياسي ، سار على هديه الكثيرون .. بل لقد تمازعته كثير من الفرق الإسلامية ، كل منها تعدد من أئمتها والمتقدمين فيها ! ^(١) ..

(١) طبقات ابن سعد ، طبعة دار التحرير - القاهرة - «مسلمون ثوار» للدكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م «رسائل العدل والتوجيد» دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

(٧) زَيْدُ بْنُ عَلَىٰ

[٧٩ - ٦٩٨ = ١٢٢ هـ]

هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [٧٩ - ٦٩٨ = ١٢٢ هـ] .. واحد من أئمة ثوار آل البيت على حكم بني أمية .. والإمام الذي تنسب إليه فرقه الزيدية .. ولد ونشأ في المدينة المنورة .. وكان العقدان اللذان سبقا مولده قد شهدتا تصاعد القمع الأموي لمعارضة آل البيت وثوراتهم ، ولكل ألوان المعارض والثورات ..

• فمأساة الحسين بن علي ، في كربلاء قد وقعت [٦١ هـ = ٦٨٠ م] ..

• واقتحام جيش يزيد بن معاوية [٢٥ - ٦٤ هـ = ٦٤٥ - ٦٨٣ م] للمدينة المنورة - بقيادة مسلم بن عقبة - واستباحته لها وأهلها ثلاثة أيام .. قد حدث [٢٧ ذي الحجة ٦٣ هـ = ٢٧ أغسطس ٦٨٣ م] ..

• وقمع ثورة التوابين - الشيعة - التي قادها سليمان بن صرد [٢٨ ق.هـ - ٦٥ هـ = ٥٩٥ - ٦٨٤ م] ظأراً مقتول الحسين ، قد حدث [٦٥ هـ = ٦٨٤ م] ..

• والإجهاز على الثورة الشيعية التي قادها الخطابي الثقيفي [٦٧ هـ = ٦٢٢ - ٦٨٧ م] .. في الكوفة ، حدث

[٦٨٧ م = ٦٢٧ هـ] ..

● واقتحام المسجد الحرام ، بالبلد الحرام ، وهدم الكعبة
بالمنجنيق ، وإنتهاء ثورة عبد الله بن الزبير [١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ -
٦٩٢ م] وقتلها وصلبه ، فـ قد حدث [٧٣ هـ = ٦٩٢ م] ..
وعقب هذه الأحداث الدامية ، وفي ظلائلها ولد ونشأ زيد
ابن علي ! ..

وفي المدينة حـ صـ لـ زـ يـ دـ : الـ عـ لـ مـ .. وـ تـ مـ يـ زـ بـ الـ زـ هـ .. وـ تـ طـ لـ عـ لـ عـ ..
نفسـهـ إـ لـىـ الشـ وـ رـةـ عـلـىـ بـنـيـ أـمـيـةـ ! ..

أخذـ الـ عـ لـ مـ عـنـ عـلـمـاءـ الـ مدـيـنـةـ ، وـ فيـ مـقـدـمـتـهـ وـالـدـهـ ، الـ إـلـامـ
زـينـ الـعـابـدـينـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ .. وـأـخـوـهـ الـبـاقـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ ..
وـ تـبـحـرـ زـيدـ فـيـ الـقـرـآنـ وـعـلـومـهـ ، حـتـىـ لـقـدـ تـحـدـثـ عـنـ ذـلـكـ
فـقـالـ : « لـقـدـ قـرـأـتـ الـقـرـآنـ ، وـأـنـقـذـتـ الـفـرـائـضـ ، وـأـحـكـمـتـ
الـسـنـةـ ، وـالـآـدـاـبـ ، وـعـرـفـتـ التـأـوـيلـ ، كـمـاـ عـرـفـتـ التـفـرـيلـ ،
وـفـهـمـتـ النـاسـخـ وـالـنـسـوـخـ ، وـالـحـكـمـ وـالـمـشـاـبـهـ ، وـالـخـاصـ وـالـعـامـ ،
وـمـاـ تـحـتـاجـ إـلـيـ الـأـمـةـ فـيـ دـيـنـهـ مـاـ لـابـدـ مـنـهـ ، وـلـاـ غـنـىـ عـنـهـ . وـإـنـيـ
لـعـلـىـ يـبـنـةـ مـنـ رـبـيـ ! ..

بـلـ لـقـدـ أـصـبـحـ زـيدـ فـيـ الـعـلـمـ ، إـمـاـمـاـ تـعـلـمـ عـلـىـ يـدـيهـ الـعـلـمـاءـ ..
فـأـخـذـ عـنـهـ الـعـلـمـ اـبـنـ أـخـيـهـ جـعـفـرـ الصـادـقـ .. وـمـحـمـدـ بـنـ شـهـابـ
الـزـهـرـيـ .. وـشـعـبـةـ بـنـ الـحـجـاجـ .. وـيـنـسـبـ إـلـيـهـ فـيـ تـرـاثـاـ الـعـلـمـيـ

أثران عملاقان : « مجموع الفقه » ، الذي يعده البعض أعلى في الترتيب من « موطأ » الإمام مالك بن أنس [٩٣ - ٧٩ هـ = ٧١٣ - ٧٩٥ م] .. و « المجموع الحديثي » ، الذي يعد أقدم مدونات الحديث النبوي الشريف .. كما تجلت في مؤلفه « كتاب الصفو » نزعته إلى التوفيق بين فرق الأمة ، التي أثار تنافرها لبني الأمية الاستئثار بالدولة والسلطان ! ..

ومع العلم الغزير ، تغىز زيد بالزهد والتقوى .. حتى لقد وصف بأنه « حليف القرآن » ! .. الذي لم يهتك لله محراً ما منذ عرف يمينه من شماليه .. إذا رأيته رأيت أسراريو النور في وجهه ! .. الذي ازدانت جبهته بأثر خفيف من السجود ! .. أما ذكره لله : فلقد كان يجدبه بعيداً عن ما سوى الله ، فيغشى عليه ، حتى ليقول القائل الذي يشاهده : ما يرجع إلى الدنيا أبداً ! .. *

ومع العلم .. والزهد والتقوى .. برع زيد في الخطابة .. حتى لقد كانوا يقارنون بينه وبين جده علي بن أبي طالب ، في هز أعراد المتأبر ، وامتلاك مجتمع القلوب ! ..

* * *

وكان المأسى التي نزلت بآل البيت عقب الثورات الفاشلة قد أشاعت جو المأساة والترقب ، والخذر من الثورة لدى غالبيتهم العظيم .. وزاد من جو الهزيمة هذا غروب شمس الأمل الذي تغسل في عمر بن عبد العزيز [٦١ - ١٠١ هـ = ٦٨١ -

٧٢٠ م] - الذي عقد المصالحة مع آل البيت .. ومنع لعن الإمام علي بن أبي طالب من فوق المنابر ! .. وأعاد إليهم أعطياتهم من بيت المال .. فلقد غربت شمس هذا الأمل بجوفه .. ويرزت معالم الودة على عهد عدله في عهد هشام بن عبد الملك [١٠٥ - ١٢٥ ه = ٧٤٣ م] ، الذي طال عهده .. وطال اضطهاده لكل الفرق والغيارات التي هادنها وصالحها عمر بن عبد العزيز .. ومنهم آل البيت ! ..

ولقد عبر جعفر الصادق [٨٠ - ١٤٨ ه = ٦٩٩ ه] ٧٦٥ م عن الدعوة التي تحذر آل البيت وشيعتهم من الثورة علىبني أمية ، بكلماته التي قال فيها : « إن بني أمية يتعلاونون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها ! .. وهم يستشعرون بغض أهل البيت ، ولا يجوز أن يخرج - [يثور] - واحد من أهل البيت حتى ياذن الله بزوال ملوكهم ! .. » .

لكن زيد بن علي ، في هذه القضية ، قد مثل طبيعة جيل من شباب آل البيت ، تمرد على هذا الاتجاه ، الذي قبع في بيته ، وأرخى عليه سنته ، في انتظار زوال ملك الأمويين ! .. فلقد كان يحرق شوقاً للثورة على بني أمية .. وكثيراً ما سمعه الناس يصلي بهذه الآيات :

يعش ماجداً أو تخترمه الخارم
ومن يطلب المال المُمْنَع بالقنا
وأنفأ حميأ تجتنبك المظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارنا
فهل أنا في ذاتي همدان خالم
وكتت إذا قوم غزوني غزوتهم

وكان مذهب المعتزلة يدعوا إلى تغيير نظم الجور والضعف
والفساد ، سلماً إن أمكن ، وبالسيف عند التمكّن .. ويرى أنه
لا يحل لمسلم أن يخلّي أئمة الضلاله وولاة الجور إذا وجد
أعواناً ، وغلب في ظنه أنه يتمكّن من معهم من الجور ١ ...
فالنقفي زيد بن علي ومن معه من الشباب التائير في آل البيت
مجذهب الاعتزال .. وأخذ فكره عن قائدہ واصل بن عطاء
[٧٤٨ - ٧٠٠ هـ = ١٣١] .. وأصبح يعيّب على
جعفر الصادق - وتياره وشيعته - ما اعتبره روح الانهزام
والدعة والاستسلام .. ويردد : « ليس الإمام من أرخي عليه
سترها .. وإنما الإمام من شهر سيفه !؟ .. وإن لم يكره قوم فقط
حر السيف إلا ذلوا !؟ .. » .

لقد تقدم على طريق الإمامة .. طريق الثورة ! ..

中 华 史

وتداعت الأحداث .. وشاعت بين الناس انتقادات زيد بن علي لظالم هشام بن عبد الملك .. ودعوته للثورة عليه .. حتى لقد قال يوماً : « لو لم أكن إلا أنا وابني لحرجت [ثرت] عليه؟ .. » فلما راجعه داود بن عسر في هذا الاتجاه .. قال له : « يا ابن عم ! كم نصیر على هشام؟! .. » .

ولقد ذهب زيد بن علي للقاء الخليفة ، بالرصافة ، ليشكوا إليه جور أمير المدينة .. فدار بينهما حوار جاف وغاضب وعنيف .. انتهى بأن طلب هشام إلى زيد الخروج من حضرته ،

فائلأ له في غضب :

- اخرج ١

فأجا به زيد :

- اخرج ، ولا تراني إلا حيث تكره ١

فغادر قصر الخليفة ، وهو يتمثل بقول الشاعر :

شده الخوف وأزري به كذلك من يكره حر الجلا
منخرق الكفين يشكوا الوجى تنكثه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
إن يُخديث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد
لقد خرج متوجهًا إلى أنصاره في الكوفة .. ساعيًّا إلى
الثورة ، التي تقيم الدولة التي « ترك آثار العدا كالرماد » ..

وفي الكوفة أخذ زيد يعد للثورة .. فأخذ يؤلف بين أحزاب
المعارضة ، المتنافرة ليوحدها ضدبني أمية ، فائلأ : « ليس
الإخوان في الدين من تبرأ بعضهم من بعض ، وقتل بعضهم
بعضًا ! » ..

وأخذ يرسل الرسال إلى المدن الأخرى ، يجمعون له البيعة
والتأييد .. ومع هؤلاء الرسل والدعاة كتاب منه يتحدث فيه
عن أهداف ثورته : .. التصدي لجوربني أمية .. والذكير بما

أوجب الله على الناس في مثل تلك الحال .. والتنبية على أن
الخروج [الثورة] إنما هو لله .

ولقد استجاب لدعوته ويعنته خلق كثير .. ومدن كثيرة ..
فأهل الحجاز .. والمدائن .. والبصرة .. وواسط .. والموصل ..
ونحرسان .. والري .. وجرجان - فضلاً عن الكوفة -
استجابوا لدعوته ، ويعنته .. حتى لقد ضم ديوان جيشه أسماء
خمسة عشر ألفاً من المقاتلين ..

وغير الجمهر .. أيد ثورته كوكبة من الأئمة والفقهاء
والعلماء .. منهم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان [٨٠ -
١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧ م] ، الذي أيد الثورة ، وبaidu زيداً ،
وأسهم في تجهيز جيش الثورة بعشرة آلاف درهم ! .. وقال
للناس : لقد ضاهى خروج زيد خروج رسول الله ﷺ يوم
بدر [١٩] ..

كما انضم إلى ثورته وأيدوها : زيد الأيماني ، من عباد
الكوفة ونساكها ومحدثيها .. وهلال بن حباب ، قاضي
المدائن ، وهو من المحدثين - .. ويحيى بن دينار الواسطي ، من
المحدثين .. وهشام بن البريد ، من المحدثين بالكوفة .. ومصر
ابن كدام ، من المحدثين .. وعبد الله بن شيرمة ، من الفقهاء
والقضاة والمحدثين .. وقيس بن الريبع ، من كبار المحدثين ..
ومنصور بن المعتمر ، من المحدثين الزهاد .. وعثمان بن عمير
أبو اليقظان ، من المحدثين .. ومحمد بن عبد الملك بن أبي

ليلي ، من فقهاء العراق .. ومعاوية بن أبي إسحاق ، من كبار المحدثين .. وسعد بن خثيم ، من رواة الحديث .. ومن كبار الفقهاء : سفيان الثوري ، والحجاج بن دينار .. وغيرهم كثيرون .. وكل المعتزلة .. وعلى رأسهم واصل بن عطاء .. وعمرو بن عبيد .. وغيرهم كثيرون ..

بل لقد شارك في الدعوة إلى ثورة زيد .. وفي أعمالها .. عدد من النساء الداعيات ! ..

وكانت صيغة البيعة التي بايع الثوار عليها زيد بن علي ، بمثابة « العقد الثوري » ، التي يمثل برنامج الثورة ومقاصد الثوار .. وفيه :

- أ - الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .
- ب - والجهاد ضد السلطة الفاسدة وأعوانها .
- ج - ونصرة المستضعفين في الأرض ..
- د - وإنصاف المظلومين الذين أُجحِف بهم الظلم الأموي .
- ه - والعودَة إلى نهج الإسلام في التسوية بين الناس في قسمة الغيء .
- و - وإغلاق المعسكرات النائية - « الجامر » - التي جعلت الدولة منها منافي للمناوئين ! .
- ز - ونصرة آل بيت الرسول ﷺ ..

أما نص البيعة فإنه يقول : « إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجihad الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المهرمين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسوية ، ورد الغالبين ، وإيقاف الجحمر ، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا ! » .

وأتفق رأي زيد وأنصاره على إعلان الخروج والثورة (أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ هـ = ٦ يناير سنة ٧٣٩ م) .. لكن الدولة الأموية تحركت لتجهض الثورة ، ولتفرق صفوف الذين تهياوا للقيام بها .

* لقد هددت الأشراف والأغنياء بمصادرة الثروات .. فانصرف منهم الكثيرون عن الثورة ، بعد أن بايعوا لإمامها وقادتها ! .

* وهددت العامة بالوعيد .. والسوط .. والسيف .. فخاذل منهم كثيرون ! .

وتحالف مع الدولة - ضد زيد وثورته - ذلك التحذيل والخذلان اللذين أثيا من صفوف المعارضة ، فشيعة جعفر الصادق لم تعجبهم موالاة زيد بن علي للخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر .. فطلبوها منه البراءة منها .. فلما أتى رضوه .. فسماهم « الرافضة » - فاشتهروا بهذه التسمية منذ ذلك

التاريخ ! .

والذين يدعون لبني العباس ، طلب منهم إمامهم محمد بن علي [٦٢ - ١٢٥ هـ = ٧٤٣ م] الانصراف عن تأييد ثورة زيد .. فطلب دعاته من أنصارهم خذلان الثورة ، قائلين لهم : « الزموا بيوتكم ، وتجنبوا أصحاب زيد ومخالطتهم ! .. » .

وأمام هذا التطور ، الذي صرف الكثيرين عن الثورة التي تحددت ساعتها .. تذكر زيد بن علي صنيع الكوفة مع جده الحسين ! .. فقال ، والألم يعصر نفسه : « فعلوها !! حسبي الله ! .. ثم التفت إلى صاحبه نصر بن خزيمة متسائلاً : « يا نصر ، أتخاف أن يكونوا فعلوها حسينية !! .. » .

ولم يكن باستطاعته أن يتراجع .. أو أن يهرب من ميدان المواجهة .. فتعجل موعد الخروج بإعلان الثورة قبل أسبوع من موعدها الأصلي ، كي لا يهزمه وهو في موقف الانتظار وموقع الدفاع ! ..

ودار القتال الشرس والعنيف أيامًا ثلاثة ، بين الثوار الذين لم يتبق منهم سوى خمسة ، وبين جيشبني أمية الذي بلغ تعداده اثنى عشر ألفاً ! ..

فلما أصاب سهم الجبهة اليسري لقائد الثورة .. فنفذ السهم إلى الدماغ .. رجع .. ورجع أصحابه حاملين إياه ! .. وفي

منزل أحدهم أحضروا له طيبا .. فأنبأه أن تزع السهم يعني موته .. فقال : الموت أيسر على مما أنا فيه ! .. فatzع منه السهم ، ففاضت روحه إلى الله ! .

ولم يكن بني أمية قد علموا بعد بإصابته ولا بوفاته .. فتشاور الثوار في مكان دفنه .. فاقترح البعض - حتى لا يمثل الأميون بجثته - إسلامها إلى مياه الفرات ! .. واقتصر البعض حز رأسه ، وإلقاء جسده بين أجساد القتلى ! .. لكن ابنه يحيى [٧٤٣ - ٧١٦ هـ = ٩٨ - ١٢٥ م] أحب إلا دفنه سريرا ، فحمل إلى « العباسة » ، ودفن ليلا هناك .. وأجرروا على مكان دفنه ماء للتمويه ! .

لكن عبدا سنديا رأهم وهم يدفونه .. فلما أصبح الصباح أخبر أعون الوالي بموضع القبر ، فذهبوا إليه ونشوه ، وأخرجوا جثمان زيد وحملوه على بغير ، مشدودا بالحبال ، والقوا به عند باب قصر الوالي .. وهناك احتروا رأسه ، ويعثوا به إلى الخليفة بالشام ، فنصب على باب دمشق .. ثم إلى المدينة ، فنصب عند قبر الرسول عليه السلام ، يوما وليلة ! .. ثم حمل إلى مصر ، فنصب بالجامع .. إلى أن سرقه بعض الناس فدفونه ! .. أما جسده ، فقد صلب « بالكتasse » - بالكوفة - فضل مصلوتها عريانًا ، أربع سنوات .. فلما استأنف ابنه يحيى الثورة - ببلاد الجوزجان - طلب الوليد بن يزيد [٨٨ - ١٢٦ هـ = ٧٠٧ - ٧٤٤ م] من عامله على العراق إزوال جثمان زيد بن علي من

عَلَى الصَّلِيبِ ، وَإِحْرَاقِهِ .. فَأُحْرِقَهُ ، وَذُرِّي رَمَادُهُ فِي نَهْرِ
الْفَرَاتِ ! ..

لَكِنْ ثُورَاتُ أَنْصَارِهِ وَأَبْنَائِهِ تَوَاصَلَتْ عَلَى امْتِنَادِ قَرْوَنِ عَدَةٍ
مِنَ التَّارِيخِ (۱) ! ..

* * *

(۱) [تيارات الفكر الإسلامي] للدكتور محمد عمارة - طبعة بيروت سنة

١٩٨٥ م

(٨) الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ

[١٢٨ هـ = ٧٤٥ م]

هو أبو محرز ، جهم بن صفوان السمرقندى ، من موالي
بني راسب . رأس فرقة كلامية هي فرقة « الجهمية » - التي
نسبت إليه - وخلاصة مقالتهم : أن الإيمان هو المعرفة بالله
ورسله ، وما جاء من عنده ، وعقد القلب على هذه المعرفة ..
ولا يضر هذا الإيمان ما يعلن صاحبه ، حتى لو أعلن الكفر
وعبد الأوثان ! .. والكفر هو الجهل بالله ورسله وما جاء من
عنه .

وكان الجهم متزها ، ينفي التشبيه عن الذات الإلهية -
ووافقته المعتزلة في ذلك بينما خالفه أهل السنة - لأنهم رأوا في
المبالغة في التنزير « تعطيلًا » ينفي مضامين الصفات عن الذات
الإلهية .

أما في بحث « القدر » : فكان الجهم - والجهمية - جبرية
خالص .. أي يمثلون الغلو الجبرى ، ينفي القدرة عن الإنسان ،
 فهو - عندهم - بمنزلة الحماد ، ليست له لا قوة مؤثرة ولا
كافسة .. وإنما هو بمنزلة الريشة المعلقة في الهواء - ولقد خالفه
في هذا الرأى المعتزلة - أهل التفويض - وفرق أهل السنة التي
توسطت بين الجبر الخالص وبين التفويض .

ولذهب الجهم : أن الإيمان معرفة قلبية ، رفض « الشروط »

التي اشترطها ولادة بني أمية للاعتراف بإيمان الترك الذين دخلوا في الإسلام حديثاً - من أهل ما وراء النهر - من مثل شروط : الاختنان - وإقامة فرائض الدين .. وحسن الإسلام .. وقراءة سورة من القرآن - والتي بدونها لا يسقطون عنهم الجزية .. وشارك في ثورة الحارث بن سريح [١٢٨ هـ = ٧٤٦ م] - عظيم الأزد - التي اندلعت ضد ولادة هشام بن عبد الملك [٧١ - ١٢٥ هـ = ٦٩٠ - ٧٤٣ م] بخراسان ، في بلاد الفارياب وبليخ والجوزجان والطالقان ومر eo الروذ [١١٦ هـ = ٧٣٤ م] .. وكان الجهم الرجل الثاني في هذه الثورة ، والقاضي في جيشه .. فلما فشلت الثورة ، قتله والي خراسان نصر بن سيار فيمن قتل من زعمائهم ؟

* * *

(٩) عمرو بن عبيد

[٧٦١ م - ٦٩٩ هـ = ٨٠ - ١٤٤ هـ]

هو أبو عثمان ، عمرو بن عبيد بن باب [٨٠ - ١٤٤ هـ = ٦٩٩ م - ٧٦١] .. كان أبوه عبيد بن باب واحداً من الموالى .. موالي بني العدوية ، من قبيلة تميم .. إذ كان جده من سبي الفتوحات الإسلامية لمقاطعة كابل ، من بلاد الأفغان ..

ولقد ولد عمرو بن عبيد في « البصرة » ، حيث كان والده يحترف صناعة النسيج .. ثم مهنة التجارة .. ثم عمل جندياً في شرطة الحجاج بن يوسف الشافعي [٤٠ - ٩٥ هـ = ٦٦ - ٧١٤ م] ..

وشاء الله أن يكون عمرو بن عبيد ثموذجاً للزهد والصلاح والقوى على حين كان أبوه واحداً من جنود الشرطة المتعسفة للحجاج الطاغية .. حتى ليروي أنه كان إذا مر على الناس بصحبة أبيه أشار الناس إلى الأب والابن فقالوا : « هذا شر الناس ، أبو خير الناس ! »

وفي البصرة - وكانت منارة العلم في عصره - طلب عمرو ابن عبيد العلم ، حتى أصبح في مدرسة الحسن البصري [٢١ - ١١ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م] علماً من أعلام العقلانية الإسلامية والفلسفة الإلهية ، والسياسة الإسلامية ، وقطباً من أقطاب « أهل العدل والتوحيد » ..

فهو واحد من الذين رفضوا الانقلاب الأموي على فلسفة الشورى الإسلامية .. ووقفوا في صفوف المعارضة للدولة الأموية .. واحد من أعلام تيار « العدل والتوحيد » ، الذين رفضوا فلسفة « الحبير » التي استخدمت غطاء لتبرير التحولات الأموية في فلسفة الحكم وفي علاقة الحاكم بالمحكوم بعيدياتي السياسة والأموال .. وهو علم من أعلام العلماء الذين شاركوا في الحياة السياسية ، منحازاً إلى الثورة ، وتجريد السيف لغير نظم الحجور والضعف والفساد .. وكانت له إسهامات في الثورة التي أطاحت بالدولة الأموية .. وجهود في الاتجاه الذي أراد إعادة الخلافة الإسلامية شورى ، كما كانت على عهد الراشدين وعمر بن عبد العزيز [٦١ - ١٠٢ هـ = ٦٨١ - ٧٢٠ م] .. فأيد انقلاب عمر بن عبد العزيز ضد مظالمبني أمية وبني مروان .. وأيد ثورة يزيد بن الوليد [٨٦ - ١٢٦ هـ = ٧٤٤ - ٧٠٥ م] ضد الوليد بن يزيد [٨٨ - ١٢٦ هـ = ٧٤٤ - ٧٠٥ م] في دمشق [١٢٦ هـ = ٧٤٤ م] .. ووقف من استيلاء الفرع العباسي على السلطة والدولة - بتأييد الجند الخراساني - موقف الرفض والمعارضة .. وكان قليه مع ثورة النفس الزركية محمد بن عبد الله بن الحسن [٩٣ - ١٤٥ هـ = ٧٦٢ - ٧١٢ م] ضد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور [٩٥ - ١٥٨ هـ = ٧١٤ - ٧٧٥ م] .. وكذلك ثورة أخيه إبراهيم بن الحسن ، التي قامت في البصرة وما حولها بعد استشهاد النفس الزركية بالمدينة ..

ثم كانت له في الثورة نظرية تدعى إلى « التمكّن » .. أي ضرورة الإعداد لها ، ورفض القيام بها حتى تتوافر للثوار الإمكانيات التي تجعل النصر مضموناً أو على الأقل احتمالاً يغلب علىظن ! ..

ومع كل ذلك وقبله .. فعمرو بن عبيد كان إماماً في فرقـة المعتزلة ، التي انشقت على مدرسة الحسن البصري .. خلاف سياسـي تعلـق بـتقـويم الدـولـة الأمـوريـة وأـنصـارـها ، عـندـما اـحـتـدـمـ الخـلـافـ بيـنـ عـلـمـاءـ الـأـمـةـ فـيـ الـحـكـمـ عـلـىـ مـرـتكـبـيـ الـذـنـوبـ الـكـبـائـرـ الـمـصـرـينـ عـلـيـهـاـ ، غـيـرـ التـائـبـينـ مـنـهـاـ - وـكـانـ الـمـرـادـ تـلـكـ الـكـبـائـرـ الـمـتـمـثـلـةـ فـيـ تـحـوـيلـ الـخـلـافـةـ عـنـ الشـورـىـ إـلـىـ الـوـرـاثـةـ وـالـمـلـكـ الـعـضـودـ .. وـتـحـوـيلـ النـظـامـ الـاجـتـمـاعـيـ عـنـ عـدـالـةـ الـإـسـلـامـ وـإـشـارـهـ إـلـىـ الـاسـتـبدـادـ بـالـمـالـ وـالـأـثـرـةـ فـيـهـ ..

فـقـالـ الـخـواـرـجـ : إـنـهـ كـافـرـونـ .. وـقـالـ الـمـرجـنةـ : إـنـهـ مـؤـمنـونـ .. وـقـالـ أـصـحـابـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ : إـنـهـ مـنـاقـفـونـ .. وـقـالـ الـمـعـزـلـةـ : إـنـهـ فـاسـقـونـ ، فـيـ مـنـزـلـةـ يـنـ مـنـزـلـيـ الـكـفـرـ وـإـيمـانـ ، مـخلـدـونـ فـيـ النـارـ بـدـرـكـ دـونـ درـكـ الـكـافـرـينـ ! ..

وـكـانـ عـمـرـوـ بـنـ عـبـيـدـ الـإـمـامـ الثـانـيـ فـيـ فـرـقـةـ الـمـعـزـلـةـ عـلـىـ حـيـاةـ فـائـدـهـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ [٨٠ - ١٣١ هـ = ٦٩٩ - ٧٤٨ مـ] .. وـإـمامـهـ الـأـوـلـ بـعـدـ اـنـتـقـالـ وـاـصـلـ إـلـىـ جـوـارـ اللـهـ ..

ولـقـدـ كـانـ إـعادـةـ الـخـلـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ إـلـىـ منـهاـجـهاـ الرـاشـدـ ، وـجـعـلـ الـشـورـىـ وـالـبـيـعـةـ الـحـرـةـ وـالـاخـتـيـارـ الصـحـيحـ هـيـ مـعـايـرـهـ

وسيل تعين من يتوالاها .. كانت تلك هي حجر زاوية الفكر الدستوري للمعتزلة .. ومعيار الاتفاق أو الاختلاف بينهم وبين غيرهم من التيارات في الفكر والنشاط السياسي ..

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، بعهد من سليمان ابن عبد الملك ، وليس بالشوري .. ثم أحدث الانقلاب الذي أحدثه ضد مظالمبني أمية .. وسالم الفرق المعاشرة والثانية على الدولة .. وأخذ يتوجه إلى إعادة الخلافة شوري ، كما كانت في العهد الراشد .. أيده المعتزلة .. ويومئذ سُئل عمرو ابن عبيد عن « دستورية » التأييد ل الخليفة تولي الخلافة بعهد من لا يملك وليس بالشوري الحرة والبيعة والاختبار؟! .. فأفتي بأن عمر بن عبد العزيز ، وإن يكن قد تولى الخلافة دون شوري الناس ، إلا أن عدله والانقلاب الذي أحدثه قد جعله كمن تولاه بشوراهم فهو قد استحقها « برضاهم » .. فقام هذا الرضى مقام الشوري التي تكون في الابداء ! .. وعبارته في هذه « الفتوى الدستورية » تقول : « لقد أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ، ولا باستحقاق لها ، ولكنه استحقها بالعدل حين أخذها ! » .. فهو لم يصبح إماماً بالتفويض والبيعة المتقدمة من قادة الأمة ، ولكنه أصبح إماماً بالرضا المتجدد من أهل الفضل والخل والعقد الذين ناصروه وأثروا على ما أحدث في الدولة والمجتمع من تحولات ! .

وبعد ربع قرن من انقضاء عهد عمر بن عبد العزيز -

والانقلاب الأموي على نهجه في الحكم - قاد المعتزلة ثورة أحلت أميراً أموراً ، كان على مذهبهم ، هو يزيد بن الوليد ، محل الخليفة الأموي الماجن الوليد بن يزيد .. واتجه يزيد بن الوليد ذات الاتجاه الذي كان لعمر بن عبد العزيز - العدل بين الناس في الثروات والأموال .. وإعادة الخلافة شوري بين الناس .. وكان عمرو بن عبيد بالبصرة - في العراق - فدعى الناس إلى التهوض إلى دمشق لتأييد الثورة والثوار .. وقال لهم : « تهموا حتى تخرج إلى هذا الرجل [يزيد بن الوليد] فتعينه على أمره » ! .

وعندما سُئل عن « التجربة الشورية » - القصيرة العمر - التي تمثلت في ثورة وخلافة يزيد بن الوليد ، قال عن التحولات التي أحدثها في العدل الاجتماعي .. وفي التصدي لأمراء بني أمية .. وفي النظام الدستوري للخلافة .. قال عن يزيد بن الوليد وإنجازاته : « إنه الكامل ! عمل بالعدل ! وببدأ بنفسه ، وقتل ابن عممه [الوليد بن يزيد] في طاعة الله ، وصار نكالاً على أهل بيته ، ونقص من أعطيائهم ما زادته الجباية ، وجعل في عهده [يعته] شرطاً ، ولم يجعله جزماً » !

أي أنه :

- أقام العدل .. وطبقه .. وببدأ بنفسه في التطبيق لأحكامه ! .
- وقد أثار ثورة ضد أمراء بيته الأموي .. وقتل خليفتهم : ابن عممه ..

- واقتصر للناس من بني أمية .
- وأعاد توزيع الثروات بالعدل ، وأنقص الأعطيات التي زادها الجبارة من خلفاء بني أمية للجند ، ولبطانة الملك وأنصاره .
- وعندما بايعه الناس بالخلافة ، جعل عهد يبعثه واستمرارها مشروطاً بطاعته لله ، وعدهم في المجتمع ، وقيامه بالعدل بين الناس ، ولم يجعلها سعة جازمة مؤبدة كما كان يفعل سابقوه ! .

وعندما أخذت الدولة الأموية ترتعن تحت ضربات الثورات وحركات المعارضة ، التي تعددت اتجاهاتها وأطراها .. من الخوارج .. إلى الهاشميين .. إلى العباسيين .. إلى المعتزلة .. إلى الشعوية .. بادر المعتزلة بقيادة عمرو بن عبيد ، فدعوا إلى مؤتمر عقد بمكة ، تشاور فيه أبرز أئمة وقادة المعارضة للدولة الأموية والتأثيرين عليها .. وفيه اتفقوا بالشورى على إعادة الخلافة الإسلامية شورية كما كانت في العهد الراشد .. وانعقد أمر المؤتمرين على البيعة لواحد من علماء آل البيت ، الذين سبقت لهم الثورة خلف زيد بن علي بن الحسين [٧٩ - ١٢٢ هـ] ٦٩٨ - ٧٤٠ م .. وهو - في ذات الوقت - على مذهب المعتزلة في القول بالعدل والتوحيد .. فبايعوا للنفس الزكية ،

محمد بن عبد الله بن الحسن ، بالخلافة بعد القضاء على دولة الأمويين .. وكان بين حضور مؤتمر مكة هذا ، الذين يأبوا للنفس الزركية ، رؤوس البيت العباسى أبو العباس السفاح [١٣٦ - ٧٢٢ هـ = ٧٥٤ م] وأبو جعفر المنصور - وكانتا على مذهب المعتزلة أيضاً .

فلما تطورت أحداث الثورة على بني أمية .. ومال الجند الخراساني ، بقيادة أبي مسلم الخراساني [١٣٧ هـ = ٧٥٤ م] وهم أهل التوجه الشعوبى - إلى عقد صفقة مع البيت العباسى ، لإبعاد الخلافة عن العلوين - ذوى التوجه العربى - .. وقامت الدولة العباسية ، في ظلال حرب الجند الخراساني والهيمنة الشعوبية .. وقف عمرو بن عبيد يقود المعتزلة في موقف المعارضة من هذه الدولة ، ومن الخليفة المنصور الذي كان بالأمس تلميذاً من تلاميذه عمرو بن عبيد ! ..

وكان قلب عمرو بن عبيد مع ثورة النفس الزركية - بالمدينة - وثورة أخيه إبراهيم - في البصرة - ضد المنصور .. لكنه لم يعلن معهما الثورة .. ولم يدع إليها أنصاره ومربيده ؛ لأنها لم تمتثل شرط « التمكّن » الذي كان يشترطه لتأييد الثورة والثوار ! ..

وعندما توجه واحد من علماء المعتزلة إلى عمرو بن عبيد بالتقدّم ؛ بل واتهمه بالجبن لأنه لم يعلن الثورة على المنصور .. حدّثه عمرو عن أن الأمر ليس جبناً ، ولا هو تخاذل عن المسعي

لتحكيم كتاب الله وسنة نبيه في الناس .. وإنما هي الحسابات التي توازن بين القوة التي لدى جند الفريقيين : الدولة ، والثوار .. وهي الحسابات التي يجعل القائد يتحمل ألام الصبر وكظم الغيظ مفضلاً إياها على المغامرة التي تقود إلى مزيد من الفشل والألام ! ..

لقد دار الحوار العنيف بين الزعفراني وبين عمرو بن عبيد على هذا النحو :

- إني أخالك جباناً ! ..

- ولم ؟

- لأنك مطاع ، ولا تناجر هذا الطاغية ! ..

- ويبحث ! هل الجند أشد من جندهم ؟! .. ورجالى أشد من رجالهم ؟! .. أما رأيت صنيعهم بفلان ، وخذلانهم لفلان ؟! .. والله لو ددت أن سيفين اختلفا في بطني حتى مبلغى منحرى ، كلما انتهيا إلى ذلك أعيدها ، وأن الناس أقيموا على كتاب الله وسنة نبيه ! .. *

* * *

ولما استدعي المنصور العباسي أستاذه القديم عمرو بن عبيد .. وطلب إليه أن يعينه هو والمعزلة على شئون الحكم بالمشاركة والتأييد .. رفض عمرو .. وصارح المنصور باستحالة تأييد المعزلة للدولة العباسية طالما ظلت هذه الدولة تحت هيمنة

الجند الخراساني وتيارهم الشعوبي ، المعادي للعرب وحدهم ظاهراً ، والمعادي في حقيقة الأمر لدين الإسلام أيضاً ! .. ولقد كان الحوار بين الخليفة المنصور وبين العالم الثائر الزاهد الفيلسوف قطعة من الأدب السياسي للمعارضة السياسية والفكرية التي سجلها لنا التاريخ .

- يا أبا عثمان ، ائتي بأصحابك استعن بهم .

- أظفه الحق يبتلوك أهلُه؟! ومر عمالك بالعدل والإنصاف .

- إني لأكتب لهم ، فامرهم بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله . فإذا لم يعملا بما عسانا نفعل؟! ..

- إنك لتكتب إليهم في حوايجك فينفذونها ، وتكتب إليهم في طاعة الله فلا ينفذون؟!

إنك لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل لتقرب به إليك من لا نية له فيه ! .. إن الملوك بمثابة السوق ، وإنما يجعلب إلى السوق ما ينفق [بروج] فيها ! .. إن حاشيتك اتخذوك سلماً لشهواتهم ، فأنت كالأخذ بالقرنين ، وغيرك يحلب ! .. إن هؤلاء لن يغنو عنك من الله شيئاً ! ..

- هذا خاتمي [وزرع المتصور خاتم الملك] خاتمه ، وولي من شئت ، واتت بأصحابك أولهم ! .

- إن أصحابي لا يأتونك وهؤلاء الشياطين [الخراسانية الشعوبية] على يابك ، فإنهم أطاعوهم أغضبوا الله ، وإن

عصوهم أغروك وألبوك عليهم .. أدعنا بعدلك تُسخن أنفسنا
بعونك ! .. يياك ألف مظلمة ، اردد منها شيئاً نعلم أنك
صادق ! ..

وعند هذا الحد من الحوار « العميق .. والراقى .. والعجيب .. ! »
بين الأستاذ الزاهد العابد النايسك التائر وبين تلميذه القديم ، الذي
أصبح ملائكة يعادى رفاق جهاده القديم ، ويتعرّض لهم بالسجن والتقطيع
والسيف ومختلف صنوف العذاب .. عند هذا الحد أراد عمرو بن
عبيد الانصراف .. فرغب المنصور إليه أن يقبل منه مالاً .. فدار
بينهما فصل جديد في هذا الحوار .. بدأه المنصور بقوله :

- « قد أمرنا لك بعشرة آلاف ..

- لا حاجة لي فيها ! ..

- والله لا أخذنها ..

- لا والله لا أخذنها ! ..

وكان المنصور قد عهد إلى ابنه « المهدى » بولاية العهد ..
وكان حاضراً في مجلس الحوار .. فاستعظم أن يرفض رجل
عطاء أبيه الخليفة ، واستذكر أن برد إنسان يميناً حلقها أمير
المؤمنين .. فتدخل في الحوار ، مخاطباً عمرو بن عبيد ،
ومستفهماً في إنكار واستنكار :

- « يحلف أمير المؤمنين ، وتحلف أنت ! ? ..

— [فتسائل عمرو بن عبيد] : من هذا الفتى ؟ ! .
— هذا محمد ابني .. وهو المهدى ، وهو ولى عهدي .
— أما والله لقد أبىسته لباسا ما هو من لباس الأبرار ! ولقد
سميته باسم ما استحقه عملا ! .

ولقد مهدت له أمرا [ولادة العهد] أمعن ما يكون به ،
أشغل ما يكون عنه ! .

ثم التفت عمرو إلى المهدى ، ولـى العهد ، وقال : نعم ، يا
ابن أخي ، إذا حلف أبيك أحنته عملك ! لأن أباك أقوى على
كفارات اليمين من عملك ! » .

ومرة ثانية أراد عمرو الانصراف .

ولكن المنصور أراد أن يسبر غوره ، ويعلم موقفه من الثورة التي
يعد لها النفس التركية محمد بن عبد الله بن الحسن .. فسألـه :
— « يلغـني أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب إليك
كتابا ؟ ! .

— قد جاءـني كتاب يشبه أن يكون كتابـه ! ...
— أجبـته ؟ ! [أي هل استجـبت لرأـيه في الثورة ؟ !] .
— ألسـت قد عرفـت رأـي في السيف [الثورة] أيام كـتـبت
معنا ؟ ! .

— أـفحـلـف ؟ ! .

- إن كذبتك تقية لأخلفن لك تقية !! .

- إنك والله الصادق البار ! .. .

وعند هذا الحد من الحوار ، بدت رغبة عمرو بن عبيد شديدة في الانصراف من حضرة المنصور .. فسأله المنصور :

- « فهل لك من حاجة ? .

- نعم ! .. لا تبعث إلئي حتى أجبيك ! .

- إذن لا تلقني أبداً !؟ .

- هذه هي حاجتي ! .. » .

ونهض عمرو بن عبيد منصراً ، تشيعه نظرات الإعجاب من المنصور ، ونظرات العجب والدهشة من حاشيته .. فلما ودع المنصور أستاذه العظيم ، نظر إلى حاشيته وأنشد :

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد !

• • •

وإذا كان هذا الحوار فريداً في أدب المعارضة السياسية والفكرية .. فإن تاريخ عمرو بن عبيد قد سجل لنا - زيادة على ما تفردت به حياته - تفرد مماثل بثراء الخليفة المنصور له .. إذ لم يسجل التاريخ رثاء خليفة لواحد من رعيته غير رثاء المنصور لعمرو بن عبيد .

فلم يمكِّن عدوَّه إلَّا وُدِّيَّه .. فلقد مات عمرو بن عبد الله .. ودُفِنَ بـ « مران » .. على طريق مكة .. فلما وقف المنصور على قبره رثاه شعراً ، فقال :

صلى الله عليه وسلم
أقبرًا تضمن مؤمنًا متحفنا
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحًا

لقد عرفه الفلاسفة إماماً لمدرسة العقلانية الإسلامية ، والمقدم في علمائنا المتكلمين .. وعرفته ثورات عصره إماماً منخرطاً في أحداث ذلك العصر المشحون بالثورات والاضطرابات .. وكان في مسالك الزاهدين ذلك العابد الذي يدعوه ربه :

« اللهم أعني بالافتقار إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك ! ..
اللهم أعني على الدنيا بالقناعة ، وعلى الدين بالعصمة ! .. * .

كما عرفه الطريق من البصرة إلى بيت الله الحرام بمكة حاجاً
على قدميه أربعين مرة في أربعين عاماً ! .. وخلفه بغيره يقرده ،
حاملاً عليه الفقراء والضعفاء ! .

وعرفته متابر الخطابة واحداً من أئمة البلاغة ، في عصر ازدهار البلاغة العربية .

وعلمه دواوين الحكمه إماما في صفة الحكماء .. و واحدا من صائفي الكلمات الجامعه .

ولقد سمع يوماً جلية وضو ضاء فسأل عن السبب والمصدر :

- « ما هذا !؟

- إنه سارق يقطعون يده ! ..

- لا إله إلا الله ! .. سارق السر يقطعه سارق العلانية !؟ .. » .

فذهبت حكمة من حكم السياسة والمجتمع في التاريخ !
ولعمرو بن عبيد كتب ورسائل .. منها « التفسير » و « الرد
على القدرة » .. لكنها ضاعت فيما ضاع من التراث (١) .

• • •

(١) [فضل الاعتزال وطبقات المعركة] للقاضي عبد الجبار بن أحمد . طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م [مسلمون ثوار] للدكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(١٠) النفس الزُّكية

[٩٣ - ١٤٥ هـ = ٧٦٢ - ٧١٢ م]

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . أحد علماء وثوار وأئمة آل البيت .

ولد بالمدينة ، وفيها نشأ ، ونهل من العلم حتى صار ألغز شباب آل البيت علمًا .. وجمع إلى العلم براعة في الخطابة .. وشجاعة وفروسية .. وسخاء وكرما .. مع صلاح وقوى .. ولقد أعادت شمائله إلى شباب المدينة صورة « أسد الله » .. وسيد الشهداء « حمزة بن عبد المطلب من جديد .. وانتشر لذلك باسم « النفس الزُّكية » .

ولقد انحاز النفس الزُّكية إلى صفوف المعارضه الثائرة على بني أمية ، فشاركت مع المعتزلة في الثورة التي قادها - من الكوفة - زيد بن علي [٧٩٨ - ١٢٢ هـ = ٦٩٨ - ٧٤٠ م] .. وبعد هزيمتها ظل على ولائه للمعارضة الثائرة .. فلما تصاعدت وقائع و المعارك التوار ضد الدولة الأموية ، ولاحظ نذر انهياراتها ، عقد قادة الفرق والأحزاب الثائرة مؤتمراً يمكّن المكرمة ، تدارسو فيه مستقبل الخلافة ، واستغرق الرأي على إعادتها إلى إطار الشورى والاختيار والبيعة ، وإنها مرحلة الانحراف بها إلى الوراثة والملك العضود ، وعقدوا البيعة للنفس الزُّكية إماماً وخليفة للمسلمين ، يتولى السلطان عندما تجهيز

الثورة على بقايا المقاومة الأموية ..

لُكْنَ الْجَنْدُ الْخَرَاسَانِيُّونَ ، بِقِيَادَةِ أَبْوِ مُسْلِمِ الْخَرَاسَانِيِّ [٧٥٤ م = ١٣٧ هـ] - وَهُمْ شَعُوبِيُّونَ ، كَارِهُونَ لِلنَّعْرَبِ - دَبَرُوا أُمَّرَا آخَرَ ، فَأَفْضَلُتُ الْأَحْدَاثُ بِنَقلِ الْخِلَافَةِ - عَنْدَ انْهِيَارِ الدُّولَةِ الْأُمُوَّرِيَّةِ - إِلَى الْفَرْعَوْنِيِّ الْعَبَاسِيِّ فِي الثُّورَةِ - الَّذِي مُثِلَّهُ أَبْوُ الْعَبَاسِ السَّفَاحَ [١٠٤ - ١٣٦ هـ = ٧٢٢ - ٧٥٤ م] بَدَلًا مِنْ الْفَرْعَوْنِيِّ الْعَلَوِيِّ ، الَّذِي كَانْ يُمَثِّلُ النَّفْسَ الزَّرَكِيَّةَ ! .

وَيَعْدُ أَنْ اسْتَقِرَّ الْمُلْكُ لِلْعَبَاسِيِّينَ .. ظَلَّ النَّفْسُ الزَّرَكِيَّةُ عَلَى مُعَارِضَتِهِ لِهَذَا الْاِنْقَلَابِ ، أَعْلَمَ ثُورَتَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ضَدَ حُكْمِ أَبْوِ جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ [٩٥ - ١٥٨ هـ = ٧١٤ - ٧٧٥ م] وَكَانَ مَعْهُ الْمُعْتَلَةُ وَالْعَلَوِيُّونَ وَكَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَقْوِيُّونَ عَلَى وَلَائِهِمْ لِلْبَيْعَةِ الَّتِي عَقِدَتْ لَهُ قَبْلَ الْاِنْقَلَابِ الشَّعُوبِيُّ الَّذِي حَوَلَهَا إِلَى الْعَبَاسِيِّينَ .. وَلَقَدْ أَيَّدَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ - وَمِنْهُمُ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَّسٍ [٩٣ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥ م] - ثُورَةَ النَّفْسِ الزَّرَكِيَّةِ .. وَأَحْلَلَ الْإِمَامُ مَالِكُ أُولَئِكَ الَّذِينَ اضْطُرَّوْا إِلَى مَبَايِعَةِ خَلْفَاءِ بْنِ الْعَبَاسِ مِنْ أَهْمَانِهِمْ ، قَاتِلًا ^١ بِيَطْلَانَ بَيْعَةَ الْمُكَرَّهِ وَمِنْ إِلَكْرَاهٍ ! .. وَلَقَيَ يَسْبِبُ ذَلِكَ الْأَذَى وَالاضْطَهَادَ ! ..

لُكْنَ الثُّورَةُ الَّتِي قَادَهَا النَّفْسُ الزَّرَكِيَّةُ ، وَالَّتِي سَيَطَرَتْ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ١٤٥ هـ - وَالَّتِي أُرْسَلَتْ وَلَاتَّهَا إِلَى مَكَّةَ وَالشَّامَ وَالْبَصَرَةَ وَمَصْرَ وَخَرَاسَانَ وَالْيَمَنَ وَالْجَزِيرَةَ وَالرَّيَّ وَالْمَغْرِبَ - قَدْ أَجْهَزَتْ عَلَيْهَا الْجَيُوشُ الْعَبَاسِيَّةُ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ

من رمضان - أي بعد شهرين ونصف من قيامها ! ..
لكتها تواصلت في البصرة بقيادة إبراهيم بن عبد الله بن
الحسن - آخر النفس الزكية (١) ..

* * *

(١) [مقاتل الطالبيين] لأبي الفرج الأصفهاني - تحقيق : السيد حسق - طبعة دار المعرفة - بيروت [مسلمون ثوار] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشرق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(١١) القاسم الرئيسي

[١٦٩ - ٢٤٦ هـ = ٧٨٥ م]

هو أبو محمد ، القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [١٦٩ - ٢٤٦ هـ = ٧٨٥ - ٨٦٠ م] .. الحسني ، العلوى ، الشهير بالرئيسي . متكلم ، وفقىه ، وشاعر ، وإمام ثائر من أئمة الفرقة الزيدية . كانت نشأته بالمدينة المنورة ، ومس肯ه بجبارا « قدس » يأطرافها .

والإمام الرئيسي هو شقيق الإمام الزيدى الثاير : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، الشهير بابن طباطبا [١٩٩ هـ = ٨١٥ م] الذي خرج ثائراً بالكوفة ، على عهد الخليفة العباسى المأمون [١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨٣٣ م] .. فلقد بايعه على الثورة تحفه ، أهل الكوفة في جمادى الأولى سنة [١٩٩ هـ = ديسمبر سنة ٨١٤ م - يناير سنة ٨١٥ م] ..

وبعد وفاة الإمام الزيدى ابن طباطبا نهض أخوه القاسم الرئيسي بأمر الدعوة الزيدية العلوية .. وتمت له البيعة بالإمامية ، والنهوض بأمر الثورة [سنة ٢٢٠ هـ = ٨٣٥ م] ..

ولقد سميت البيعة التي عقدت للقاسم الرئيسي « بالبيعة الجامعة » ، وذلك لاجتماع وجوه أهل البيت ، من نسل الإمام

علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - على البيعة له .. وكان ذلك على عهد الخليفة العباسى المعتصم [٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٤٢ - ٨٣٣ م] .

وقيل عقد البيعة بالإمامية للقاسم الرسي وظهور أمره ، كان قد قضى سنوات مخفياً عن أعينبني العباس ، يمارس الدعوة العلوية سراً ، للرضى من آل محمد عليهما السلام - أي يدعو للتغيرة خلف إمام علوى غير محمد الاسم ! - وهي طريقة افتضتها سرية الدعوة ، وضرورة الحفاظ على حياة الإمام الذي يدعون إلى الثورة تحت رايته .. وخلال تلك الحقبة ، مكث القاسم الرسي مخفياً بمصر عشر سنوات ، والمؤمن العباسى يجدُ في طلبه ، وعامله على مصر : عبد الله بن ظاهر يوالي البحث عنه ! .

وعندما انتقل القاسم الرسي من مصر إلى الحجاز واليمن .. وأخذ أمره في الزيوع والانتشار ، دخلت الجيوش العباسية إلى أرض اليمن لمعارده ، فاضطر إلى الاختفاء مرة ثانية ، وعاش بأحد أحيا البدو مستمراً حتى مات الخليفة المأمون ، فعاد إلى المظہور في عهد المعتصم ، وتمت له البيعة الجامحة [٢٢٠ هـ = ٨٣٥ م] .

وكانت كفة القوة أكثر رجحانًا لدى الدولة العباسية ، فلم يستطع القاسم الرسي الصمود في وجه جيوشها ، فانسحب من أرض اليمن ، واعتزل في أرض الحجاز ، حيث اشتري جبلًا أسود اللون ، اسمه جبل « الرس » - الذي نسبه إليه - على

مسافة ستة أميال من المدينة .. اشتراه بخمسين ديناراً .. وجعل منه حصيناً ، ومزرعة ، ودار هجرة لأنصاره والأولاده وذريته .. وهنالك عاش بقية عمره ، حتى مات فدفن فيه ١.

وفي كتب طبقات الزيدية ، التي تورخ لأئمتها وأعلامها ، يوصف القاسم الرسي بأنه « نجم آل رسول الله » ، وفقههم ، وعلّمهم المبرز في أصناف العلوم ، ومن يضرب به المثل في الرهد والعلم .. ٢.

أما مقامه بين أئمة الزيدية : فهو مقام الإمام المقدم بين أئمتها .. حتى لقد نسبت إليه إحدى الفرق التي تفرعت إليها الزيدية .. وهي فرقة « القاسمية » ٣.

وكما كان الرسي إماماً في الثورة والجهاد والخروج على الدولة العباسية .. كذلك كان إماماً في الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي .. وفقهها .. ومقسراً للقرآن الكريم .. ومن بين كتبه ورسائله ، التي تقترب من الأربعين ، نجد المكتابات السياسية مكاناً ملحوظاً .

ومن هذه الكتب والرسائل التي كتبت في الإمامة وفي السياسة وفي شتون الجهاد ومجادلة الفرق الثائرة :

- ١ - كتاب « الإمامة » .
- ٢ - وكتاب « ثبيت الإمامة » .
- ٣ - وكتاب « الاحتجاج في الإمام » .

- ٤ - وكتاب « الهجرة للظالمين » .
 - ٥ - وكتاب « القتل والقتال » .
 - ٦ - وكتاب « الرد على الرافضة » .
 - ٧ - وكتاب « الرد على الروافض من أصحاب الغلو » .
 - ٨ - وكتاب « الكامل المنير في الرد على الخوارج » .
- وكان الرسي - ككل أئمة الزيدية - على مذهب المعتزلة في الأصول .. مع خلاف جزئي بينهما في قضية الإمامة وحدها ^(١) .

(١) | رسائل العدل والتوحيد [- دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م] .

(١٢) الكندي الفيلسوف

[٨٧٣ هـ = ٤٦٠ م]

هو أبو يوسف : يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي . عربي من أبناء ملوك كندة . ولد بمدينة البصرة - وكانت حاضرة العلم - وبها نشأ ، ثم انتقل منها إلى بغداد .

وكان في الدولة الإسلامية - أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي - قد افتحت على علوم القدماء ، أسلاف الشعوب التي فتح المسلمون بلادها ، من الفرس واليونان والهند ، بادئاً بعلوم الصنعة العملية ، ومشتملة بعلوم الحكمة والفلسفة .. فجاء الكندي طليعة العرب الذين قدّموا للأمة فلسفه هؤلاء القدماء وخاصة فلسفة أرسطو ، حكيم اليونان . ولريادته هذا الميدان ، ولكونه أول ثمرات هذا المزيج الذي جمع إلى فكر المسلمين حكمة اليونان وفلسفتهم ؛ اختص بلقب « فيلسوف العرب » ، باعتباره أول من ارتاد هذا الميدان - وكانت من قبله ، فلسفة الإسلام المتغيرة النية هي علم التوحيد - علم الكلام - .

ولم يحذق الكندي الفلسفة وحدتها - وهي في ذلك التاريخ أم العلوم - وإنما حذق معها - إلى حد الشهادة - الطب ، والموسيقى ، والهندسة ، والفلك .

وفي هذه الفنون ألف الكندي وترجم - وإن كان البعض

ينكر حذفه للترجمة ، ويرى أنه وقف فيها عند إصلاح لغة ما ترجمته الآخرون .. ولقد بلغ تعداد آثاره الفكرية ما يزيد على ثلاثة كتب ورسالة - ولقد ذكر له ابن النديم [٤٣٨ هـ = ١٠٤٧ م] في [الفهرست] أسماء مائتين وواحد وأربعين مؤلفاً - وهي عند ابن القفعطي [٥٦٨ - ٦٤٦ هـ = ١١٧٢ - ١٢٤٨ م] ٢٢٨ - وعند ابن أبي أصيوعة [٥٩٦ - ١٢٦٨ هـ = ١٢٠٠ - ١٢٧٠ م] ٢٨١ .

ومن هذه الكتب «رسالة في التجيم» و «اختيارات الأيام» و «تحاویل السنین» و «إلهیات أرسطو» و «رسالة في الموسيقی» و «الأدوية المركبة» و «رسم المعسور» و «الترفق في العطر» و «السيوف وأجناسها» و «القول في النفس» و «المد والجزر» و «خمس رسائل» : أولاهما : في ماهية العقل و «الشعاعات» و «الفلسفة الأولى» فيما دون الطبيعتين والتوحيد» و «رسائل الكندي» - نشرها الأستاذ الدكتور / محمد عبد الهادي أبو ريدة - في جزأين - وهذه العناوين تشهد على امتزاج الفكر اليوناني بالإسلامي في «مشروع الكندي» وإنجازه ، كما تشهد على موسوعيته التي استوعبت علوم وفنون عصره وتراث الإنسانية الذي كان معروفاً للأمة في ذلك التاريخ .

ولهذه الريادة التي مثلها الكندي في هذا الميدان الفكري الجديد - فلسفة القدماء - تفاوت حظه في التقاديم والتأخير لدى خلفاء العصر الذي عاش فيه .. فكانت له منزلة عظيمة

عند الخليفة العباسى المأمون [١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣ م] لحى الفلسفة ، وتقديره لأعلامها .. بينما امتحن في عهد المتوكل العباسى [٢٠٦ - ٢٤٧ هـ = ٨٦١ - ٩٣٣ م] الذي انقلب على التيار العقلاطى ، وقدم أهل الحديث - فضرر الكتني ، وأخذت كتبه - بسبب وشایات الخصوم - فلما أشرقت شمس الحقيقة ؛ أعادوا إليه كتبه - وفيها مؤلفاته - مرة أخرى (١) ! ..

(١) [طبقات الأطباء والحكماء] لابن ججل . تحقيق : فؤاد سيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م [الكتندي : فلسوف العرب] للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى - سلسلة أعلام العرب - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م [الأعلام] لخير الدين الزركلى - طبعة بيروت .

(١٣) علي بن محمد

[م ٨٨٣ - ٢٧٠ هـ]

هو علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .. وشهرته في التاريخ الإسلامي : « صاحب الزنج » ؛ لأنّه قائد الثورة التي عرفت بهذا الوصف - « ثورة الزنج » لغلبة العبيد الزنوج على جمهور الذين شاركوا فيها .

ولد علي بن محمد ونشأ في « ورزين » إلى الجنوب الشرقي من طهران ، بفارس .. في يقة يقاتل فيها أهل المذاهب السياسية المختلفة ، وفي عصر سيطر فيه الترك العمالق على الخلافة العباسية .. وكان العلويون في طليعة القوى التي بقيت على رفضها للدولة العباسية ، وعلى الثورة ضد ولاتها .

ولقد بدأ علي بن محمد الدعوة إلى الثورة ضد العباسيين بين عرب « هجر » في البحرين سنة ٢٤٩ هـ .. وبعد معارك وهزائم - نُفِرت منه العرب - التقل إلى البصرة .. في بغداد .. فالبصرة ، ليعلن ثورة أخرى سنة ٢٥٥ هـ .. وفي هذه المرحلة من ثورته انعطاف نحو الزنوج الذين كانوا يعملون في نزع أملاح الأرض ، بنوا حي القرات الجنوبية ، فثاروا على سادتهم ، وانضموا لثورته ، حتى غلبوا على جمهورها ، فسميت لذلك « ثورة الزنج » ١ .

ولقد مثلت هذه الثورة أقوى وأطول التحديات التي واجهت الدولة العباسية ؛ فهي قد أقامت دولة شملت أغلب سواد العراق ، وامتدت إلى فارس والخليج .. وبني الشوار لدولتهم عاصمة - سموها « المختارة » - وسط القنوات وفروع الأنهار والأغوار والمستنقعات ، لحمايتها من الاقتحام ! .. كما مثلت هذه الثورة أطول ثورات عمراً ضد العباسين ؛ إذ استمرت أكثر من عشرين عاماً .

والمؤرخون يختلفون في مذهب قائد هذه الثورة .. فالطبرى يرى أنه كان على مذهب « الخوارج الأزارقة » .. لكن ممارساتهم ، وبقايا خطب علي بن محمد ، وألوان أعلامهم وأزيائهم - البيضاء - ترجح أنهم كانوا « مبيضة » .. أي علوية ، يسيرون على درب ثورات العلويين ، التي بدأت بثورة زيد بن علي [٧٩ - ١٢٢ هـ = ٦٩٨ - ٧٤٠ م] أحد أجداد علي بن محمد - فلقد كان « البياض » شعار ثورة النفس الزكية [٩٣ - ١٤٥ هـ = ٧١٢ - ٧٦٢ م] - وهو الذي سبق وقاتل في ثورة زيد بن علي - بينما كان « السواد » شعاربني العباس^(١) ! ..

(١) [تاريخ الطبرى] ج ٩ - طبعة دار المعرف - القاهرة [مستلمون توار] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(١٤) يحيى بن الحسين

[٩١١ م - ٢٩٨ ه = ٨٥٩]

هو الإمام الهادي إلى الحق ، أبو الحسين ، يحيى بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [٢٤٥ ه = ٢٩٨ - ٨٥٩ م] .

ولد بالمدينة المنورة [سنة ٢٤٥ ه = ٨٥٩ م] .. وذلك قبل وفاة جده - القاسم بن إبراهيم الرسي - أول أمة الزيدية الرسية - بسنة واحدة .

وكان يسكن « الفرع » - من أرض الحجاز - من نواحي « الربذة » - على الطريق بين مكة والمدينة - كان يسكنها مع أبيه وأعمامه ..

ولقد نشأ يحيى بن الحسين فقيها عالماً ورعاً .. مع امتيازه في الفروسية والشجاعة والبطولة .. حتى قيل إنه كان يطعن الخنطة بكفه إذا ضغط عليها ! ..

وفي سن الخامسة والثلاثين عقدت له البيعة بإمامية الزيدية [سنة ٢٨٠ ه = ٨٩٣ م] .. وكانت الزيدية هي الفرقة العلوية ، المنافسة لبني العباس ، وصاحبة الثورات المتعددة منذ إمامها الأول زيد بن علي بن الحسين [٧٩ - ١٢٢ ه = ٦٩٨ - ٧٤٠ م] الذي ثار بالكوفة على عهد الخليفة الأموي

هشام بن عبد الملك [٧١ - ١٢٥ هـ = ٧٤٣ - ٦٩٠ م] ..

و كانت البيعة ليعسى بن الحسين على عهد الخليفة العباسى المعتصم [٢٤٢ - ٢٨٩ هـ = ٨٥٧ - ٩٠٢ م] .. وبعد محاولة غير ناجحة قام بها يعسى بن الحسين لإقامة دولة زيدية بأرض اليمن ، عاد مرة ثانية إلى الحجاز .. ثم عاد فكرر المحاولة مرة أخرى ، بعد أن دعاه أهل اليمن إليهم ، و راسمه أحد ملوكها ، وهو أبو العتاهية الهمданى .. فذهب الإمام يعسى إلى اليمن ، ودخل إلى مدينة صعدة في (شهر صفر سنة ٢٨٤ هـ - مارس سنة ٨٩٧ م) حيث تجمع في إقامة دولة زيدية مستقرة باليمن لأول مرة في تاريخ الدول والثورات الزيدية .. فلقد بايده أبو العتاهية الهمدانى .. وقام بتأليف وإصلاح العلاقات بين العديد من القبائل التي بايده بالإمامية .. مثل : قبائل خولان - التي أنهى فتنتهم .. وبني الحارث بن كعب .. وبني عبد المدان ..

ثم قام بفتح بلاد « نجران » ، وأقام بها مدة .. و خاض المعارك العديدة ضد ولاة بني العباس ، وأحرز عليهم الانتصارات .. فلقد كان الإمام يعسى بن الحسين - إنى جانب إمامته في العلم - وخاصة علم الكلام - إماماً في الشجاعة و فنون القتال .. وكانت مقدرته الحربية متميزة باهتمامه بالجوانب العملية ؛ إذ كان يشارك بنفسه في المعارك الحربية .. مطبقاً المبدأ الزيدى في الإمامة وشروط الإمام وصفاته .. إذ الإمام عندهم ليس الذي تصله الإمامة بالورصية والوراثة ، وإنما هو

الذي يجرد السيف مقاتلاً ولاة الجور والضعف والفساد ! ..
ولقد غزا القرامطة في عهده يlad اليمن ، واحتلوا صنعاء ..
وكان يقود جيشهم علي بن الفضل - وأصله عامل نجاشي من
أهل الكوفة ! .. دارت معارك كثيرة بين بخي بن الحسين
 وبين الجيش القرمطي ، حتى لقد أحصيت له ضيدهم ثلاثة
وسبعون معركة ! .

وعندما اشتد باس القرامطة ، خلال هذا الصراع ، وخافهم
الناس ، جمع الإمام بخي أنصاره ، وكانوا ألف رجل ،
وخطب فيهم قائلاً : « أتفرعن وأنتم ألفاً ! .. أنتم
ألف ، وأنا أقوم مقام ألف ! .. » .. ثم انتخب منهم ثلاثة
رجل ، سلّحهم بأسلحة الباقيين ، وشنّ بهم هجوماً ليلاً على
جيش القرامطة ، وفي غفلة منهم ، فتحقق النصر الذي أجلاه
به عن صنعاء ! .

ولقد امتدت حدود دولته إلى ما وراء اليمن ، حتى لقد
خطب خطباء مكة فدعوا له على منابرها سبع سنوات ..
وضربت السكة - [النقد] - باسمه .. فكان المؤسس
ال حقيقي لدولة الإمامة الزيدية باليمن ، والتي حكمها أئمة
أغلبهم من نسله .. فاستمر حكمها حتى ثورة اليمن في جماد
الأول سنة ١٣٨٢هـ = سبتمبر سنة ١٩٦٢ م .

ولم تكن الحياة الفكرية للإمام بخي بن الحسين بأقل
خصوصية من حياته السياسية والخزارية .. بل لقد سبقت إمامته

ال الفكرية إمامته السياسية .. فقبل حربه باليمين ودولته فيها اشتهر بنشاطه الفكري ومؤلفاته العلمية في بلاد « الدليم » و « آمل » و « العراق » .. وكان الفكر السياسي والتأليف في الإمامة ميدانًا من الميدانين الفكريتين التي قدم فيها العديد من الكتب والرسائل .. فله في هذا الفن :

- ١ - [كتاب فيه معرفة الله .. واثبات النبوة والإمامية ..] .
- ٢ - و [جواب مسألة النبوة والإمامية] .
- ٣ - و [ثبيت إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب] .
- ٤ - و [كتاب في ثبيت الإمامة] .
- ٥ - و [عهد أهل الذمة] .

هذا غير كتبه ورسائله في [تفسير القرآن العظيم] وفي مسائل علم الكلام وأصول الدين ، الذي كان فيه - ككل الزيدية - على مذهب المعتزلة .. وهي كتب ورسائل يقترب عددها من الخمسين .

وفي الثالثة والخمسين من عمره ، توفي الهادي إلى الحق بخي بن الحسين بمدينة « صعدة » اليمنية في العشرين من (شهر ذي الحجة سنة ٢٩٨ هـ = أغسطس سنة ٩١١ م) .
وقيل : إنه قد مات مسموماً - وقبره ومشهده بمسجده

الجامع مشهور حتى الآن .

ولقد كان الإمام يحيى في الفقه على مذهب الإمام زيد بن علي .. وله في الفقه كتاب [الوافي في فقه الهاشمية الزيدية] .. وهو مجموع فتاواه ، وفتاوى جده القاسم الرسي - جمعها أبو الحسن علي بن بلال الأملاني الزيدى - .. ولأهمية جهوده العلمية في هذا الميدان ، سمي المذهب الفقهي الذي ساد دوائر الزيدية باليمن ، منذ عهده وحتى الآن ، بمذهب الهاشمية الزيدية (١) ! .

(١) [رسائل العدل والتوجيه] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عماره - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

(١٥) الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَادَ

[٩٣٨ - ٣٢٦ هـ = ٩٩٥ م]

هو الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَادَ [٣٢٦ - ٣٨٥ هـ = ٩٣٨ م] ٩٩٥ م [أَبُو القَاسِمِ ، الطَّالقَانِيُّ ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادَ بْنُ الْعَبَّاسِ .. وَالطَّالقَانِيُّ - نَسْبَةٌ إِلَى « الطَّالقَانِ » - الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فِي (ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةُ ٣٢٦ هـ = سِبْطَمْبَرُ سَنَةُ ٩٣٨ م) .

وَلَقَدْ كَانَ وَالدُّهُ وَزِيرًا فِي الدُّولَةِ الْبُرِيَّهِيَّهِ [٣٢٠ - ٤٤٧ هـ = ٩٣٢ - ١٠٥٥ م] ذَاتِ الْمَذْهِبِ الشِّعْعِيَّهِ .. الْمُعْتَدِلَهُ فِي تَشْيِيعِهَا .. فَلَقَدْ كَانَتْ قَرِيبَهُ مِنْ تَشْيِيعِ الرِّيَدِيَّهِ - وَزِيرًا لِأَمْرِهَا رَكْنَ الدُّولَهِ .

وَلَقَدْ نَشَأَ الصَّاحِبُ فِي صَحِيحَهُ الْأَمْرِ الْبُرِيَّهِيِّ مُؤَيدَ الدُّولَهِ .. وَمِنْ هَذِهِ الصَّحِيحَهُ اسْتَهَرَ بِلَقْبِ (الصَّاحِبُ) ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ .. حَتَّى لَقَدْ لَقِبَ بِهِ الْوُزَرَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ! .

وَكَانَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَادَ مِنْ نَوَابِعِ الْأَدْبَاءِ وَالْبَلَغَاءِ فِي عَصْرِهِ .. كَمَا كَانَ لَهُ إِنْتَامٌ بِعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَخَاصَّةً عَلَى مِذْهَبِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْتَّوْحِيدِ .. أَخْذَ عِلْمَ الْأَدْبِ وَاللُّغَهُ عَنِ أَبِي الْحَسِينِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ الْلُّغَويِّ - صَاحِبِ كِتَابِ « الْجَمْلُ فِي الْلُّغَهِ » .

كَمَا أَخْذَ عَنِ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ الْعَمِيدِ .. وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَئِمَّهِ الْأَدْبِ وَاللُّغَهِ .. وَكَانَ لَهُ صَحِيحَهُ مَعَ إِمامِ الْمُعْتَدِلَهِ فِي عَصْرِهِ : قَاضِي الْقَضاَهِ عَبْدُ الْجَبارِ بْنُ أَحْمَدَ الْهَمَدَانِيِّ [٤١٥ هـ = ١٠٢٤ م] الَّذِي تَولَى - فِي عَهْدِهِ - مَنْصَبَ قَاضِي الْقَضاَهِ -

الموازي لمنصب « وزير العدل » في عصرنا .

وكما اشتهر الصاحب في الأدب والعلم .. كذلك اشتهر كواحد من أبرز الذين تولوا منصب الوزارة .. فلقد تولى الوزارة للأمير البويري مؤيد الدولة ابن بويعه الديلمي [٣٧٦ - ٣٧٣ هـ = ٩٧٦ - ٩٨٣ م] فلما توفي ، وخلفه أخوه فخر الدولة [٣٧٣ - ٣٧٨ هـ = ٩٨٣ - ٩٨٨ م] استغنى الصاحب من الوزارة .. لكن فخر الدولة ألى أن يعفيه واستبقاءه في الوزارة ، قائلًا له : إن لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه !

ولقد كانت إدارته لشuren الدولة موضع إعجاب أمراء وملوك عصره ، حتى لقد كتب إليه ملك خراسان وما وراء النهر نوح بن منصور يعرض عليه أن يلي الوزارة له .. فاعتذر - في أدب - بتعذر انتقاله من مدينة « الري » ؛ لأن مكتبه تحتاج إلى أربعينأة جمل ليحملوا ما بها من الكتب ! .. وذلك فضلاً عن كثرة حاجياته .. وتعداد حاشيته ! .

وكان الصاحب منهايا لدى الأمراء الذين وزّر لهم .. حتى لقد كان إذا استأذن في الدخول على الأمير فخر الدولة ، وهو في « مجلس الأنس » ، غادره ليلقاه في « مجلس الحشمة » . ولما مازحه فخر الدولة مرة ، غضب الصاحب ، وقال له : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى البهزل ! .. ونهض فغادر المجلس ..

فما زال فخر الدولة يراسله ويسترضيه حتى عاد وصفاً الجمر
يneathما ١ .

وفي سنة (٩٣٧٧ هـ = ١٩٨٨ م) قاد الصاحب
ابن عباد حملة حربية على إقليم طبرستان ، فاستولى عليها ،
وضمها إلى الدولة البوهيمية ، وقام بتنظيم شئونها .

ولقد نافس شهرته في الجود والكرم شهرته في الأدب
والوزارة .. فكان مجلس أدبه وعطائه النموذج الذي يحاكي -
في عصره - نموذج مجلس هارون الرشيد [١٧٠ - ١٩٣ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩ م] ..

ومن الآثار اللغوية والأدبية التي أبدعها الصاحب ابن عباد :
كتاب « الخيط » في اللغة .. الذي رتبه على حروف المعجم -
وهو في سبع مجلدات - .. وله كتاب « الكافي » - في
الرسائل - .. وكتاب « الأعياد وفضائل التبروز » .. وكتاب
« الكشف عن مساوى شعر المتنبي » .. وكتاب « الإقناع في
العروض وتخريج القوافي » .. ورسالة في « عنوان المعرفة وذكر
الخلاف » .. وله رسائل جمعت في كتاب « الخثار من رسائل
الوزير ابن عباد » .. كما كان له شعر رقيق جمع في ديوان .
أما في السياسة : فإن من كتاباته فيها : كتاب « الوزراء » ..
وكتاب « الإمامة » ..

وله في علم الكلام : كتاب « الإبانة عن مذهب أهل

العدل » .. وكتاب « أسماء الله تعالى وصفاته » .
ولقد توفي الصاحب ابن عباد - بالري - [في صفر سنة
١٣٨٥هـ = مارس سنة ٩٩٥م] .. ونقل جثمانه إلى مدينة
أصفهان ، حيث دفن في قبة بمكان يعرف بباب دريه (١) ..

(١) [رسائل الصاحب ابن عباد] - تحقيق : عبد الوهاب عزام ، د. شرقى
ضيف - طبعة القاهرة سنة ١٢٣٦هـ [دائرة معارف البستانى] - تحرير المعلم
بطرس البستانى - طبعة مصورة - طهران ،

(١٦) الباقلاني

[٣٣٨ - ٩٥٠ = ٤٠٣ - ١٠١٣ م]

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر . ولد بالبصرة ، وعاش في بغداد ، وبلغ من العلم أن كان رأس علماء الأشعرية في عصره ، والمبرز في علم الكلام .. وأحد أعلام الفقه المالكي ..

والباقلاني - مع الجوني [٤١٩ - ٤٧٨ = ١٠٢٨ هـ] -
- ١٠٨٥ م [والغراني [٤٥٠ - ٥٠٥٠ = ١٠٥٨ هـ]] -
هم أبرز من طور ونشر المذهب الأشعري - والباقلاني أحد المذهب عن تلميذ مؤسسه أبو الحسن الأشعري [٢٦٠ - ٧٢٤ هـ = ٨٧٤ م] - .. ولقد قال عنه ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ م] : إنه خير متكلمي الأشاعرة ، لا يدانيه سابق ولا لاحق .

وفي انتصار الباقلاني للمذهب الأشعري يتجلى الاحتكام إلى المنطق ، والجدل النظري ، والأدلة والبراهين العقلية ، أكثر مما نجد الوقوف عند التصوص وحدها .. كما نجد عنده جديداً في مذهب الأشعري في « الكسب » ، فهو يجعل « لقدرة الإنسان الحادثة تأثيراً في وجود الفعل الإنساني ، وفي وقوعه على هيئة مخصوصة دون سواها من الهيئات » .

ولقد سافر على الباقلاني لسلطان الدولة البوهيمية عضد

الدولة ، إلى بلاط ملك الروم ، وهناك - في القَسْطَطِنْتِينِيَّةِ -
كانت له مناظرات مع علماء التصريانية شهدتها الملك .
ومن بين آثاره الفكرية - التي بلغت اثنين وخمسين كتاباً -
بقي ستة كتب .. منها : « التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة
والرافضة والخوارج والمعزلة » و « إعجاز القرآن » و « الانتصار
للقَرآن » (١) .

٠ ٠ ٠

(١) [التمهيد] للباقيلاسي - دراسة وتحقيق : محمود محمد الحضيري ،
د. محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ م [تيارات الفكر
الإسلامي] للدكتورة محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٩١ م .

(١٧) القاضي عبد الجبار

[٤١٥ هـ = ١٠٢٤ م]

هو قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني الأسد آبادى .

ولد بمدينة أسد آباد ، الفارسية ، حوالي العقد الثالث من القرن الرابع الهجري .. وفيها وفي « فزورين » بدأ تلقى دروسه الأولى في الفقه والأصول والكلام والحديث على أبرز علمائها .. ثم رحل إلى همدان .. وإلى أصفهان ، فأخذ عن أعلام العلم فيها .. وكان أشعرًا في المذهب الكلامي ، شافعياً في المذهب الفقهي ..

وفي [٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م] غادر القاضي عبد الجبار أصفهان إلى البصرة - وكانت مركز الفكر المعتزلي - فتلمذ على شيخ المعتزلة فيها أبو إسحاق إبراهيم بن عياش ، فتحول إلى مذهب المعتزلة .. ومن البصرة سافر إلى بغداد ، فواصل دراسة الاعتزال على الشيخ أبو عبد الله بن الحسين بن علي البصري [٣٦٩ هـ = ٩٧٩ م] حتى أصبح من علماء المعتزلة وأعلامها .

وفي أوائل [٣٦٩ هـ - ٩٧٩ م] غادر القاضي بغداد إلى مدينة « رامهرمز » - بنواحي خوزستان - وكانت من معاقل المعتزلة - وفيها شرع يلقى دروسه بأحد مساجدها ، وهناك

أمثل كتابه الجامع «المغني في أبواب التوحيد والعدل» الذي يعد أكبر موسوعات الفكر الاعتزالي على الإطلاق.

والثاني «الري» عاصمة الدولة البوئية دعاه الصاحب ابن عباد [٩٣٨ - ٩٣٨٥ هـ = ٩٥٥ م] - أبرز وزراء الدولة البوئية - حيث تولى منصب قاضي القضاة - وزير العدل - فيها .. وواصل هناك حياة التدريس والتأليف والإملاء.. مع رحلات للعلم والتعليم والمحاجة والقضاء ، كان يعود بعدها إلى الري.

ولقد مثل القاضي عبد الجبار صحوة الفكر الاعتزالي ، بعد المحنّة التي أصابته في عهد المتنوكل العباسى [٦٠٦ - ٦٤٧ هـ = ٨٦١ - ٨٦١ م] .. وتعد كتبه ورسائله - الشيء قارب السبعين - ومنها «المغني» الذي يقع في عشرين جزءاً ، أبرز ما يبقى في المكتبة الإسلامية من تراث المعتزلة.

والى جانب تأليفه وأماليه ، فلقد نبغ على يديه كوكبة من العلماء الأعلام ، الذين واصلوا الحفظ والتقطير والنشر للفكر الاعتزالي ، الأمر الذي جعل من القاضي عبد الجبار «مدرسة» وليس مجرد عالم من أكابر العلماء (١).

* * *

(١) [قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد البهذاني] للدكتور عبد الكريم عثمان - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ م [رسائل العدل والتوحيد] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٧ م .

(١٨) الشريف المرتضى

[٢٥٥ - ٤٣٦ هـ = ٩٦٦ - ١٠٤٤ م]

هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم الموسوي . ولد وعاش وتوفي ببغداد .. وكان من أعلام آئية الشيعة الائتية عشرية في عصره ، ومن العلماء الأفذاذ في الكلام ، والأصول ، والفقه ، والت نحو ، والتفسير ، والأدب والشعر .. وكان مع أخيه الشريف الرضا [٣٥٩ - ٤٠٦ هـ = ٩٧٠ - ١٠١٥ م] أبرز علماء العراق في ذلك العصر .

ورغم الوسط الشيعي الإمامي الذي نشأ فيه المرتضى ، فقد أخذ العلم عن علماء غير شيعة ، ومن أساتذته قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني [٤١٥ هـ = ١٠٢٤ م] أخذ عنه أصول الاعتراف ، وظل خلافهما حول « الإمامة » قائماً ، جسده كتاب « الشافي في الإمامة » الذي رد به التلميذ - المرتضى - على أستاذه - عبد الجبار - في هذا الموضوع . ولقد بلغت إمامته للشيعة الائتية عشرية ، في عصره ، الدرجة التي تولى فيها « تقابتهم » تقابة الطالبيين ..

أما آثاره الفكرية ، في العلوم والفنون التي برع فيها ، فقد قاربت التسعين .. منها : « الأمالي » - وهو عمل موسوعي - و« الذخيرة » - في الأصول - و« الانتصار » - في الفقه الشيعي - و« إنقاذ البشر من الجبر والقدر » - في الحرية

والاختيار - و « ديوان شعر » - حضم من شعره أكثر من عشرة
آلاف بيت^(١) ..

* * *

(١) [رسائل العدل والتجريد] دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة - طبعة ثان
الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٧ م.

(١٩) البيروني

[١٠٤٨ - ٩٧٣ هـ = ٣٦٢ م]

هو أبو الريحان ، محمد بن أحمد البيروني .

ولد في « بيرون » - من أعمال خوارزم - ببلاد فارس - من أصول فارسية - و McKث بها نحوًا من عشرين عاماً ، دارستا و متعلماً لعلوم العربية و أدابها و للفقه و العلم و الفلسفة .. ثم طوف في بلاد فارس وأفغانستان و العراق و الشام طلبًا للتضليل في العلوم و الفنون .. و اتصل بيلات سلاطين و ملوك و رؤساء الدوله الساسانية و الغزنوية ، فأحلمه علمه فيها مكاناً مرموقاً .

ولقد نبغ البيروني في الفلسفة - و استعمل بالتوافق بين الفلسفة والمذين . - و نبغ في التاريخ ، حتى عده علماء الشرق و الغرب أعظم وأدق من أرخ حضارات الأمم و الشعوب الشرقية .. و بلغ في الرياضيات وفي الفلك المرتبة التي مثلت قمة عصره ، و جعلت منه التمهيد للدراسات الفلكية الحديثة ، و له في الفلك و الرياضة وحدهما أربعون كتاباً و رسالة .

و من الأفكار والنظريات والنظريات التي ارتقى ميدانها : قوله بإمكان ربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض .. وأن الصوت أسرع من الضوء .. و له معادلة لاستخراج مقدار محيط الكرة الأرضية ، سماها العلماء الغربيون : « قاعدة البيروني » و عدوها من الأعمال العلمية الهامة .

وفي جولات البيروني بأقاليم دار الإسلام لقى ابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م] وكانت بينهما مناظرات ومراسلات .. وبعد عودته من الهند استقر في بلاط الدولة الغزالية ، في صدارة العلماء .

ومع الأصول العرقية الفارسية للبيروني ، وحذقه للفارسية ، فقد وضع مؤلفاته بالعربية .. بل لقد بلغ اعترافه بالعربية ولاؤه لها إلى الحد الذي قال فيه : لأن أهججا بالعربية أحب إلى من أنا أمدح بغيرها .

وفي ظل حكم الدولة الغزالية ، ذهب البيروني إلى الهند ، وتعلم لغتها السنسكريتية ، وعاش مع تراثها الحضاري وفكرها الفلسفية وعادات شعوبها وتقاليدها ومذاهبها الدينية سنوات ، فكان بمثابة يعثة علمية كاملة .. ثم سطر معارفه عن هذه الحضارة في مؤلفات لا تزال حتى الآن على النطاق العالمي ، أولى وادق المصادر في حضارة الهند وأديانها ومذاهبها وفلسفاتها - وخاصة كتبه : « تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة » و « تاريخ الأمم الشرقية » و « تاريخ الهند » .

ولقد ذكر ياقوت الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦ هـ = ١١٧٨ - ١٢٢٩ م] في « معجم الأدباء » أنه رأى - في مرو - فهرساً لمؤلفات البيروني ، يشغل ستين ورقة - قد كتبت « بالخط الكثيف » - الصغير ! .. ومن هذه الكتب : « الآثار الباقية عن القرون الخالية » و « الاستيعاب في صنعة الاسطراط »

و « الجماهر في معرفة الجواهر » - وهو الذي أهداه إلى الملك المعظم أبي الفتح مودود - و « القانون المسعودي » في الهيئة والنجوم - أي الفلك - والجغرافية - أهداه إلى السلطان الغزنوبي مسعود بن محمود بن سبكتكين - صاحب « غزنة » سنة (٤٢١هـ) .. ولما أراد السلطان مكافأته عليه ، بعث إليه بثلاثة جمال محملة بتقدمة القضية ، اعتذر البيروني عن عدم قبولها ، وقال : إنه إنما يخدم العلم للعلم لا للمال ! .

ومن كتبه كذلك : « الإرشاد » في أحكام النجوم ، و « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكين » و « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » - في الفلك - و « استخراج الأوتار » - في الهندسة - و « كتاب الصيدلة » و « رسالة في الصلة بين أحجام المعادن والجواهر » و « رسالة في النسب بين الفلوات والجواهر في الحجم » .

ولقد ترجمت الكثير من مؤلفات البيروني إلى كثير من لغات الحضارة الغربية ، وعده علماؤها واحداً من أكبر العقول العلمية في تراث الإنسانية ياطلاق .. وكانت لمؤلفاته آثار عظيمة في التهضبة الغربية وفي العلم الحديث ^(١) .

* * *

(١) [معجم أعلام الفكر الإنساني] للذكرى إبراهيم مذكور . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م ، و [الأعلام] لخير الدين الزركلي ، طبعة بيروت ، و [دائرة المعارف الإسلامية].

(٤٠) الماوردي

[٣٦٤ - ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨ م]

هو أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب .

ولد بالبصرة ، ودرس على مشاهير علمائها الفقه والحديث والكلام والتفسير وغيرها من علوم الشرعية وعلوم العربية .. ثم انتقل إلى بغداد ، فواصل التقلي عن علمائها ، حتى بلغ مرتبة التدريس والتأليف والإمامية في كثير من العلوم .

وتولى الماوردي في الدولة العباسية منصب القضاء .. وتنقل وتدرج في ولاية القضاء حتى بلغ مرتبة « أقضى القضاة » - وهو الذي يلي منصب « قاضي القضاة » - المماثل لوزير العدل في زماننا .

ومن البناء الفكري الذي تركه لنا الماوردي تأكيد إمامته العلمية ، لا في عصره وحده ، بل وعلى امتداد تاريخنا الحضاري .. فمن بين الائتمي عشر كتاباً التي بقيت لنا من آثاره ، مثل موسوعته في الفقه « الحاوي الكبير » وهي تقع في أكثر من ثلاثة جزئاً - ديواناً في فقه المذهب الشافعي .. كما يمثل كتابه الصغير « أدب الدنيا والدين » كتاباً في الحكماء والأدب نادر المثال .

أما تراثه في القضاء : ومنه كتابه الفذ « أدب القاضي » ؟ فهو ذخيرة في تقاليد القضاء ، وفي تفنيق فقه المعاملات .. وله في التفسير ، والنبوات ، والتحوّر آثار فكرية متميزة ..

أما تراثه في السياسة ، وفي الولايات والأحكام السلطانية : فعلامة بارزة على درب تطور هذا العلم في تراثنا الإسلامي .. فكتابه « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » بداية لتميز هذا البحث عن مباحث علم الكلام ، وفيه تقدير للتجربة الإسلامية في الأحكام السلطانية حتى عصر المأوردي .. وهو مع كتبه « نصيحة الملك » و « تسهيل النظر » و « قوانين الوزارة وسياسة الملك » ذخيرة في الفكر السياسي الإسلامي ، النظري منه والتطبيقي .

وعلى الرغم من صغر حجم كتابه « أدب الدنيا والدين » إلا أنه واحد من « كتب الفكر » التي حوت « مذهب » صاحبه في « الإصلاح » .

ففيه يعلمنا المأوردي : أن الإنسان كائن اجتماعي .. وأن السلطة في الاجتماع الإنساني مدنية .. وأن للإصلاح ست قواعد ، هي : الدين المتبع .. والسلطان القاهر .. والعدل الشامل .. والأمن العام .. والخصب الدار .. والأمل الفسيح .. ولقد قدم لقواعد الإصلاح هذه التفاصيل التي جعلتها مذهبه متاماً ومنهاجاً شاملاً في الإصلاح الاجتماعي ^(١) .

* * *

(١) [أدب الدنيا والدين] للmAوردي - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م . [مسلمون ثوار] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٢١) أبو يغلب الفراء

[٣٨٠ - ٤٥٨ هـ = ٩٩٠ - ١٠٦٦ هـ]

هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء .

ولد ببغداد ، وبها نشأ وتفقه .. واتصل بالخلفاء العباسيين وولي قضاء بغداد والحرير وحران وحلوان ، على عهد الخليفة القائم بأمر الله [٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣١ - ١٠٧٥ م] .

وكان أبو يعلى إمام الحنابلة في عصره ، نبغ في الأصول ، والفقه ، والقرآن وعلومه ، والتاريخ ، وأصول الديانات ، والمذاهب والفرق ، وعلم الكلام .

وكان تقىً يأخذ نفسه بما يعتقد ، فامتنع - رغم خدمته للدولة العباسية وخلفائها - عن المشاركة في المراكب والاستقبالات وغضبهان مجالس الخلفاء والولاة ، وقبل منه الخلفاء ذلك .

وكان معاصرًا للماوردي [٣٦٤ - ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨ م] الذي كان شافعي المذهب الفقيهي .. ومعترفًا في الأصول - ويرجح البعض أن كتاب الفراء « الأحكام السلطانية » هو ذات كتاب الماوردي - الذي يحمل ذات العنوان - وأن الفراء قد « تبناه » مع إضافات وتعديلات طفيفة !.

ومن آثاره الفكرية : « الكفاية في أصول الفقه » و « أحكام

القرآن » و « أربع مقدمات في أصول الديانات » و « تبرئة
معاوية » و « المجرد » - في الفقه الحنفي - وردود على الأشعرية
والكرامية والسائلية والمجسمة ، وغيرها من الفرق ^(١) ! ..

٤٤٦

(١) [تاريخ بغداد] للخطيب البغدادي - طبعة القاهرة الأولى .

(٤٤) إمام الحرمين الجويني

[١٠٨٥ - ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ - ٤١٩]

هو إمام الحرمين ، أبو المعالي ، ركن الدين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني .

عربي النسب ، من قبيلة طيء . ولد في « جوين » - التي ينبع إليها - وهي من نواحي نيسابور - ببلاد فارس . وكان أبوه واحداً من علمائها .. وعلى يديه تلقى العلم .. كما درس على أبي القاسم الإسقرايني .. وعلى البيهقي أحمد بن الحسين .. وعلى شيخ القراء الحبازي أبو عبد الله محمد بن علي .. وغيرهم من أعلام عصره ..

ولقد أجلس الجويني للتدرس وهو ابن عشرين عاماً ، وذلك لنبوغه المبكر .. وللعقلية الناقدة التي تميز بها .. وكانت نيسابور ، في الصدر الأول من الحياة العلمية للجويني مسرحاً للفتن والصراعات بين السنة والشيعة والمعتزلة .. الأمر الذي اضطر الجويني إلى أن يرحل عنها ضمن من رحل من علماء أهل السنة والجماعة - الأشاعرة - .. فذهب إلى بغداد .. ومنها إلى مكة المكرمة حيث جاور بها أربع سنوات ، ومنها ذهب إلى المدينة المنورة .. وأنه درس فيها وأفتى اشتهر بلقب « إمام الحرمين » .. وما هدأت الفتنة في نيسابور عاد إليها ، ودامست إقامته بها - باستثناء زيارة لأصبهان - .. وفي نيسابور بني له الوزير نظام الملك [٤٠٨ - ٤٨٥ هـ = ١٠١٨ -

١٠٩٦ م] «المدرسة النظمانية» الشهيرة ، فجلس للتدريس بها ، وعنه أخذ العلم فيها أكابر العلماء .. ومنهم أبو حامد الغزالى .

ولقد تبوأ الجويني مكان الإمامة العلمية في علم الكلام ، حتى كان أحد ثلاثة : مع الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ] - ١٠٥٨ هـ - ١١١١ م] والباقلانى [٤٥٣ هـ = ١٠١٣ م] - طوروا المذهب الأشعري ، بعد مرحلة تأسيس الأشعري [٢٦٠ - ٣٢٤ هـ = ٨٧٤ - ٩٣٦ م] لقواعد .. وفي أصول الفقه .. وفي فقه المذهب الشافعى .. كما كان له خوض في علوم الصوفية ومجاهداتهم .. ولقد زادت مؤلفاته على الأربعين .. منها في أصول الفقه : «البرهان» و «الورقات» و «التحفة» ..

وفي الفقه : «نهاية المطلب» و «محضر النهاية» .. وفي علم الكلام : «الإرشاد» و «الشامل» و «العقيدة النظمانية» و «لمع الأدلة» ..

وفي الخلاف والجدل : «الأساليب» و «الكافية» و «الدرة المضية» فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية ..

وفي التفسير : «تفسير القرآن الكريم» .

وفي الحديث : «الأربعون حديثاً المختار» .

وله في الإمامة والولايات والسياسة : كتابه الفذ «غیاث الأئمہ والثبات الظلم» .

ورغم أن الحنابلة قد هاجموه ، متهمين إياه بالاشتغال

بالفلسفة ، ومدعين عليه دعاوى لو صحت لكان كفراً والحاداً .. إلا أن حياته العلمية وآثاره الفكرية شاهدتان على ورعه ووسطيته واعتداله ، كأحد أعلام الأشعرية الذين يمثلون جمهور أهل السنة والجماعة .

لكن الرجل كان - ك תלמידه الغزالي - صاحب تجربة غي معاناة الحيرة بين مسالك العلماء لتحصيل اليقين الإيماني ، الذي يصلح في الرسوخ - عبر النظر والاجتهد - بيقين العجائز المقلدين ! .. ولقد عبر عن معاناته في رحلته الفكرية هذه بالعبارة - التي ينقلها عنه السبكي [٧٢٧ - ٧٧١ هـ = ١٣٢٧ - ١٣٧٠] في « طبقات الشافعية » - والتي يقول فيها : « لقد قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً . ثم خللت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة وركبت البحر الحضم ، وغضت في الذي نهى الإسلام عنه . كل ذلك في طلب الحق . وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد ، والآن قد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق . عليكم بدين العجائز » ! .

وعندما توفي الجوزي ، كان له أربعمائة تلميذ يحضرون حلقة علمه في نيسابور ، فكسرروا محابرهم وأقلامهم ، وأخذوا يطوفون الشوارع باكين .. واستمر حدادهم هذا واضرابهم عن طلب العلم على سواه حولاً كاملاً^(١) .

(١) [لمع الأدلة] للجوزي . تقديم وتحقيق : دكتوره فوقيه حسين محمود . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م ، و [الغزالي - غيات الأنبياء في العيات الظلم] =

(٤٧٩) شهرستاني

[١١٥٣ - ١٠٨٦ = ٥٤٨ - ٤٧٩]

هو أبو الفتح ، محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر
أحمد شهرستاني .

ولد في « شهرستان » - التي ينسب إليها - وهي من مدن
فارس - بين نيسابور وخرارزم - ونشأ بها ، وتعلم وبلغ فيها ..
ثم انتقل إلى بغداد سنة (٥١٠ هـ) ، فأقام بها ثلاث سنوات ،
عاد بعدها ليستقر في شهرستان بقية حياته .

ولقد بلغ شهرستاني في الفلسفة ، حتى عد من فلاسفة
المسلمين .. وفي علم الكلام ، حتى عد من أئمة هذا العلم ..
وكان فيه واحداً من متكلمي الأشاعرة ، الذين يمثلون وسطية
الأمة وجمهورها في مذاهب الكلام .. وكذلك اشتهر بالفقه ،
على مذهب الشافعي ، فكان واحداً من الفقهاء المبرزين .

ولأن الإسلام - ومن ثم فكره وحضارته - قد جعل من
« التعددية » في الشرائع سنة من مبنى الله في الاجتماع الديني ،
الأمر الذي تجسّد في تعددية الملل والشحل في الدولة الإسلامية ،
تميّزت الحياة الفكرية الإسلامية بفن التأليف في الملل والمذاهب

= للجوبي - تحقيق وتقديم : د. عبد العظيم النديب . طبعة الدولة سنة ١٤٠٠ هـ
و [طبقات الشافعية] لأبي بكر بن هداية الله الحسني . تحقيق : عادل نويهض .
طبعة بيروت سنة ١٩٧١ م ، و [الأعلام] لخير الدين الزركلي . طبعة بيروت .

والنحل .. وكان الشهرستاني أبرز علماء الإسلام الذين ألفوا في هذا الفن ببلاد الشرق الإسلامي - كما كان ابن حزم الأندلسي [٢٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] أبرز المؤلفين فيه بلاد الغرب الإسلامي .. وبعد كتاب الشهرستاني « الملل والنحل » من أهم وأدق وأوثق المصادر الفكرية في هذا الميدان .

كما يعد كتابه « نهاية الأقدام في علم الكلام » تجسيداً دقيقاً لمعنى عنوانه ! .. يشهد على علو كعبه بين المتكلمين المسلمين .

كذلك تشهد العناوين الأخرى لممؤلفات الشهرستاني على رسوخ قدمه كفليسوف .. بل وعلى موسوعته التي أحاطت بكثير من علوم عصره وفتوح زمانه .. فمن هذه المؤلفات - غير « الملل والنحل » و « نهاية الإقدام في علم الكلام » - : « الإرشاد إلى عقائد العباد » و « تلخيص الأقسام إلى مذاهب الأنام » و « مصارعات الفلسفه » و « تاريخ الحكماء » و « المبدأ والمعاد » و « تفسير سورة يوسف » - بأسلوب فلسفى و « المناهج » و « البيانات » و « كتاب المضارعة » .

وعلى الرغم من إمامته الشهرستاني في الفلسفة وعلم الكلام ، إلا أنه كثثير من علماء الإسلام ، كانوا يوظفون الفلسفة في دعم اليقين الإيماني .. فالمطلب والمقصد كان اليقين ، الذي رأوا نموذجه في « إيمان العجائز » أو « دين العجائز » - حسب تعبير الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ =

١٠٥٨ - ١١١١ م] والشهرستاني - ١ .. لقد أرادوا يقين إيمان العجائز ودينهم ، لا بواسطة « التقليد » ، وإنما بواسطة عقلانية الفلسفه الإلهيين ومتكلمي المسلمين .. وعن هذه الحقيقة عبر الشهرستاني في مقدمته لكتابه « نهاية الإقدام في علم الكلام » - بعد أن تتمثل ببنتين من الشعر لابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨ = ٩٨٠ هـ] يقول فيها :

لقد ظفت في تلك المعاهد كلها
وسيرت طرف في بين تلك المعالم
على ذقني أو قارئاً مائة نادم !
فلم أر إلا واضعاً كف حائز
بعد أن ذكر الشهريستاني بيته ابن سينا المغربي عن حيرة
الذين طلبوا اليقين في الفلسفة بدلاً من توظيف الفلسفة لدعم
اليقين بالإيمان الديني .. قال : « ... فعليكم بدين العجائز ،
 فهو من أسمى العجائز ، وإذا كان لا طريق إلى المطلوب من
المعرفة إلا الاستشهاد بالأفعال ، ولا شهادة للفعل إلا حيث
احتياج الفطرة وأضطرار الخلقة ، فحيثما كان العجز أشد كان
اليقين أقوى وأكدر ... » !

إنها منزلة « معرفة الإنسان » من « علم الدين » ! ..
والموقف الموضوعي والتوابع لأئمة فلاسفة الإسلام (١) ! ..

(١) [مفتاح السعادة ومصباح المساجدة] لطاش كبرى زاده . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م ، و [نهاية الإنعام في علم الكلام] للشهرستاني . تحقيق : الفريد جيوم ، و [الأعلام] لغير الدين الرزركلي - طبعة بيروت .

(٤٤) البيهقي

[١١٧٠ - ١١٥٦ هـ = ٤٩٩ م]

هو أبو الحسن ، ظهير الدين ، ابن فندق : علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي .

ونسبته إلى « بيهق » - من أعمال نيسابور - بلاد فارس -
التي ينسب إليها أعلام آخرون ، منهم البيهقي المحدث [٣٨٤] -
٤٥٨ هـ = ٩٩٤ م - ١٠٦٦ م] والبيهقي الأديب [٤٧٠] -
٥٤٤ هـ = ١٠٧٧ م - ١١٥٠ م] .

ولقد ولد البيهقي الحكيم في قصبة الساizerوار من نواحي
بيهق - .. وفي بيهق درس علوم اللغة العربية ، والقرآن الكريم ،
والمنطق .. ثم درس في مرو وفي الرى علوم الحساب والجبر
والمقابلة .. ومنها عاد إلى نيسابور .. وأجاد - مع العربية -
الفارسية والسريانية .

وإلى جانب علوم الحكمة والتاريخ يبرز في الحساب والفلك
والرياضيات وفي الطب .. وكان كذلك شاعراً مرموقاً .. لكن
الاشتغال بالحكمة وعلومها كان أبرز ما اشتهر به ويز فيه .

وفي تعداد آثاره الفكرية خلاف يسير .. فهي عند ياقوت
الحموي [٥٧٤ - ٦٢٦ هـ = ١١٧٨ - ١٢٢٩ م] في
« معجم الأدباء » ثلاثة وسبعون مصنفاً .. وعند العاملاني
[١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ = ١٨٦٧ - ١٩٥٢ م] - في « أعيان

الشيعة » ثمانية وسبعون ..

ومن هذه المصنفات : « تتمة دمية القصر » و « مشارب التجارب وغرائب الغرائب » - في التاريخ ، و « تاريخ حكماء الإسلام » أو « تتمة حيوان الحكمة » و « تفاسير العقافير » و « أمثلة الأعمال النجومية » و « أسرار الحكم » - في الحكمة - و « شرح نهج البلاغة » و « كتاب السموم » و « أحكام القرآن » و « تاريخ بيهقى » و « إعجاز القرآن » و « المختصر من الفرائض » و « أصول الفقه » و « شرح مشكلات المقامات الخيرية » و « الأمانة في شرح الإشارات » و « شرح الحمامة » و « تعليقات فصول بقراط » .

وهي شاهدة على موسوعيته التي استوعبت علوم عصره .. من الحكمة .. إلى الطب .. إلى الأدب .. إلى الفقه .. إلى الأصول .. إلى التاريخ ^(١) ..

(١) [تاريخ الآداب العربية] لبروكلمان ، و [الأعلام] لخير الدين الزركلي ، طبعة بيروت ، و [دائرة المعارف الإسلامية] .

(٤٥) ابن رشد

[١١٩٨ - ٥٩٥ هـ = ١١٢٦ - ٥٢٠ م]

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد
ابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥ هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨ م] .. واحد
من أعظم فلاسفة الإسلام ، وأبرز المتكلمين المسلمين ، ومن كبار
فقهاء المذهب المالكي ، الذين أحاطوا بالفقه المقارن لمذاهب الفقه
الإسلامي .. وعلم من أعلام الطب - تأليفاً ومارسة - في
الحضارة الإسلامية .. والقاضي الذي بلغ منصب قاضي قضاء
« قرطبة » - وهو يماثل « وزير العدل » في عصرنا الحديث .

ولد ابن رشد - الذي يميزونه به « الحفيد » - في « قرطبة » ،
بلاد الأندلس ، لأسرة عريقة في العلم والفقه والقضاء والسياسة
والادارة ، ودرس الطب والفلسفة على أعلام عصره ، ومنهم :
أبو جعفر هارون .. وأبو مروان بن جربول البنسي .. وابن باجة ..
وابن طفيل .

وتولى القضاء في « أشبيلية » سنة [٥٦٤ هـ = ١١٦٩ م] ..
ثم أصبح قاضي قضاة « قرطبة » سنة [٥٦٦ هـ = ١١٧١ م] ..
ولقد شهدت حياة ابن رشد أواخر دولة المرابطين [٤٤٨ -
٥٤١ هـ = ١٠٥٦ - ١١٤٦ م] وأوائل عهد دولة الموحدين
[٥٤١ - ٥٦٨ هـ = ١١٤٦ - ١٢٦٩ م] التي حكمت
المغرب الكبير والأندلس .

وفي السادسة والثلاثين من عمره ، بدأ ابن رشد الكتابة والتأليف ، وقال الذين أرخوا حياته : إنه لم يترك القراءة والكتابة - بقية عمره - إلا ليترين اللتين : ليلة زفافه وبنائه بزوجه ، وليلة وفاته ! .

وفي تاريخ الفلسفة ، اشتهر ابن رشد - على النطاق العالمي - بمشروعه لقراءة وفقه وشرح وضبط أعمال فيلسوف اليونان أرسطو طاليس [٣٢٢ ق.م = ٣٨٤] .. ولقد بدأ ابن رشد هذا المشروع الفلسفى بمبادرة من الدولة ودعوة من السلطان « أبو يوسف يعقوب بن يوسف » [٥٥٥ هـ = ١١٩٩ م] .. وبترشيح من الفيلسوف الطبيب ابن طفيل [٤٩٤ - ٥٨١ هـ = ١١٠٠ - ١١٨٥ م] .. فلقد كانت عبارات ترجمات أرسطو قلقة وغامضة .. فنهض ابن رشد بضبطها وشرحها ثلاثة أنواع من الشرح : المختصر .. والمتوسط .. والكبير .. حتى اشتهر عالمًا بالشارح الأكبر لأرسطو .. وكانت شروحه هذه هي الطريق الأوروبي لمعرفة الأوروبيين بتراث الأرسطية اليونانية .. ولما كان ابن رشد قد بدأ شروحه على أرسطو [٥٦٤ هـ = ١١٦٩ م] ، أي بعد أن تولى القضاء ، ونصح كمتكلم وفقيه ، فلقد ضمن شروحه لأرسطو الكثير من الانتقادات والعديد من الإضافات .

أما إبداعات ابن رشد في علم الكلام الإسلامي : فقد تمثلت في آثاره الفكرية : « تهافت التهافت » - الذي رد به

هجوم أبي حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١ م] على الفلسفه القدماء .. و « مناهج الأدلة في عقائد الله » - الذي حاكم فيه مناهج المتكلمين - وخاصة الأشاعرة - إلى ما رأه العقلانية القرآنية الجامحة بين الحكمة والشريعة - و « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » و « ضميمة في العلم الإلهي » - وهما - على صغر حجمهما - نصان نفسيان من نصوص « المنهج » في تراث الإسلام .

و في هذه الآثار الكلاميه والفلسفية يجد ابن رشد مذهبه في التوفيق بين الحكمة - الفلسفة - وبين الشريعة - الوحي - والدين .

أما في الفقه : فله كتابه المتميز « بداية المجتهد ونهاية المقتضى » الذي لم يجعله مجرد كتاب في الفقه المالكي ، وإنما جعل منه ميداناً لفلسفه الفقه ، وتقعیداً لأسباب اختلاف الفقهاء - كل الفقهاء ، من كل المذاهب - فجاء - إلى جانب كونه كتاباً هاماً في الفقه المالكي - دراسة في الفقه الإسلامي المقارن ، يمثل الأفق الأعلى للباحث المقتضى ، الذي تليه آفاق المجتهدين ! .

ولابن رشد في الطب - غير موسوعته الشهيرة « الكليات » - أكثر من عشرين كتاباً .. و لقد قال مؤرخوه عن قدمه الراسخة في ميدان الطب : إنه كان يُفرغ إلى فتواه في الطب كما يُفرغ إلى فتواه في الفقه ! .. وذلك فضلاً عن

الفلسفة .. وعلم الكلام ..

أما إبداعاته السياسية : فلقد جعلها إضافات وتعليقات في ثانيا شروحه لأعمال أرسطو .

ولقد ألمت باين رشد - بعد أن علا شأنه في ميدان الفكر والقضاء ، وفي بلاط السلطان - كطبيب وحاكم - في [١١٩٥ هـ = ١٥٩١ م] محنة لم تدم طويلاً ، أبعد فيها إلى مدينة « أليسانة » - على مقربة من « قرطبة » .. مع عدد من المشتغلين بالفلسفة .. وвидوا أنها كانت إرضاء من السلطان - الذي كان مجباً للفلسفة - لبعض الفقهاء .. لكن المحنة لم تدم طويلاً ، فعاد ابن رشد إلى بلاط السلطان كما كان طيباً خاصاً ، وفيلسوفاً مكرماً .

وكانت وفاة ابن رشد [١١٩٨ هـ = ١٥٩٥ م] بمراكش ، من بلاد المغرب ، وحمل جثمانه إلى الأندلس فدفن هناك .. ولقد شاهد ابن عربي [٥٦٠ - ١٢٤٠ هـ = ١١٣٨ م] جثمان ابن رشد محمولاً على بعض .. الجثمان في ناحية ، وفي الناحية الأخرى كتبه وأثاره الفكرية ، حيث ووري الجسد التراب ، وتغسل آثاره الفكرية حية وفاعلة حتى الآن ، وإلى أن يشاء الله ..

ويذكر « ابن الأثّار » [٥٩٥ - ١١٩٩ هـ = ١٥٨٥ م] - وهو المولود عام وفاة ابن رشد - يذكر في الترجمة له سطوراً تجسّد مكانته العلمية والخلقية وتعبر عن

إجازاته ، يقول فيها : « إنه كانت الدرایة أغلب عليه من الروایة ، درس الفقه والأصول وعلم الكلام ، وغير ذلك . ولم ينشأ في الأندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً . وكان على شرفه ، أشد الناس تواضعاً وأخف ضمهم جناحاً . غني بالعلم من صغره إلى كبره ، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ۱ . وأنه سواد فيما صنف وقاد وألف وهدب واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة . ومال إلى علوم الأولئ ، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره . وكان ينزع إلى فتواه في الطب كما ينزع إلى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب ، حتى حكى عنه أبو القاسم ابن الطيلسان : أنه كان يحفظ شعري حبيب - [أي أبو تمام] - والمتين ، ويكثر التمثيل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن الإيراد .. ۲ .

وإذا كانت الملائكة الفلسفية - ملائكة « الدرایة » - قد غلت على ابن رشد ، حتى لقد فلسف مختلف الفتنون التي كتب فيها .. فإن التوفيق بين الحکمة - الفلسفة - وبين الشريعة - الموجي والدين - هو مفتاح فهم مشروعه الفكري والروح السارية في كل كتاباته .. ولذلك وجدناه يأخذ لنفسه موقفاً تجاهه - في مواقف كثيرة - عن كثير من الفلاسفة وكثير من علماء الكلام المسلمين ..

• ففي قضية الحرية الإنسانية - التي اشتهرت بقضية الجنبر والاختيار - والتي حدث فيها استقطاب بين القائلين بالجنبرية - الصريحة المطلقة .. أو المغلفة المخففة - وبين القائلين بالتفويض والحرية للإنسان في خلق أفعاله .. وقف ابن رشد مع الحرية ، التي هي إباحة في العمل أو الترک ، مؤسسة على الإرادة الإنسانية ، والقدرة والاستطاعة .. لكنه رأى هذه الحرية وهذه الإرادة والقدرة والاستطاعة نسبية ، وليس مطلقة ؛ لأنها محكومة بعوامل وملابسات وتدخلات ليست من صنع الإنسان .. فهي أشبه ما تكون بحرية الحركة داخل المنزل ، يتحرك فيه الإنسان بإرادته الحرة كما يشاء ، لكن في حدود المدران والتواجد والأبواب ، التي لم يصنعها هو ، والتي لا يملك تغييرها ! .. وبعبارة ابن رشد ، التي عبر فيها عن هذه الحرية النسبية : « .. فَاللَّهُ يَعْلَمُ قَدْ خَلَقَ لَنَا فِرْقَةً نَقْدِرُ بِهَا أَنْ نَكْتُبَ أَشْيَاءً هِيَ أَصْدَادٌ . لَكِنَّ مَا كَانَ الْاِكْسَابُ لِتَلْكَ الأَشْيَاءِ لَيْسَ يَتَمُّ لَنَا إِلَّا بِمَوَاتَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي سَخَرَهَا اللَّهُ لَنَا مِنْ خَارِجٍ ، وَزُوْلَ الْعَوَائِقِ عَنْهَا ، كَانَتِ الْأَفْعَالُ الْمُسُوبَةُ إِلَيْنَا تَمُّ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا : بِإِرَادَتِنَا وَمَوَافِقَةِ الْأَفْعَالِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ لَهَا ، وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِقَدْرِ اللَّهِ . وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي سَخَرَهَا اللَّهُ مِنْ خَارِجٍ لَيْسَتِ هِيَ مُتَحَمَّةً لِلْأَفْعَالِ الَّتِي نَرُونَ فَعَلُوهَا أَوْ عَاقِفَةً عَنْهَا فَقْطُ ، بَلْ هِيَ السَّبَبُ فِي أَنْ نَرِيدَ أَحَدَ الْمُتَقَابِلِينَ .. وَلَيْسَ بِلُقْنَى هَذَا الْإِرْتِبَاطِ بَيْنِ أَفْعَالِنَا وَالْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ فَقْطُ ، بَلْ وَبَيْنِهَا وَبَيْنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي دَاخِلِ أَبْدَانِنَا ..

والنظام المحدود الذي في الأسباب الداخلية والخارجية ، هو القضاء والقدر الذي كتبه الله على عباده ، وهو اللوح المحفوظ » .

فالإنسان حر الإرادة ، وقدر على الفعل والترك ، بناء على إرادته - التي هي سوق لل فعل أو الترك - لكن في حدود الأسباب التي ليست من صنعه ، وإنما هي من خلق الله ، سواء أكانت خارجية أو داخلية هذه الأسباب المخلوقة لله .. أي أنه حر ، لكن منزلة حريته هي وسط بين الجبر المطلق وبين التفويض بإطلاق .

• وعلى حين انقسم الفكر الفلسفي إلى « العالم » بين فلاسفة قالوا يقدم العالم ، على نحو يصرح أو يوهم بأن لا خالق لهذا العالم .. وبين متكلمين قالوا بحدوث العالم وخلقه من عدم ، يمعنى أنه قد كان يعد أن لم يكن على أي نحو من الوجود .. رأينا ابن رشد - في توفيقه بين الحكمة والشريعة - يكشف عن دور الغموض في مفاهيم مصطلحات « القديم » و « الحدوث » في قيام هذا الاستقطاب بين الفلاسفة والمتكلمين .. ويقدم لنا - انتلاقاً من تحرير مضمون هذه المصطلحات - تصوراً متميّزاً ، يرى العالم فيه ليس مخدّداً بإطلاق - مثل الأجسام - ولا قدّماً بإطلاق - مثل الذات الإلهية - وإنما فيه شبه من المحدث وشبه من القديم ، وما الخلاف حول قدمه أو حدوثه إلا بسبب النظرة الأحادية إلى ما فيه من شبه بالقديم المطلق أو شبه بالمحدث بإطلاق .

يحل ابن رشد هذه «المعضلة» عندما يقول : «... وأما مسألة قدم العالم ، وحدوده : فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين من الأشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعاً للاختلاف في التسمية ، وبخاصة عند بعض القدماء .

وذلك أنهم اتفقوا على أن هاتنا ثلاثة أصناف من الموجودات : طرفاً ، وواسطة بين الطرفين ، فاتفقوا في تسمية الطرفين ، وختلفوا في الواسطة :

فأما الطرف : فهو موجودٌ من شيءٍ غيره ، وعن شيءٍ ، أعني عن سببٍ فاعلٍ ، ومن مادة ، والزمان متقدم عليه ، أعني على وجوده ، وهذه هي الأجسام التي يُذْرَك تكوينها بالحسن مثل تكون الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات ، وغير ذلك . فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع ، من القدماء والأشعريين ، على تسميتها مُحدّثة .

واما الطرف المقابل لهذا : فهو موجودٌ لم يكن من شيءٍ ، ولا عن شيءٍ ، ولا تقدمه زمان . وهذا أيضاً اتفق الجميع من الفرقتين على تسميته قدِيمًا . وهذا الموجود مُذْرَك بالبرهان ، وهو الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذي هو فاعل الكل وموجده والحافظ له بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قدره .

واما الصنف من الموجود الذي بين هذين الطرفين : فهو موجودٌ لم يكن من شيءٍ ، ولا تقدمه زمان ، ولكنه موجود عن شيءٍ ، أعني عن فاعل ، وهذا هو العالم بأسره .. فهذا الموجود

قد أخذ شبيهاً من الوجود الكائن الحقيقى ، ومن الوجود القديم ، فمن غَلَبَ ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث ، سماه قدِيماً ، ومن غَلَبَ عليه ما فيه من شبه المحدث ؟ أسماه مُحدثاً ، وهو في الحقيقة ليس مُحدثاً حقيقة ولا قدِيماً حقيقة . فإن المحدث الحقيقى فاسد ضرورة ، والقديم الحقيقى ليس له علة .. » .

فهنا في هذه « المعضلة » الفكرية - يقدم ابن رشد مذهبنا جديداً ، يحل الإشكال ، ويدعو الفرقاء المتقابلين والمعارضين إلى كلمة سواء .

• وفي الخلاف الشهير بين الفلاسفة الذين وقفوا بعلم الله ﷺ عند علمه لذاته ، فأخرجوا العلم بالجزئيات في الموجودات والعالم عن نطاق العلم الإلهي .. وبين المتكلمين الذين تصوروا العلم الإلهي شاملًا للكليات والجزئيات جميعاً .. لفت ابن رشد الأنظار إلى زاوية أخرى للقضية يمكن أن تمثل أرضًا مشتركة وموقعًا جامعاً للفريقين كليهما .. ذلك أن العلم الإلهي - سواء أكان بالكليات أو بالجزئيات - هو علم مغایر كل المغايرة للعلم الإنساني ، فليست هناك مقارنة يمكن تصورها بين العلمين - الإلهي والإنساني - ذلك أن العلم الإلهي هو السبب في وجود الموجودات ، بينما العلم الإنساني هو انعكاس لهذه الموجودات ومتبع عنها ، يتتطور بتطورها ويتغير بتغيرها .. فالقضية منفكة ، والخلاف في غير

موضوع ! .. ذلك أن علمنا معلول للملعون به ، فهو محدث بحدوثه ، ومتغير بتغيره ، وعلم الله سبحانه بالوجود على مقابل هذا ، فإنه علة المعلوم ، الذي هو الموجود ، فمن شبه العلمين أحدهما بالأخر فقد جعل ذات المقابلات خواصها واحدة ، وذلك غاية الجهل .. فالعلم القديم إنما يتعلق بالموجودات على صفة غير الصفة التي يتعلق بها العلم المحدث ، لا أنه غير متعلق أصلًا ..

فالمقابلة - الشهيرة .. وموضوع الجدل والخلاف - بين العلم بالكليات والعلم بالجزئيات ، لا محل لها .. وإنما المقابلة الحقيقة هي بين العلم الإلهي ، الذي هو سبب وجود الموجودات - وهو علم كلي ومحيط - وبين العلم الإنساني - النسبي - والذي هو ناشئ عن الموجودات ، متغير بتغيرها ومتطور بتطورها .

هكذا مثل ابن رشد عبقرية إسلامية كبيرة ، ومنذهبها إسلامياً في التوفيق بين الحكمة والشريعة بين الفلاسفة والتكلمين .. عندما تسلح بالعقلانية الإسلامية المؤمنة ، فابصر بها الأرض المشتركة عند مختلف الفرقاء المختلفين .

ولأن ابن رشد قد اشتهر بشرحه على أرسطو .. هذه الشرح التي راجت في أوروبا إبان نهضتها رواجاً كبيراً فلقد احتوى باسمه - في ذلك التاريخ - تيار فكري نسب إليه ما لم

يقل به ولم يدعه في مؤلفاته الفلسفية والكلامية .. ولقد عرف هذا التيار بتيار « الرشديين اللاتين » .. لكن الذين درسوا ابن رشد ، ووقفوا على حقيقة فكرة الإسلامية ، حتى من المستشرقين الكبار ، قد أدركوا زيف نسبة هذه « الرشدية اللاتينية » إلى فيلسوف « الرشدية الإسلامية » .. فقال يورنست ريان [١٨٩٢ - ١٨٢٣] وهو أبرز دارسي ابن رشد من فلاسفة الغرب المحدثين : « إن القدر قد جرى بأن يكون ابن رشد ذريعة لانطلاق أشد الأحقاد احتلاقاً ، وأشد ضروب الصراع العقلي عنتاً ، كما جرى بأن يكون اسمه علماً يخفق على تلك الآراء التي لم يفكر فيها مطلقاً على وجه التأكيد » !

وفي هذا المعنى يقول المستشرق الإسباني « أمين بلاسيوس » [١٨٧١ - ١٩٤٤ م] : « إن من الواجب أن نشير إلى تلك الفكرة الوهمية التي كان جميع المؤرخين صحيحة لها . وهي أنهم متى وجدوا جماعة من « المدرسيين » الذين نطلق عليهم في العصور الوسطى ، وفي عصر النهضة ، اسم « الرشديين » ، فإنهم لا يترددون أن يلقوا على رأس ابن رشد كل النظريات التي تتميز بها هذه الجماعة .. » ! .

فللسنة ابن رشد يجب أن تلتسمها في إبداعاته ، أكثر مما تلتسمها في شروحه على أرسطو .. وأن نحذر تحمله مسؤولية الآراء التي قال بها « الرشديون اللاتين » ؛ لأن فارقاً كبيراً بين

هذه « الرشدية اللاتينية » المزعومة ، وبين « الرشدية الإسلامية »
التي أبدعها هذا الفقيه المتكلم الفيلسوف ؟

• • •

(٢٦) ابن عَزَبِي

[١٤٤٠ م - ٦٣٨ ه = ١١٦٥ ه]

هو محبي الدين بن العربي - الذي اشتهر في المشرق به ابن عزبي « أبو بكر ، الخاتمي ، الطائي ، الأندلسي : محمد ابن علي بن محمد بن العربي [١٤٤٠ م - ٦٣٨ ه = ١١٦٥ ه - ١٢٤٠ م] .

أشهر أقطاب التصوف الفلسفية في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بل ربما في تاريخ التصوف الإنساني على الإطلاق .. ولذلك كان لقب « الشيخ الأكابر » علماً عليه لدى العلماء والدارسين من كل الاتجاهات .

ولد ابن عربي في « مرسية » ، ببلاد الأندلس - إسبانيا حالياً - في (١٧ رمضان سنة ٥٦٠ ه = ٢٨ يونيو سنة ١١٦٥ م) ثم انتقل منها إلى مدينة أشبيلية الأندلسية في سنة (٥٦٨ ه = ١١٧٢ م) أبي وهو في الثامنة من عمره .. وفي أشبيلية استقر حوالي الثلاثين عاماً ، درس فيها علوم الفقه والحديث .. ودرس كذلك في مدينة « سبتة » المغربية .

ومن الأندلس والمغرب شد ابن عربي رحاله إلى بلاد المشرق .. فنزل بتونس سنة (٥٩٠ ه = سنة ١١٩٤ م) وبعد أن أقام بها ثمانى سنوات غادرها إلى المشرق سنة (٥٩٨ ه = ١٢٠٢ م) فتنقل بين عواصمها وحواضره ومدنها .. مصر ، ثم

مكة .. وبغداد - التي زارها أكثر من مرة سنة (٦٠١ هـ = ١٢٠٥ م) وسنة (٦٠٨ هـ = ١٢١١ م) .. ثم عاد إلى مكة سنة (٦١١ هـ = ١٢١٤ م) .. ثم زار حلب .. والموصى .. وأسيا الصغرى .. إلى أن استقر به المقام في دمشق ، التي توفي بها في (ربع الثاني سنة ٦٣٨ هـ = أكتوبر سنة ١٢٤٠ م) .. حيث دفن السفح جبل قايسون .

ولقد برع ابن عزبي في العديد من العلوم ، حتى قيل إنه من أئمة المتكلمين في كل علم .. وعرف عنه في أصول الفقه الميل إلى المذهب الظاهري .. مع ابطاله للتقليد .. لكن شهرته العظمى وأغلب مؤلفاته كانت في التصوف .. وفي التصوف الفلسفى خاصية .. وفيه نحا المشحى الباطنى والعرفانى على وجه الخصوص .

وإذا كان الخلاج [٩٢٢ هـ = ٣٠٩ م] قد سبق ابن عزبي إلى القول « بوحدة الوجود » ، فلقد كان ابن عزبي المهندس الأعظم لهذه النظرية في تاريخ التصوف على الإطلاق .. فالوجود عنده خال من الثنائية الحقيقة - ثنائية الحق - الخالق - والخلق - والخلوقات - إذ الوجود الحقيقي هو للحق وحده ، وما الخلوقات جمیعاً إلا مظاهر لتجليات الخالق فيها .. وسبل الإدراك في نظرية المعرفة عند ابن عزبي - كما هي عند « الباطنية - الغنوصية » ليست « العقل » ولا « النقل » ولا هما معاً .. وإنما هي أولاً وبالدرجة الأولى : « الذوق » و« العرفان » .

ومن كلمات ابن عربى - في أشهر كتبه « الفتوحات المكية » - والتي تعبّر عنه مذهبة في وحدة الوجود : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » !^{١٩}.

ولقد صاغ هذا المعنى شعراً عندما قال في كتابه « فصوص الحكم » :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فلنك ، فأنت الضيق الواسع ا
ويسبب من غموض مضامين مصطلحاته على كثير من
سامعيه وقارئيه ودارسيه .. وبسبب من صعوبة مباحثته على غير
الخاصة ، بل وخاصة الخاصة ، اختلف دارسوه في مراده من
نظرية « وحدة الوجود » .. فالذين فسروها بـ « الوحدة المادية »
كفروه ؛ لأن معنى ذلك : هو اتحاد الذات الإلهية أو حلولها في
الخلوقات .. والذين نفوا أن يكون مراده « الوحدة المادية » -
ومنهم جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] - شبّهوا هذه الوحدة بظهور الشمس مثلاً ، في
المرأة .. فهي تتجلى فيها ، دون أن يكون هناك اتحاد بها
أو حلول فيها !^{٢٠}.

ولم يكن هذا الغموض سبباً ، فقط في اختلاف دارسي
ابن عربى حول عقيدته .. بل لقد أثار عليه الغضب والهبايج من
قبل كثير من معاصريه .. ولقد حدث له أثناء مروره بمصر ، في

رحلته من المغرب إلى المشرق ، أن هاج عليه الفقهاء ، بسبب ما صدر عنه من « شطحات » ، فقبض عليه وسجن ، وكاد أن يكون مصيره كمصير الحلاج - الذي أعدم من قبل في بغداد - لو لا أن سعى في خلاصه والإفراج عنه أحد أبناء مدينة بجاية : علي بن فتح البجاي .. فترك مصر ، وغادرها إلى بلاد المشرق ! .

ولقد لعب الصراع بين « الفقهاء » وبين « الصوفية » - وهو واحد من الصراعات البارزة في تاريخنا الحضاري - لعب دوره في الاتهامات التي وجهت إلى ابن عربي وإلى فلسفته .. ورغم أن ابن عربي لم يكن مفكراً سياسياً ، إلا أن أسباباً سياسية قد صاحبت هذا الصراع بين الصوفية والفقهاء ، فأثرت فيه .. فالفقهاء كانوا على مقربة من « الدولة » و « السلطة » ، بينما الصوفية كانوا أقرب إلى العامة - حتى لقد كانوا يسمون بـ « الفقراء » ! .. والتتصوف الفلسفية - وبالباطني الغنوسي منه بالذات - كان على علاقة وثيقة بالفكر الفارسي القديم ، وبال الفكر الشيعي من بعده ، وهو الذي تبنته حركات المعارضة ضد الدولة العربية منذ ظهور الإسلام .. فكانت هناك علامات استفهام كبيرة حول صدق ولاء هؤلاء المتتصوفة للدولة العربية وللشريعة ، التي يحرسها الفقهاء ! ..

٤٤٤

وفي حالة ابن عربي .. كان هناك سبب سيامي آخر ،

للشك في الفحارات التي تأتي بها أفكاره ونظرياته ! .. فالرجل قد عاصر الغزوة الصليبية على بلاد الإسلام - وعلى حين وجدنا مفكراً مثل ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] - والذي عاش في ظل هذا الخطر - يدرك واجب المفكر التاريخي عندما ت تعرض أمتة لغزو ذات أبعاد حضارية ، فيبحث عن « الفروق » التي تميز أمتة عن الغزاة ، وليس عن « الأشباه والنظائر » التي تجمع أمتة بهؤلاء الغزاة ، وذلك حفاظاً على التميز الحضاري ، الذي يشجع وجدان الأمة بعوامل المقاومة ، ويحول بينها وبين تقليد الغازي ، مخافة الذوبان الحضاري ! .. على حين وجدنا ابن تيمية ينهج هذا النهج ، حتى لقد سعى لبلورة منطق إسلامي ، مستند إلى العربية وإلى عقيدة التوحيد ، في مقابل منطق أرسسطو [٣٢٢ - ٣٨٤ ق.م] - المرتبط باليونانية وبالوثنية .. وحتى لقد جعل من هذا النهج عنواناً لأحد كتبه : « اقتضاء الضراء المستقيم مخالفة أهل الجحيم » ! .. فإننا نجد ابن عربي ، في ظل الخطر الصليبي والتربي ، يسلك النهج المضاد على طول الطريق .

فهو لا يدع فقط إلى منهجه « الأشباه والنظائر » في مقارنة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية المعاذية .. وإنما يسلك في النظر إلى العقائد الدينية وإلى الشرائع الدينية ، المنهج الذي « يذهب كل الفروق » .. وبالقطع فإن الذي سيستفيد من ذلك ، في لحظات الصراع الحضاري ، هم الغزاة الأقوية

المتصرون ! .. فكأنه - على جبهة الفكر - إنما ينزع سلاح المقاومة الفكرية من أمته التي تتعرض للعدوان ! ..

وعلى الرغم من أن التاريخ يذكر أن ابن عربى قد كتب إلى الحكام السلاجقة يحثهم على مواجهة الصليبيين .. إلا أن التأثيرات الفكرية لمنهجه في العقائد ، ذلك الذي يقول بوحدة كل العقائد وكل الشرائع الدينية ، عقائد وشرائع الغرابة والمغزوين ، إنما كان يفت في عضد الأمة التي تنظر إلى الغرابة باعتبارهم الكفار الضالين ! .

لقد كان يشير بنهج يعتقد بكل العقائد ، فيذيب تحيز عقيدة الإسلام الحقة ، عن عقيدة الغرابة الباطلة ، في لحظة الصراع .. فيقول :

عقد الخلاائق في الإله عقائدها وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه !
وفي الوقت الذي كانت تحتشد فيه العامة لجهاد الصليبيين تحت رايات التوحيد .. وفي مواجهة رايات الوثنية التترية والشليط الصليبي كان ابن عربى يدعى أن جميع العبودات متساوية .. وحقة .. وأن كل الكتب السماوية - حتى المحرف منها - متساوية .. وحقة !! فيقول :

إذا لم يكن ديني إلى دينه داني	قد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
فمرعى لغزلان ودير لرهبان	وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
وألواح توراة ومصحف قرآن	ويست لأوثان وكعبة طائف

أدين بدين الحب أئتي توجهت ركابه فالحب ديني وإيماني !

* * *

إن غموض مباحث ابن عزبي ، واستعصارها على كثير من الخاصة .. قد كان سبباً وراء نفور الفقهاء منه وهجّاج العامة ضده .. وبكفي أن نتأمل كلمات شيخ الطائفة الصوفية الجليل [٢٩٧ هـ = ١٩١٠ م] التي يقول فيها : « لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ! » .. يكفي أن نتأمل هذه الكلمات لتعلم ردود فعل الجمهور تجاه نظريات مثل تلك التي قال بها ابن عزبي .

ولكن الأمر المؤكد أن منهجه الذي ارتبط بالغنوصية الباطنية كان لابد وأن يحيطه بعلامات استفهام في حقبة من الصراع الحضاري والمسلح وقت في الباطنية أحياناً موقف الخيانة ، كما حدث عند اقتحام التتار لبغداد [٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م] ..

كما أن هذا المنهج ، الذي ينحى « الفروق » بين فكرية الأمة - في العقيدة والشريعة - وبين فكرية الغرابة .. ما كان يمكن إلا أن يكون ذا مردود سياسي سلبي ، فهو أشبه ما يكون بزرع سلاح الأمة الفكري في خضم صراعها مع الأعداء ! . ولقد بلغت مؤلفات ابن عزبي الأربعين .. وبقى منها مائة وخمسون .. أهمها وأجمعها لنظرياته « الفتوحات المكية »

و « فصوص الحكم » .. وهو في أسلوبه « فنان » يبلغ الذروة في عوالم الخيال ^(١) .

• • •

(١) [الفتوحات المكية] لابن عزبي - طبعة القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و [فصوص الحكم] لابن عزبي - تحقيق ودراسة : الدكتور أبو العلا عفيفي ، طبعة القاهرة .

(٢٧) العَزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَام

[١٢٦٢ - ١١٨١ هـ = ٥٧٧ م]

هو أبو محمد ، عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام ، الشهير بـ « سلطان العلماء » و « شيخ الإسلام » .

ولد بدمشق ، وامتدت حياته من عصر صلاح الدين الأيوبي إلى عصر الظاهر بيبرس - في الدولتين الأيوبية والمملوكية - وكان شافعي المذهب الفقهي ، وأشعرى المذهب الكلامي .. ولقد أخذ الفقه والأصول والحديث وغيرها من علوم الشرعية والعربية عن أعلام عصره ، وأصبح فيها أبرز مجتهدي عصره ، وتتعلمذ عليه من بلغ مرتبة « شيخ الإسلام » - ابن دقيق العيد - .

وكان العصر عصر الاحتلال الصليبي لإمارات عربية في الشام .. وصراعات بين الأمراء والأيوبيين ، انحاز فيها والي دمشق « الصالح إسماعيل » إلى الصليبيين ضد سلطان مصر « الصالح نجم الدين أيوب » ، فتصدى له العز من على منبر الجامع الأموي بدمشق ، وهجح الأمة ضد خيانته .. فعزل عن الإفتاء والتدريس والخطابة .. واعتقل .. حتى اضطر إلى الهجرة إلى مصر ، فتولى فيها التدريس بالمدرسة الصالحية ، وتولى منصب الإفتاء بمصر ؛ إذ تنازل له عنه الشيخ عبد العظيم المنذري قائلاً : « كنا نفتى قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متغير فيه » ! .. وتولى الخطابة

والإمامية بجامع عمرو بن العاص ، والإشراف على عمارة المساجد بالدولة ، وقاضي القضاة بصر والوجه القبلي .

ومع عظم سلطان هذه المناصب التي تولاها العز بن عبد السلام ، فإن قيادته للعلماء وللعلامة كانت أعظم الوظائف التي تولاها في عصره .. فكان سلطانه « كسلطان للعلماء » أعلى من سلطان « سلاطين الدولة » .. وعندما كان يغضب من السلطان ، فيخرج من القاهرة مهاجرا ، يخرج السلطان في أثره ليسترضيه .. ولقد أثرت عنه وفاته في وجه حور الأمراء المماليك ، حتى أفسى ببعضهم - لأنهم رفق لدبي الدولة - ووضع أنفسهم في خزائتها ! .

ومع شدته على أمراء عصره ، كان شديدا على نفسه في تطبيق معاير العدل ؛ فلقد أفسى مرة بشيء ، ثم ظهر له أنه قد أخطأ في فبياه ، فأخذ ينادي بنفسه على نفسه في مصر والقاهرة ، فيقول : من أفسى له العز بن عبد السلام بكل هذا فلا يعمل به ؛ فإنه قد أخطأ ! .

وله معارك فكرية ضد أهل الحمود والتقليد ، وأهل الشعوذة والخرافة ، لا تقل عن معاركه ضد أمراء الحجر وظلم السلاطين .

وعلى جبهة الصراع ضد الغزو الصليبي توصلت جهوده في مصر ، بعد هجرته إليها من الشام .. وكانت لجهوده هذه أبلغ الأثر في التعبئة التي حققت الانتصارات في معارك « عين جالوت » [٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م] و « دمياط » [٦١٥ هـ =

١٢٦٨ م [و « المتصورة »] ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م [ضد
المصلبيين ..]

أما آثاره العلمية والفكرية : فإنها خالدة كمعلم من معالم
التراث الإسلامي في الفقه والأصول ، والفتيا والقرآن والحديث
وعلومهما .. ولقد بقى لنا من هذه الآثار الفكرية ثمانية عشر
كتاباً .

ولقد بلغ من هيبة سلاطين الدولة لسلطان العلماء - العز بن
عبد السلام - ورهبتهم منه الحد الذي جعل السلطان الفارس
الظاهر بيبرس يقول عندما رأى جنازة العز تسير من تحت أسوار
القلعة : « اليوم استقر أمري في الملك ! » ^(١) ..

• • •

(١) [طبقات الشافعية | المسبكي - طبعة القاهرة - الأولى ، و [مسلمون
ثوار] تلمذ كثور محمد عمارنة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٢٨) ابن تيمية

[١٣٢٨ - ١٤٦٣ هـ = ٦٦٩ م]

هو شيخ الإسلام أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الخاليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر التميري الحراني الدمشقي الحنبلي .

ولد في حران ، ونشأ بدمشق ، وبها نبغ فكان أبرز المجتهدين في عصره ، وأكثر العلماء الذين أثارت اجتهاداتهم جدلاً ، حتى استدعي إلى مصر بسبب بعض فتاواه المثيرة للجدل ، وزار الإسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، وسجن أكثر من مرة ، حتى مات معتقلًا بقلعة دمشق .

وكان ابن تيمية سلفياً ، يسير في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ م] لكنه كان مجتهداً وليس بالمقلد ، بل لقد مثل في الفكر السلفي نهضة أعطت السلفية جرعة من العقلانية بتاليقده في المسائل الفلسفية ، سواء منها ردوده على الفكر اليوناني والمتاثرين به ، أو في البدائلا الإسلامية التي حاول صياغتها - كما في جهوده لصياغة منطق خاص بالتوحيد الإسلامي وللغة العربية ، لما رأى من الارتباط بين المنطق والعقيدة واللغة ، الأمر الذي دعاه إلى رفض منطق أرسسطو [٣٢٢ - ٣٨٤ ق.م] كمنطق لإسلام ولغته .

ومع عبقرية ابن تيمية وعلو كعبه في الاجتهاد ، فلقد كان

نمودجاً لتعاليم الموسوعي الذي بلغ مرتبة الاجتهاد في عدد من العلوم والفنون .. في الإلهيات ، والفقه ، والسياسة ، والمنطق ، والقرآن وعلومه ، والحديث وفتونه ، ومقارنة الديانات والحضارات .

وكان عصر ابن تيمية « عصر أزمة » ، تعرضت فيها الأمة إلى ضغوط خارجية تمثلت في تحديات الهجمة التترية التي هددت وجودها .. وإلى أزمة داخلية تمثلت في الحمود والتقليد اللذين سادا في ظل عسکرة الدولة والمجتمع تحت حكم المماليك .. فجاء ابن تيمية بمثابة المشروع الإصلاحي المتكامل .. فكان على جبهة التحديات الخارجية داعية للجهاد الذي لا يقف عند الإفقاء بالجهاد ؛ وإنما الذي خاص بنفسه معارك القتال ضد الشر ، وأسهم كسياسي في حل مشكلات الأسرى وضبط العلاقات بين المسلمين وأعدائهم بضوابط السياسة الشرعية .. وفي مواجهة التحديات الداخلية - التي كان فيها ويكرسها التحددي الخارجي - كان تجديد ابن تيمية واجتهاده أكثر المشاريع الإصلاحية الفكرية تكاملاً في عصره ، حتى لقد مثل مع تلامذته ، وخاصة العلامة ابن القيم [٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م] أهم معلم من معالم تجديد الفكر الإسلامي في ذلك التاريخ .

وللارتباط الذي كان قائماً بين التحديات العسكرية والحضارية الخارجية ، وبين التحديات الفكرية الداخلية ،

اتسمت اجتهادات ابن تيمية بلون من التشدد لا يمكن فهمه إلا في ضوء تلك التحديات .. فلقد وضعت الأزمة الأمة في موقف الدفاع ، فكان منهاج البحث عن « الفروق » التي تميزها عن « الآخر » - الممثل للتحدي - صليبياً وتربياً - هو منهاج الحافظ للأمة هويتها .. ولم يكن منهاج « الأشباء والنظائر » ، الذي يرتكز على المشترك مع « الآخر » هو المناسب في ظل تصاعد التحديات .. ولذلك فإن ما يedo أحياناً في فكر ابن تيمية من سمات تشدد اقتضاه حدة التحديات ، هو ميزة له جعلت منه صاحب مشروع للإصلاح الفكري والتجدد الحضاري ، مثل : استجابة إيجابية لتحديات عصره ؛ فهو مفكر وأفر الخبط من الوعي الحضاري ، وليس مجرد فقيه من الفقهاء .. والناظر في كون العديد من كتبه إنما هي « معارك فكرية » مع الآخرين يلمس هذه الحقيقة ، التي يغفل عنها ناقدوه .

لقد كان يصر بعصرية الفيلسوف السياسي والمجتهد في الفكر أهمية ترتيب الأولويات في مواجهة التحديات - فجاهد مع « الدولة » المملوكيه بسيفه ، ودعم سلطانها بفتواه ، في ذات الوقت الذي اضطهدته فيه حتى لقد مات في سجونها ، وذلك إدراكاً منه لما هو الخطير الرئيسي والتحدي القاتل - التمر - الذي كان يهدد الوجود الإسلامي بالفناء ! .. وعلى هذا المنوال كانت مواقفه ومعاركه ضد خصومه الكثيرين .

ولقد ترك لنا ابن تيمية تراثاً فكريأً غنياً جدد به الفقه ،

والعقلانية الإسلامية ، كما ترك مجلدات من الفتاوى التي مثلت مرآة العصر الذي عاش فيه .. ولا يزال من أكثر أصحاب المشاريع التجددية التراثية تأثيراً في فكرنا الحديث والمعاصر ، بل وإثارة للجدل أيضاً^(١) .

* * *

(١) [ابن تيمية] للدكتور محمد يوسف موسى - طبعة أعلام العرب - القاهرة سنة ١٩٧٧ م ، و [ابن تيمية] للشيخ محمد أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربي - القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

(٢٩) ابن الوزير

[١٤٣٦ - ١٣٧٣ هـ = ٨٤٠ - ٧٧٥ م]

هو أبو عبد الله ، عز الدين ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المنصور - الشهير بابن الوزير ، اليمني [٧٧٥ - ٨٤٠ هـ = ١٣٧٣ - ١٤٣٦ م] - من آل الوزير - وهم بيت من أشهر بيوت العلم في اليمن .. يصل نسبه إلى الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسن [٢٤٥ - ٢٩٨ هـ = ٨٥٩ - ٩١١ م] مؤسس الدولة الزيدية باليمن .. ولد بهجرة الظهران ، باليمن ، في (رجب سنة ٧٧٥ هـ = ديسمبر سنة ١٣٧٣ م) .

نشأ في محيط علمي .. وفي عصر تميزت فيه اليمن بكثرة العلماء الأعلام .. فأبوه صارم الدين ، إبراهيم بن علي [٧٨٢ - ١٢٨٠ م] من كبار علماء المذهب الزيدى .. وكذلك أخوه ، الذى تولى تعليمه ، الهادى بن إبراهيم [٨٨٢ - ١٤٧٧ م] .

أما معاصره ، ف منهم : الهادى بن يحيى .. والناصر بن أحمد بن المنظه .. ونقيس الدين بن سليمان العلوي .. والسيد الوزير بن المرتضى .. ومحمد بن علي .. كما كان معاصرًا لمقدمي علماء اليمن وفقهائها الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى [٧٦٣ - ١٣٦٢ هـ = ١٤٣٧ - ١٤٣٦ م] .

ولقد أتيحت لابن الوزير ، إبان تلقيه العلم وتكوينه الفكرى

فرصة تركت آثارها في توجهه ومذهبة وموقعه الفكري .. فلقد درس على عديد من أبرز علماء عصره ، ذوى الاتجاهات المذهبية المتعددة ، وليس فقط على علماء المذهب الزيدى .. بل وليس فقط على العلماء اليمينيين .

غير علماء الزيدية : درس بمكة على قاضى قضاة الشافعية بالحرم المکى محمد بن عبد الله بن أبي ظهيرة .. وعلى الشيخ محمد بن الخبر القرش ، الشافعى .. والشيخ محمد بن أحمد الطبرى .. والشيخ أبو اليمن ، محمد بن أحمد بن إبراهيم ، الشافعى .. والشيخ ابن مسعود الأنباري ، المالكى .. وغيرهم كثيرون ، درس عليهم علوم العربية ، والفقه ، والحديث ، وعلم الكلام ، وغيرها من العلوم .

ومنذ مطلع حياته العلمية برزت نزعته إلى الاستقلال الفكرى ، والتحرر من التزمت المذهبى ، والتزوع إلى الاجتهد والتجدد ، ورفض الجمود والتقليد .. وعندما اقترح عليه أستاذة ، قاضى قضاة الشافعية بالحرم المکى محمد بن عبد الله ابن أبي ظهيرة ، أن يقلد مذهب الإمام الشافعى محمد بن إدريس [١٥٠ - ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠ م] كان جوابه : لو كان يجوز لي التقليد لم أعدل عن تقليد جدي الهادى يحيى بن الحسين ، والقاسم الرسسى ؛ إذ هما أولى بالتقليد من غيرهما ! .

وعلى حين كانت توجهات علماء الزيدية تتراوح بين الالتزام

بالمذهب .. أو المزاج بين فقهه التریدية وأصول المعتزلة الخمسة .. فإن ابن الوزير قد مثل توجهها جديداً ومتيناً في هذه التوجهات ؛ إذ افتتح ابن الوزير على علماء السنة ومذاهبها ، وبخاصة أهل السلف منهم ورجالات الحديث ، وذلك دون أن يتخلى عن الإطار العام للتریدية ، فكأنه قد مثل خروجاً على المذهبية الضيقة ، ونحا نحو احتضان الحق من أي اتجاه مذهبى جاء .. وكان عنوان كتابه المتميز « إيهار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق في أصول التوحيد » - وكذلك موضوعاته - تجسيداً لهذا التوجه الهام والجديد ! .

وإذا كان ابن الوزير لم يفرد للفكر السياسي مكاناً خاصاً في مؤلفاته ، التي بلغت العشرين .. فإننا نجد من بين هذه المؤلفات ذلك الكتاب الذي انتقد فيه أساليب الفكر اليوناني في الوصول إلى الحقيقة ، وقارن بين هذه الأساليب اليونانية وبين الأساليب القرآنية في الاستدلال والاحتجاج .. وهو الكتاب الذي أسماه « ترجيح أساليب القرآن لأهل الإيمان على أساليب اليونان » ، في « أصول الأديان » .. ففي هذا الكتاب - الذي أضاف له تكميلاً - نجد عملاً فكريًا هو أشبه ما يكون ب النقد « المشروع الفكري اليوناني » وتقديم « البديل القرآني » .. فهو في الفلسفة الحضارية ، وتحرير العقل المسلم من هيمنة الفكر اليوناني ، معلم من المعالم التي تستحق الانتباه .

لقد أبدع ابن الوزير أعمالاً فكرية ، تميزت بقدر ملحوظ من

الاجتهد والتجدد .. وترك لنا آثاراً هامة في علم الكلام ..
ومصطلح الحديث .. والتاريخ .. والنقد الأدبي .. والتفسير ..
كما كان أدبياً وشاعراً ، جمع شعره في ديوان .. كما كتب
في التصوف ، وكانت له فيه تجربة أواخر حياته .

ولإذا كان قد رفض دعوة أستاذة قاضي قضاة الشافعية كي
يقدر مذهب الإمام الشافعي ؛ فإنه قد رد على شيخه الزيدي
السيد علي بن محمد بن أبي القاسم - الملقب بجمال الدين -
عندما تحامل على أهل السنة .. رد عليه بكتاب من أهم كتبه
« العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم » .. فكان
نموذجًا لتحرى الدقة والإنصاف ! .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء [٢٤] محرم سنة ٨٤٠ هـ =
أغسطس ١٤٣٦ م [(١)] .

٠ ٠ ٠

(١) [الزيدية] للدكتور أحمد محمود صبحي - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤ م .
[ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي] لرزق الحجر - طبعة السعودية
سنة ١٩٨٤ م .

(٣٠) ابن المرتضى

[١٤٣٧ - ١٣٦٢ هـ = ٧٦٣ م]

هو المهدى لدين الله ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْتَضَى بْنُ أَحْمَدِ بْنِ الْمُرْتَضَى بْنِ الْمُفْضَلِ بْنِ مُنْصُورِ بْنِ الْمُفْضَلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ
ابن القاسم بن يحيى بن الناصر أَحْمَدُ بْنُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ يَحْيَى
ابن الحسين [١٤٣٧ - ١٣٦٢ هـ = ٧٦٣ م] ..

واحد من أئمة الدولة الزيدية بالبيمن - إذ تولاها لمدة عام -
لكتنه أبرز فقهاء المذهب الزيدى ؛ إذ يرجع الناس إلى كتبه في
الفقه حتى هذه الأيام .

ولد في « ذمار » ، باليمن ، جنوبي صنعاء .. وقبل أن يبلغ
الخامسة توفي والده ، فاحتضنته أخته دهماء [٧٨٢٧ هـ =
١٤٢٤ م] وكانت مبرزة في العلم الإسلامي - ولها شرح على
أهم كتبه في الفقه « عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار » ..
ومؤلفات في الفقه والكلام والأصول ! .

ولقد أخذ العلم عن علماء اليمن في عصره ، ومنهم أخوه :
الهادى بن يحيى .. وخاله : علي بن محمد بن علي ..
والقاضى محمد بن يحيى المزججى - الذى أخذ عنه المنطق
وأصول الفقه - والقاضى علي بن أبي الحير - الذى أخذ عنه
أصول المغزلة - .. وعلى بن صلاح .. وابن النساج .. والإمام
الزيدى الناصر صلاح الدين .. وغيرهم من العلماء .

وعند موت الإمام الناصر صلاح الدين [٧٣٩ - ٧٩٣ هـ] اختلاف الناس فمن يباعون له بالإمامية .. فاختار العلماء ابن المرتضى فباعوه بالإمامية سنة [١٣٩١ = ٧٩٣ هـ] .. بينما اختار الوزراء للإمامية المنصور علي بن صلاح الدين - ابن الإمام السابق - فباعوه بها في ذات اليوم الذي يوضع فيه ابن المرتضى ! .. واستمر التزاع بين الفريقين عاماً .. وفي سنة (٨٠١ هـ = ١٣٩٤) - تغلب المنصور علي بن صلاح الدين على المهدي لدين الله أحمد بن يحيى ، فعزله ، وأودعه سجن قصر صنعاء ، فضل سجينًا أربع سنوات .. حتى تشفع فيه نفر من العلماء ، منهم الهايدي بن إبراهيم الوزير ، الذي كتب إلى الإمام المنصور قصيدة يتحدث فيها عن فضل ابن المرتضى ، وتشفع له ، فقال فيها :

فقلت له فداك أبي وأمي تلطف بالقرابة والرحامة
فإن السيد المهدي منكم بمنزلة تحق لها الفخامة !
فأخرج عنه .. ليعرف على التأليف والتصنيف والتدريس
والحياة الفكرية بقية عمره .

ويبدو أن ابن المرتضى كان مؤهلاً للإنتاج العلمي أكثر مما كان طموحاً لممارسة الحكم والإمامية .. فحتى سنوات سجنه قد صرفها لتأليف أهم كتبه الفقهية « عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار » .. ومن بين كتبه - التي تقارب من الأربعين كتاباً - وكثير منها في عدة مجلدات - يحظى الفقه وأصوله

بالنصيب الأوفر .. ثم علم الكلام .. مع نصيب للحديث ..
والمنطق .. وال نحو .. والتاريخ .. والزهد ..

ولقد كان ابن المرتضى ، في الفقه زيداً ، واصل مسيرة
الفقه الزيدى ، التي بدأت ياماتهم الأول زيد بن علي بن
الحسين [٧٩ - ١٢٢ هـ = ٦٩٨ - ٧٤٠ م] وبجده ،
ومؤسس دولتهم باليمن الهاشمى إلى الحق بمحى بن الحسين
[٢٤٥ - ٢٩٨ هـ = ٨٥٩ - ٩١١ م] .

أما في علم الكلام وأصول الدين : فلقد كان - كثيماً
عرض في الزيدية - على مذهب الاعتزال .. اللهم إلا في
قضية الإمامة ، التي يتميز فيها الموقف الزيدى تميزاً محدوداً عن
مذهب المعتزلة فيها ..

● فهو يتولى أبي بكر وعمر .. مع تقضيه عليهما على أبي بكر .
وقوله بجواز تقديم إمامه المفضول على الأفضل لاعتبارات
سياسية وعملية ! .

وقوله بتأول الصحابة تأولاً خاطئاً ، لا يقبح في إسلامهم
ولا في فضلهم ! .. ويتوقف في عثمان بن عفان ، بعد
الأحداث التي حدثت في السنوات الأخيرة من حكمه ! .

● وهو يحكم بالخطأ - القريب من الفسق - على من
حارب علي بن أبي طالب في « موقعة الجمل » .. ويقول :
إنهم قد تابوا بعدها ! ..

• ويقول بفاسق معاوية بن أبي سفيان [٢٠ ق.هـ - ٦٠٣ هـ - ٦٨٠ م] ويعبرأ منه .

• والنصل على الأئمة عنده خاص بعلي والحسن والحسين ..
وبعد ذلك لا نصل ولا عصمة في الأئمة .

وفي تصنيف ابن المرتضى لتيارات الفكر ومدارسه ومذاهب ،
بكتابه المتميز « الملل والنحل » وبشرحه « المنية والأمل في شرح
كتاب الملل والنحل » .. ميز بين « الفرق الكفرية » .. و « الفرق
الكتابية » .. و « الفرق الإسلامية » .

والفرق الإسلامية عنده ست فرق : الشيعة - وفيها الإمامية ..
والزيدية .. والباطنية .. والخوارج .. والمعتزلة .. والمرجحة -
وأن الحق بها المجزرة .. والكلامية .. والأشعرية .. والكرامية - ..
والعامة - أهل التقليد - .. والخشوية - أهل الخبر والتشبيه -
ويلحق بهم : الحنابلة والظاهرية - ..

والى جانب التأليف والتصنيف مارس ابن المرتضى
التدرис ، فكان يتنقل لذلك بين مختلف مدن اليمن .

أما الأصول الخمسة ، التي هي جماع مذهب ، فلقد صاغها
على هذا النحو :

١ - وجود القديم المحدث بلا معاني - [أي أصل :
التوحيد] - .

٢ - والمعزلة بين المترفين [أي أن مرتكب الكبيرة : فاسق ،

في منزلة وسط بين الكفر والإيمان] .

٣ - وأن فعل العبد غير مخلوق فيه [أي أن العبد حر مختار ، خالق لأفعاله] .

٤ - وتولي الصحابة ، والاختلاف في عثمان بعد الأحداث ، والبراءة من معاوية ومن عمرو بن العاص .

٥ - ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولقد توفي ابن المرضي ببلدة الطفير ، بجبل حجة ، في غربي صنعاء .. ودفن هناك (١) ! .

(١) (الزيدية) للدكتور أحمد محمود صباغي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤ م ، و [رسائل العدل والتوحيد] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عماره - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م ، و [تيارات الفكر الإسلامي] للدكتور محمد عماره - طبعة بيروت سنة ١٩٨٥ م .

(٣١) ابن عبد الوهاب

[١١٩٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٩٢ - ١٧٠٣ م]

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الشعيمي النجدي ،
شيخ الدعوة التجددية السلفية ، الذي تنسب إليه [الوهابية]
بشبه الجزيرة العربية ..

ولد ونشأ في « العينية » - بتجد ، ورحل إلى الحجاز
والبصرة .. وتعلم بالمدينة المنورة .. ثم استقر بتجد - في
« حريماء » حيث كان والده قاضيها - ومنها انتقل إلى مسقط
رأسه « العينية » داعياً إلى مذهب السلف - مدرسة أهل
الحديث - مركزاً دعوته على تطهير عقيدة التوحيد مما شابها
من تصورات وبدع وأوهام .. وبعد حقبة من التعاون مع أمير
« العينية » - عثمان بن محمد بن معمر - تخلى الأمير عن دعوة
الشيخ .. فغادرها إلى « الدرعية » حيث تناقض مع أميرها
محمد بن سعود .. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الدعوة السلفية
مذهب الدولة السعودية .. فوضع الأمير محمد بن سعود قوة
إمارته في خدمة الدعوة ، وخاض المعارك ضد القبائل الرافضة
لها ، وكان ابن عبد الوهاب رجل الدعوة ، بل وفي طليعة
جيش الإمارة التي اتسعت حدودها فشملت شرق الجزيرة
وأجزاء من اليمن ومكة والمدينة والجازر ..

ولقد استمر أمراء آل سعود - عبد العزيز بن محمد ..

وسعد بن عبد العزيز - في دعم الشيخ ابن عبد الوهاب ،
والعمل على نشر دعوته ، واتخاذها مذهب الإمارة .

وبعد ابن عبد الوهاب أهم من انتقل بالتجدد الإسلامي ،
في العصر الحديث ، من إطار التجديد الفردي والمشروع
الفكري إلى إطار « الدعوة » التي اتخذت لها « دولة » تخدمها
وتقاتل في سبيل نشرها ، الأمر الذي جعل لدعوته من التأثير
والاستمرارية ما لم تحظ بهما دعوات تجديدية أخرى ربما كانت
أرسخ منها قدماً في فكر التجدد .

ولقد كان تجديد الشيخ ابن عبد الوهاب واجتهاده اختياراً
في إطار المذهب الحنبلي ، واستدعاء لنصوص ومقولات
أعلامه - وخاصة منهم مؤسس المذهب الإمام أحمد بن حنبل
[١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٨٥٥ م] وشيخ الإسلام ابن
تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م] - أكثر مما
كان « إبداعاً » فكريًا مبتكرًا وجديداً .. كان اجتهاد اختيارات
في إطار المذهب ، استدعي النصوص والمقولات التي تنفي
عقيدة التوحيد بما ران عليها وشابها من مظاهر الشرك والبدع
والخرافات .. على النحو الذي ناسب بيئته بجد ومشكلاتها في
ذلك التاريخ .

ولأن « الدولة » قد نصرت « الدعوة » ؛ فلقد امتد تأثيرها
واستمر مكاناً وزماناً .

ولقد ترك الشيخ ابن عبد الوهاب العديد من الكتب

والرسائل التي عالج فيها المشكلات التي اهتمت بها دعوته التجددية الإصلاحية .. منها : « كتاب التوحيد » و « كشف الشبهات » و « تفسير سورة الفاتحة » و « أصول الإيمان » و « تفسير شهادة أن لا إله إلا الله » و « معرفة العبد ربه ودينه ونبيه » و « المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية » - وفيها أكثر من مائة مسألة - و « فضل الإسلام » و « نصيحة المسلمين » و « معنى الكلمة الطيبة » و « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « مجموعة خطب » و « مقيد المستفيد » و « رسالة في أن التقليد جائز لا واجب » و « كتاب الكبائر » .

وحتى عناوين هذه الرسائل تفصح عن مضامينها التي ركزت على تنقية عقيدة التوحيد ، والعودة فيها إلى التصور الإسلامي النقي الذي رسخته المدرسة السلفية فيتراث الإسلام ! ^(١) .

• • *

(١) [مجموعة التوحيد] رسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب . طبعة المكتبة السلفية - القاهرة ، و [تيارات الفكر الإسلامي] للدكتور محمد عماره - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٩١ م .

(٣٢) عمر مكرم

[١١٦٨ - ١٢٣٧ هـ = ١٧٥٥ - ١٨٢٢ م]

هو السيد ، عمر مكرم بن حسين ، السيوطي .. ولد بأسيوط ، في صعيد مصر ، ودرس في الأزهر .. وتولى نقابة الأشراف ، وكان أبرز القيادات الشعبية في عصره ..

ولقد بدأ اشتغاله بالعمل العام ، وإسهامه في حل مشكلات مصر - التي كانت ولاية عثمانية - قبل أن يتولى نقابة الأشراف ويشارك مع كبار شيوخ الأزهر وقضاة الشرع في قيادة الأمة إبان الحملة الفرنسية على مصر وبعدها .. فمنذ [١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠ م] ظهر اسمه في تاريخ « الخبرى » لأحداث الصراع على السلطة بين المالكين .. أى قبل توليه نقابة الأشراف [١٢٠٨ هـ = ١٧٩٣ م] بثلاث سنوات .. وفي أواخر [١٢٠٩ هـ = ١٧٩٥ م] قاد مع علماء الأزهر إضراب الاحتجاج على ظلم المالكين ، وهو الإضراب الذي انتهى بتنزول المالكين على « العهد » الذي صاغه العلماء - « برفع المظالم ، ومراعاة العدل ، وإلغاء الضرائب المستحدثة ، وإرسال أموال الحرمين الشريفين إلى مستحقها .. إلخ .. ». ميثاقاً دستورياً وأعلاناً لحقوق الإنسان ! .

وللعلاقة بين نقابة الأشراف وبين التنظيمات الصوفية - التي يغلب على مريديها جمهور الفقراء - كانت قيادة عمر مكرم

لجمهور العامة أوضاع ما تكون خلال أحداث الصراع بين الأمة والملوك والسلطة العثمانية في ذلك التاريخ . على أن القيادة الشعبية لعمر مكرم قد برزت أكثر مما تكون إبان الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣ - ١٢١٦ هـ = ١٨٩٧ - ١٨٠١ م] فلقد تميز موقفه من الاحتلال .. لقد قاد جمهور الأمة في مقاومة جيش بونابرت .. فلما انهزمت المقاومة انسحب إلى « يافا » ، مع قادة المقاومة .. ثم عاد - بعد ثمانية أشهر - إلى مصر ، بعد غزو بونابرت لليافا ، واعتزل الشيوخ الذين تعاونوا مع الاحتلال - وكان الفرنسيون قد نهبوا داره ، وصادروا أملاكه ، وفصلوه من نقابة الأشراف ! .

وظل عمر مكرم يراقب الأحداث ، إلى أن اندلعت ثورة القاهرة الأولى ، فقادها [١٢١٤ هـ = ١٨٠٠ م] ، وقاتل了一 العامة بقيادة جيش الجنرال « كليبر » سبعة وثلاثين يوما .. فلما خذلت الجنود العثمانيون الثوار ، وانهزمت ثورة القاهرة ، انسحب عمر مكرم من القاهرة مرة ثانية - وعاد الفرنسيون لنهب أملاكه ، وفصله من نقابة الأشراف - وظل بعيداً عن القاهرة حتى خرج الفرنسيون من مصر [١٢١٦ هـ = ١٨٠١ م] ..

وفي سنة (١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م) قاد عمر مكرم ثورة العلماء ضد الوالي العثماني « خورشيد باشا » ، وأعلن الوثيقة الشرعية التي تقرر حق الأمة في عزل الولاية الظلمة ، بل والخلفاء والسلطانين إذا جازوا ، وحقها في اختيار الولاية

والأمراء .. والتي قال فيها : « إن ولادة الأمر هم : العلماء ، وحملة الشريعة ، والسلطان العادل .. ولقد جرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولادة .. حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه ! » . ولقد استجاب السلطان العثماني لطلاب ثورة العلماء هذه ، فعزل الوالي التركي ، وأقر اختيار العلماء محمد علي باشا واليًا على مصر ..

ولعدة سنوات من ولادة محمد علي حكم مصر ، خلت قيادة عمر مكرم هي الأرجح لدى الجماهير ، حتى أن الوالي لم يكن يستطيع تنفيذ قانون أو جمع ضريبة أو توزع سلاح إلا إذا نادى منادي السيد عمر مكرم على الناس بتنفيذ هذا القانون! .. ولما كان محمد علي طموحًا إلى بناء « دولة » تفرض سلطانها على « الأمة » فلقد بدأ صفحة من الصراع ضد قيادة الأمة ، وخاصة السيد عمر مكرم .. ولقد نجح في شق صفوف العلماء ، بالترغيب والترهيب ، حتى استطاع نفيه من القاهرة إلى دمياط [١٢٤ = ١٨٠٩ م] .. فمكث فيها ثلاث سنوات .. ثم انتقل إلى طنطا فأقام بها ست سنوات .. وبعد أن أذن له محمد علي في الحج إلى بيت الله الحرام ، عاد من الحجاز إلى القاهرة ، فاستقبلته جماهيرها استقبالاً عظيمًا .. ثم اعتكف عن لقاء الجمورو :

لكن محمد علي لم تغادره الوساوس والشكوك والمخاوف

من نفوذ عمر مكرم ، فطلب إليه - وعده فتنة من الفتن -
مخادرة القاهرة إلى صنطا [١٢٣٧ هـ = ١٨٢٢ م] .. فلم
يلبس بها طويلاً حتى انتقل إلى جوار ربه ، بعد حياة حافلة قاوم
فيه قوى الظلم والخور والاستبداد ، الداخليّة منها والخارجيّة
على السواء (١) !؟ ..

* * *

(١) [تاريخ الحبرى] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م ، و [مسلعون ثوار]
للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٣٣) رقاعة الطهطاوي

[١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ م - ١٨٧٣ م]

هو رقاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع - الشهير بالطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ م - ١٨٧٣ م] نسبة إلى مسقط رأسه ، مدينة « طهطا » في محافظة سوهاج ، بصعيد مصر .

بعد حفظه للقرآن الكريم ، غادر الصعيد إلى القاهرة ، فالتحق بالأزهر الشريف [١٢٢٢ هـ = ١٨١٧ م] ليتخرج منه بعد ست سنوات ، وليصبح أحد المدرسين فيه .

وكان الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥١ هـ = ١٧٦٦ - ١٨٣٥ م] أبرز شيوخ رقاعة الطهطاوي ، فوجهه إلى طريق التجديد والاجتهاد في طلب ودراسة العلوم غير التقليدية ، وغير المألوفة لدى الأزهريين في ذلك التاريخ .

وبعد عامين من التدريس بالأزهر ، انتقل الطهطاوي إلى وظيفة الوعظ والإمامية في الجيش - رشحه لذلك الشيخ العطار .. فلما طلب الوالي محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] من شيخ الأزهر - حسن العطار - ترشيح أحد العلماء ليكون الإمام الدينى للبعثة الدراسية المسافرة إلى باريس ، رشح العطار الشيخ رقاعة ، فسافر إلى باريس [١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م] .. ولقد أوصاه

شيخ العطار بتدوين مشاهداته في بلاد الفرنسيس ، على النحو الذي صنعته الرحالة المسلمين القدماء - من أمثال ابن جبير .. وابن بطوطة ؟ لينتفع المسلمون بمطالعة هذه المشاهدات ..

لكن الطهطاوي كان طموحاً ما هو أكبر من الوظيفة التي اختير لها .. كان طموحاً لإماماة في العلم والمعرف تضاف إلى إمامته في الصلة والوعظ للمبعوثين ، فبدأ تعلم الفرنسيسية منذ أن وطئت قدماء الباخرة التي سافر عليها من ميناء الإسكندرية .. وفي باريس طلب أن يتضم رسمياً إلى سلك المبعوثين الدارسين .. فكان هناك إماماً في الدين ، وطالب بعثة تفوق على أقرانه من طلاب العلم الحديث ! .

ولقد أهلته إجادته اللغة العربية - مع الفرنسيسية - للنهوض بترجمة مختارات من فكر وعلوم الحضارة الفرنسية ، التي كان الشرق العربي والإسلامي غريباً عنها ، ومتطلعاً إليها في ذلك التاريخ .. وكان كتاب الطهطاوي « تخلص الإبريز في تخلص باريز » - الذي كتبه بباريس كأطروحة للتخرج - هو أول عنين شرقية تعطل على الحضارة الغربية الناهضة في عصرنا الحديث .. كتبه الطهطاوي لا ليسلي ويمنع قومه بغرائب وعجائب الرحلات ، وإنما « ليوقف أمة الإسلام » من رقادها الحضاري الطويل ! .

ولقد أعاد التكوين الإسلامي للطهطاوي - كشيخ أزهري - على أن لا ينبع ولا يندهش بكل ما رأه ، فرأينا ملكته النقدية وقدرتها في مقارنة الفلسفات والأنساق الفكرية تميز - في فكر « الفرنجة » - بين العلوم الطبيعية وفنون التمدن والصناعات - والتي هي مشتركة إنسانياً عام بين كل الحضارات والثقافات والديانات - وبين العلوم الإنسانية والدينية - علوم تقييف وتهذيب النفس الإنسانية - والتي تميز فيها الحضارات والديانات .. فأدرك - في دراسته لفكرة « الفرنجة » - الفروق بين ما سماه « علوم التمدن المدني .. العلوم الحكيمية .. الالزمة لتقدير الوطن » - وهي التي نحن أحوج ما نكون إليها .. والتي سبق وأخذتها الغرب عن الحضارة الإسلامية - .. أدرك الفروق بين هذه العلوم الطبيعية والبحثية والمحايدة ، وبين « الفلسفة الوضعية المادية » ، التي كفرت حتى بالنصرانية ، واعتمدت فقط على العقل المجرد والتوصيات الطبيعية في تحصيل المعرف والعلوم ، منكرة على عالم الغيب والوحي الإلهي أن يكونوا من مصادر المعرف والعلوم .. فدعى الطهطاوي إلى التعلم على أوريا في علوم التمدن المدني ، لتطوير وتحضير واقع أمتنا ، ورفض الفلسفات الوضعية والمادية الأوروبية ، قائلاً عنها : « .. ولهم في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية .. فهو لم يرفضها لأنها نصرانية - وهو شيخ مسلم - وإنما رفضها لإدراكه مخالفتها لمطلق الدين ، أي دين ، وكل دين ! .. ولم يكن في هذا الرفض للفلسفة الوضعية رفض للعقل أو غض من شأن

النوايس والقوانين الطبيعية ، وإنما كان بسبب إهمانها للشرع والدين ، فبه الطهطاوي على تميز فلسفة الإسلام عن تلك الفلسفة المادية ، يجعل الشرع مع العقل المعيار لحسن الأشياء أو قبحها ، على حين اعتمدت تلك الفلسفة الوضعية العقل دون الدين .

وإنطلاقاً من هذا الوعي الإسلامي يتمازج الحضارات ، والإدراك لم يأدين الاشتراك والتفاعل وميادين الخصوصية والتمازج ، دعا الطهطاوي إلى الانفتاح على أوروبا في علوم التمدن المدني ، فكتب يقول : « إن مخالطة الأغرب ، لا سيما إذا كانوا من أولي الألباب ، تجلب للأوطان المدافع العمومية ، والبلاد الإفرنجية مشحونة بأنواع المعارف والأداب التي لا ينكر إنسان أنها تجلب الأنس وتزين العمران . فهم يعرفون التوفير وتدبير المصادر ، حتى أنهم دونوه وجعلوه علماء ! ..

وأبصر الطهطاوي تقدم فرنسا في الحرية .. ومؤسساتها الدستورية والنيابية والقانونية .. فبه أمه إلى مكانة الحرية في التمدن وال عمران ، وإلى مميزات النظم الدستورية المقيدة سلطات حكوماتها بالقانون .. لأن « الحرية [كما قال] هي الوسيلة العظمى في إسعاد أهالي المالك .. فإذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى في راحة الأهالي وإسعادهم في بلادهم ، وكانت سبباً في حبهم لأوطانهم . ولقد تأسست المالك : لحفظ حقوق الرعاعيا ، والحرية ، وصيانة النفس ، والمال ، والعرض ، على موجب أحكام

شرعية، وأصول مضبوطة مرجعية . فالمملوك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين ۱ .

وفي ذات الوقت - الذي دعا فيه الطهطاوي الأمة للانفتاح على أوروبا في هذه الميادين - التقدّم ورفض الفلسفة الوضعية المادية ، التي أخرجت غالب الفرنجة عن نصراناتهم .. فكتب يقول :

أيوجد مثل باريس ديار شموس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح أما هذا وحقكم عجيب !
فبلاد الإفرنج مشحونة بكثير من الفواحش والبدع
والضلالات ، وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم
البرانية .. إن أكثر أهل هذه البلاد إنما لهم من دين النصرانية
الاسم فقط ، حيث لا يتبع دينه ، ولا غيره له عليه ، بل هو من
الفرق الحُشنة والمُقْبحة بالعقل .. أو فرقه من الإباحيين الذين
يقولون : إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب .. ولذلك فهو لا
يصدق بشيء مما في كتاب أهل الكتاب لخروجه عن الأمور
الطبيعية » .

وفي مواجهة هذه الفلسفة الوضعية ، التي رأها الطهطاوي كافرة بمطلق الدين ، وليس فقط بالإسلام ، قدم - في نظره مقارنة عميقة - فلسفة الإسلام المتميزة بالجمع بين العقل والشرع ، فقال : « إن تحسين التواميس الطبيعية لا يعتمد به إلا إذا فرره الشارع .. ولا عبرة بالتفوّس القاصرة ، الذين حُكّموا

عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنا إليها تحسيناً وتبنيحاً ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود ، يتعدي المحدود .. وليس لنا أن نعتمد على ما يُحسنَه العقل أو يُقْبِحَه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقييحيه .. فينبغي تعليم النقوس السياسية بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة » ..

وكما رفض الطهطاوي وضعية الغرب في الفلسفة - تلك التي فصلت الشرع عن العقل - رفض هذه الوضعية كذلك في القانون - عندما استبعدت القيم والأخلاق والضوابط الدينية من القانون .. فأقامته على المنفعة الدنيوية وحدها - .. ولذلك دعا الطهطاوي إلى تقنين الشريعة الإسلامية ، وفقه معاملاتها ، ليكون لها الحاكمة في بلاد الإسلام ، بدلاً من « قانون نابليون » - الذي كان قد بدأ يتسرّب إلى الشرق في ركاب التجار والاستعمار - فكتب يقول : « إن المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أحلت بالحقوق ، بتوفيقها على الوقت والحالة .. ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المذاهب العمومية .. إن بحر الشريعة الغراء ، على تفرع مشارعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقي والري ، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ؛ لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع » .. هكذا نظر الطهطاوي إلى الحضارة الأوربية ، نظرة العالم

المسلم المدرك لمناطق الاشتراك ومناطق التمايز في علاقات الحضارات وتفاعل الثقافات .

* * *

● وفي المشروع الإصلاحي الذي بشر به الطهطاوي ، كان الرجل في طبيعة الدعوة إلى إحياء الروح الوطنية ، وتوظيف عاطفتها الفطرية في التقدم والتعمدن للوطن وأهله .. « فما أسعد الإنسان الذي يميل بطبيعته لإبعاد الشر عن وطنه ، ولو يضرار نفسه ! .. فصمة الوطنية لا تستدعي فقط أن يطلب الإنسان حقوقه الواجبة له على الوطن ، بل يجب عليه أيضاً ، أن يؤدي الحقوق التي للوطن عليه .. فإذا لم يوفق أحد من أبناء الوطن بحقوق وطنه ضاعت حقوقه المدنية التي يستحقها على وطنه ! .. والتقدير لا يتم بدون انجذاب قلوب الأهالي إلى الوفاء بحقوق هذا الوطن العظيم ! » ..

بل لقد كان الطهطاوي أول شاعر نظم العديد من الأناشيد الوطنية في عصرنا الحديث .. وفي أحدها يقول :

من أصل الفطرة للقين بعد المولى حب الوطن
هبةٌ منْ الوهاب بها فالحمد لوهاب المبنِ

● وكانت الوطنية - عند الطهطاوي - منطلقاً إلى دائرة أوسع منها ، هي دائرةعروبة ، القائمة على عروبة اللغة واللسان ، وذلك « لأن العرب هم خيار الناس ، ولسانهم

أفسح الألسن .. ولقد اشتهرت أمّة العرب ، جاهلية وإسلاماً ،
بالفضائل ١ ..

● بل لقد رأى كلاً من الوطنية والعروبة في دائرة الانتقام
لحضارة الإسلام .. حتى لقد نظر إلى حروب محمد علي باشا
ضد الدولة العثمانية ، باعتبارها حركة إحياء وتحديد لشباب
الدولة الإسلامية الجامعة .. « فهني - [برأيه] - لم تكن من
محض العبث ، ولا من ذميم تعدى الحدود ، وإنما جل القصد
منها : تنبيه أعضاء ملة وجنسية عظيمة ، تحسبهم أيقاظاً وهم
رقود » ! ..

● وفي الفلسفة الاجتماعية الخاصة بالثروات والأموال ،
رفض الطهطاوي الاشتراكية الحالية (الطبواوية) الفرنسية -
ذات التزعة الوضعية الإلحادية - كما يشر بها الفيلسوف
الفرنسي « سان سيمون » [١٦٧٥ - ١٧٥٥ م] .. كما
رفض مشاعية وشيوخية المذكورة الفارسية والقراططية القدماء ..
وفي ذات الوقت لم يجحد الفردية الرأسمالية في صورتها
المليارية الأوربية .. وإنما دعا إلى نظام اجتماعي متوازن لا يهمـل
معيار ملكية رأس المال أو الأرض الزراعية ، مع تغليب نصيب
« العمل » على نصيب « الملكية » في عائد الأرض والصناعات
والتجارات .. ذلك « أن منبع السعادة الأولى هو العمل
والكد .. وإن أعظم حرية في المملكة المتقدمة هي : حرية
ال فلاحة ، والتجارة ، والصناعة .. والعدل أساس المجتمع »

التأسية - [المجتمع الإنساني] - والعمان والتمدن ، فهو أصل عمارة الملك ، التي لا يتم حسن تدبيرها إلا به ، وجميع ما عدا العدل من الفضائل متفرع عنه ، وكالصفة من صفاته .. وحب النفس خصلة جامعة لجميع العيوب والذنوب ، مخلة بالجنس البشري ، إلا إذا صاحبها حب مثل ذلك للإخوان وأهل الأوطان .. ومذهب المزدكية يدعو إلى تساوي الناس في الأموال ، وأن يشتراكوا في النساء .. وهو قريب من مذهب القرامطة في أيام المخلفاء ، ومن مذهب سان سيمون الجديد بفرنسا .. فكل زمان عرضة لخروج أرباب الضلالات من شياطين الإنس ، على اختلاف الجنس ! ..

• وفي الموقف من المرأة .. كان الطهطاوي طليعة الدعاة إلى تحريرها ، بالعلم والعمل ، وإلى مساواتها بالرجل مع مراعاة مقتضيات التمايز الفطري بين الأنوثة والذكورة .. ذلك «أن العاقف إذا أمعن النظر الدقيق في هيئة المرأة والرجل ، في أي وجه كان من الوجوه ، وفي أي نسبة من النسب ، لم يوجد إلا فرقاً يسيراً يظهر في الذكورة والأنوثة وما يتعلق بهما ، فالذكورة والأنوثة هي موضع التباين والتضاد .. وكلما كثُر احترام النساء عند قوم كثر أدبهم وظرافتهم ، فعدم نوافذ النساء حقرهن فيما لهن الحرية فيه ، دليل على الطبيعة المشربة .. والعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في

حق النساء ١ ..

● وكان الطهطاوي داعية إلى تعميم التعليم ، باعتباره ضرورة إنسانية كالخبز والماء ! .. وإلى تأسيس التمدن والتقدم على التربية ، التي تحيي الجسد والروح والأخلاق على السواء .. فالآمة التي تقدم فيها التربية ، بحسب مقتضيات أحوالها ، يتقدم فيها أيضاً التقدم والتمدن .. بخلاف الآمة القاصرة التربية ، فإن تمدنها يتأخر يقدر تأخر تربيتها .. فالتربيـة هي أساس الاتـفاع بـأنـاء الـوطـن .. والـتعلـيم الـأـوـلـي ضـرـوري لـسـائـر النـاس ، يـحـتـاج إـلـيـه كـل إـنـسان كـاـحـتـاجـه إـلـى الخـبـز وـالـمـاء .. وـالـتـعـلـيم الـعـالـي فـيـه تـمـدـين جـمـهـور الـآـمـة ، وـتـرـقـيـها فـي الـحـضـارـة وـالـعـمـرـان ..

وإذا كان الطهطاوي قد صاغ لأمته ملامح هذا المشروع الهضمي - للتقدم والتمدن - في مؤلفاته ومتراجماته - التي قاربت الخمسين كتاباً ورسالة - والتي كان من أهمها « تخلص الإبريز في تشخيص باريز » و « مناهج الألباب المصرية في مباهج الأداب العصرية » و « المرشد الأمين في تربية البنات والبنين » و « نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز » و « أنوار توفيق الحليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل » و « القول السديد في الاجتهد والتقليد » و « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » و « مجموع في المذاهب الأربعة » و « أرجوزة في

التوحيد » .. إلخ .. إلخ .. - فإن الطهطاوي لم يكن مجرد رائد في الفكر ، اجتهد في صياغة معالم المشروع النهضوي لأمته .. وإنما كان - مع ذلك - « رجل دولة » ، جسد مشروعه الفكري من خلال ممارسته التطبيقية ، وبواسطة المؤسسات الجديدة التي أقامها أو عمل بها ، وأيضاً من خلال الرجال الذين صنفهم على عينه لنشر وتطبيق هذا المشروع .. فلقد عمل الطهطاوي - منذ عودته من باريس [١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م] في وظائف الترجمة .. والتعليم .. وأقام وأدار المدرسة الجامعية « مدرسة الألسن » .. وعمل بالصحافة - في « الواقع المصرية » .. و « روضة المدارس » .. واختار للطباعة والنشر عيون التراث الإسلامي . كما انتقى للترجمة والنشر عيون الفكر الغربي .. ولم ينس أن يقيم للتعليم العالي قاعدة للتعليم الأولي والعام ، من خلال شبكة « الكاتيب الحديثة » التي طاف أنحاء البلاد لإنشائهما ، والإشراف عليهما ، والتي كان ينتقي نجاء طلابها للتعليم المتوسط - التجهيزى - والعلمي .. وإذا كما نريد أن نستحضر طرفاً من عظمة الجهد الذي بذله الطهطاوي في هذا الميدان ، فيكفي أن نعلم أن الرجل قد كان يطوف أنحاء الوطن ، لا بالقطار أو السيارة ، فضلاً عن الطائرة ، وإنما على ظهر المراكب الشراعية في النيل وفروعه .. وهي مراكب لم تكن مخصصة للتزهظة أو حتى الأسفار ، وإنما كانت تحمل المحاصيل الزراعية ، وجذوع الأشجار ، بل و « بلايلص » الجبن والعسل من الريف المنتج إلى

مدن الاستهلاك !! .. على هذه السفن طاف الطهطاوي أنحاء الوطن - الذي أحبه - لينشر فيه ، وليصون على أرضه ولتحقيم في قراه معالم المشروع الحضاري الذي بلوره من العلم الذي اكتسبه من الأزهر الشريف - منارة الإسلام - ومن « باريز »
إليوان وتحت دولة الفرنسيين » ١٩

(٣٤) خَيْرُ الدِّينِ التُّونْسِي

[١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ = ١٨٩٠ - ١٨١٠ م]

هو خَيْرُ الدِّينِ التُّونْسِي [١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ = ١٨١٠ - ١٨٩٠ م] المُفَكِّر .. وَالسياسي .. وَرَجُلُ الدُّولَة ..

وُلدَ فِي إِحْدَى الْقُرَى الصَّغِيرَةِ بِجَبَالِ الْقَوْقَازِ ، يَقْبِيلَةِ «أَبَاطَة» الشَّرْكَسِيَّةِ ، وَاحْتَفَظَهُ تَجَارُ الرَّقِيقِ صَغِيرًا ، وَجَاءَتْ بِهِ قَافْلَتُهُمْ إِلَى الْأَسْتَانَةِ ، عَاصِمَةِ السُّلْطَانَةِ العُثْمَانِيَّةِ ، حِيثُ بَعِيَّ
كَمَا يَبَاعُ الرَّقِيقُ فِي سُوقِ النَّخَامَةِ ! .. ثُمَّ تَنَاقَّلَهُ الْأَيْدِيُّ ،
بِالْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ رَقِيقًا ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَصْرِ حَاكِمِ تُونِسِ ،
الْبَيْهِيِّ أَحْمَدِ باشاً [١٢٥٢ - ١٢٧٢ هـ = ١٨٣٦ - ١٨٥٦ م] ، فَتَعْلَمَ هُنَاكَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ، وَفَرَائِضِ الدِّينِ
الْإِسْلَامِيِّ ، وَفُنُونِ الْعُسْكُرِيَّةِ ، وَالْسِّياسَةِ ، وَالتَّارِيخِ وَأَجَادَ الْلُّغَةِ
الْفَرَنْسِيَّةِ ، إِلَى جَانِبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْتُّرْكِيَّةِ .. وَتَدْرَجَ مُتَرْفِقًا -
لِلْأَعْيُّتِهِ وَنَجَابَتِهِ وَمَثَابَتِهِ وَذَكَائِهِ - فِي الْمَنَاصِبِ حَتَّى أَصْبَحَ
«الْوَزِيرُ الْأَكْبَرُ» فِي الْبَلَادِ ! .

وَبِفَضْلِ إِصْلَاحَاتِهِ فِي تُونِسِ أُعْلِنَ دُسْتُورُ الْمُلْكَةِ التُّونْسِيَّةِ
سَنَةَ [١٢٨٤ هـ = ١٨٦٧ م] .. فَلَمَّا أُبْعِدَ عَنِ الْمُؤْزَارَةِ سَنَةَ
[١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م] ذَهَبَ إِلَى عَاصِمَةِ السُّلْطَانَةِ ، الْأَسْتَانَةِ ،
وَتَوَلَّ الصِّدارَةَ الْعَظِيمَيِّ لِلْسُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ [١٢٥٨ - ١٢٣٦ هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] فِي سَنَةَ [١٢٩٥ هـ]

١٨٧٨م] .. فلما أعياه الإصلاح استقال في العام التالي .. وأصبح عضواً في مجلس الأعيان ، حتى وافته المنية هناك .

وفي تونس ، وأثناء أزمة من أزماته مع الباي محمد الصادق [١٢٧٥ - ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ - ١٨٥٩ م] اعتزل خير الدين جميع مناصبه الحكومية لعدة سنوات [١٢٧٨ - ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٢ - ١٨٦٩ م] واعتكف في بستان له - كما اعتزل ابن خلدون من قبل في إحدى قلاع تونس فكتب المقدمة والتاريخ - اعتزل خير الدين واعتكف في بستانه فكتب - على غرار ابن خلدون - كتاب « أقوم المسالك في معرفة أحوال المالك » - الذي طبع ، بتونس ، للمرة الأولى [١٢٨٤ هـ = ١٨٦٨ م] .. والذي أودع مقدمته خلاصة آرائه في التمدن والإصلاح - تماماً مثلما فعل ابن خلدون في المقدمة ! .

ولقد كان خير الدين ، بحكم عصره ، وموقعه - بعد رفاعة رافع النطھطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣ م] - أبرز من أطلق على الحضارة الغربية ، وجاء مشروعه للإصلاح في ضوء علاقة العالم الإسلامي ، يومئذ بها .. فلقد كان تجاهل التأثير الأوروبي في ذلك التاريخ وتلك الملابسات ضرورة من الحال .. ففرنسا كانت قد شرعت في احتلال الجزائر سنة [١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠ م] وشرعت في مد نفوذها الاقتصادي إلى تونس ، بتقديم

القروض ، وأخذت تتدخل في شؤونها المالية ، تمهدًا للسيطرة ، فالاحتلال ! .

وكان الباي أحمد صاحب محاولات في الإصلاح ، يترسم فيها خطى محمد علي باشا الكبير [١٨٤ - ١٢٦٥ هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] بمصر ، فأنشأ في « باردو » بفرنسا ، سنة [١٢٥٦ هـ = ١٨٤٠ م] مكتب العلوم الحربية ، ليتعلم فيه الجنود التونسيون علوم الهندسة والمساحة والحساب ، وغيراها ، وعهد إلى خير الدين بالإشراف على هذا المكتب - [المدرسة] - الذي رأسه المستشرق الإيطالي « كاليفاريس » .. وهناك عايش خير الدين الحضارة الأوروبية ولمس تأثيراتها ، ولقد اكتملت معرفته بها في سفاراته للباي ندي عديد من ممالك أوروبا ، مثل : فرنسا والسويد وبروسيا وبلجيكا والمغارك وهولندا .

ولقد نبلورت دعوة خير الدين إلى إصلاح أحوال المسلمين في ضرورة الأخذ عن الحضارة الغربية التنظيمات والتجارب والتراتيب الإدارية .. وضرورة التجديد والاجتهاد في الشريعة الإسلامية .. كي تواكب المصالح المتتجدة للمسلمين .. فتحدث عن العلاقة بأوروبا قائلاً : « إنه لن يهيا لنا أن نميز ما يليق بنا إلا بمعرفة أحوال من ليس من حزبنا ! .. فالدنيا بصورة بلدة متعددة ، تسکنها أمم متعددة ، حاجة بعضهم لبعض متأكدة ! .. أما هذا الذي رأه لائقاً بال المسلمين ، لينهضوا به ،

من ثمرات الحضارة الغربية .. فإن في مقدمته :

١ - التنظيمات السياسية :

التي هي في الحقيقة السبب في تقدم الأوربيين في المعرف .. وهذه التنظيمات لابد أن تكون مؤسسة على العدل والحرية .. ولذلك أدان التونسي الاستبداد بالسلطة وحكم الفرد ، ودعا إلى إحياء هيئة « أهل الحل والعقد » الإسلامية .. وذكر في مذكراه - تكوين المجالس التنابية بالانتخاب العام .. وألح على ضرورة تقييد جهاز الدولة بالقوانين ، سواء منها تلك التي تنظم علاقة الرعية بالدولة ، أو العلاقة بين المواطنين .. وطالب بأن تكون مباشرة الحكم التنفيذي من اختصاص الوزراء لا المحاكم الأعلى ، وأن يكون الوزراء مسؤولين أمام وکلاء الأمة ونوابها المنتخبين .. وقال : إن أوروبا إذا كانت قد صنعت وأقامت هذه التنظيمات السياسية انطلاقاً من القوانين العقلية الطبيعية ، غير الإلهية ؛ فإن المسلمين أولى من الأوربيين بذلك ؛ لأن هذه التنظيمات مما يحقق غاية الشريعة الإسلامية ومقاصدها .

٢ - والحرية السياسية :

والغاية من التنظيمات السياسية عند خبير الدين التونسي : هي تحقيق العمران للبلاد ، وأساس هذا العمران هو العدل ، أي الحرية السياسية للمواطنين .. كما أن اتساع نطاق المعرف في

المجتمع إنما يرجع كذلك إلى اتساع نطاق الحرية .. وإذا كانت الحرية الشخصية ضرورية ، ليتصرف الإنسان في ذاته وكسبه وهو آمن على نفسه وعرضه وماله ، مطمئن إلى تساويه مع أبناء جنسه ؛ فإن الحرية السياسية أدخل في الضرورة واللزوم ؛ لأنها هي التي تحقق اشتراك الرعية في توجيه سياسة الدولة ، كي تأتى على وفق المصلحة العامة للمجموع .. ويدخل في الحرية السياسية : حرية نشر الأفكار ، التي يسميها التونسي : « حرية المطبعة » ، حيث لا يمنع الإنسان من أن يكتب ويدبّع ما يعتقد صواباً ومصلحة ، أو يعرض ذلك على أجهزة الدولة ومجالسها حتى ولو تضمن ذلك الاعتراض على مناهجها ! .

٣ - والحرية الاقتصادية :

فلقد ارتبطت في فكر خير الدين الحرية السياسية بالحرية الاقتصادية .. كما ارتبط نمو المعارف بنمو الصنائع ، الأمر الذي يشعر زيادة الأنشطة الحرة في الميادين والاقتصادية .. فالرخاء لا يتحقق بالخصوصية وتوافر الإمكانيات المادية وحدها ، وإنما بالحرية الاقتصادية التي تجعل أرباب الشاطئ الاقتصادي والاستثمار المالي آمنين على ثرواتهم وأموالهم .

٤ - والقدم في المعرفة والعلوم :

فلقد أراد خير الدين التونسي لدعوة الحرية التي يبشر بها أن تكون متكاملة .. فأكّد على أن نمو المعرفة والعلوم إنما هو ثمرة

طبيعة للحرية السياسية ، التي تبني حرية الفكر ، وللحرية الاقتصادية ، التي تفتقر طاقات الإبداع بإبرازها الضرورات والاحتياجات .. وأن جميع ألوان الحرية هذه مؤسسة على وجود التنظيمات .

وإذا كان هذا هو موقفه من الثمرات الحضارية لأوروبا الناهضة ، فلقد اختلف موقفه من « أوربا الاستعمار » ! .. فكان داعية إلى البقظة لأطماع الدول الأوروبية في أقاليم البلاد الإسلامية ، وإلى الخدر من الشرك التي يصعبونها كي تقع فيها .. فدعا إلى رفض الافتراض من الأجانب ، وإلى أن تتجه الحكومة إلى الافتراض الداخلي ، حتى ولو زاد سعر « الفائدة » ، لأن المولين الوطنيين لن يمثلوا خطراً استعماريّاً خارجيّاً ، كما أن أرباحهم لن تغادر السوق الوطني الداخلي .. ومن كلماته في هذا الموضوع : « إن من الأفضل أن ندفع غالياً ثمن افتراض نفترضه في بلدنا ، ونحافظ بذلك على حرريتنا ، من أن نربع بعض الفوائد المادية على حساب استقلالنا ! » .

• والتصدي للجمود :

وكان طموح خير الدين التونسي أن ينهض فقهاء الإسلام بالاجتهاد والتجدد ؛ حتى تستطيع الشريعة الإسلامية أن تقدم الحلول للمشكلات الجديدة ، فلا يضطر المصلحون إلى الأخذ عن أوربا غير التنظيمات .. كان يريد « المحتوى الإسلامي »

لهذه الأوعية الأوربية .. ولذلك كان له جهاد على هذه الجبهة ..
كبير ..

لقد ساعده أن يكون علماء الأمة جهلاء بأمراضها ، وبأدوية
هذه الأمراض .. وأن يضيق الكثيرون منهم نطاق السياسة
الشرعية ، فلا يرونها شرعية إلا إذا كانت لها نصوص في
الكتاب والسنّة ، فكتب ليذكرهم بما ناهج العلماء السابقين
الذين وسعوا هذا النطاق ، لتصبح السياسة الشرعية هي كل
ما لا يخالف الكتاب والسنّة وليس فقط ، ما له نص في
الكتاب والسنّة ..

لقد كانت عينه ، في النهضة الأوربية ، على الأوعية
والأدوات ، وفي مقدمتها التنظيمات السياسية .. وعيته على
تراث الإسلامي ؟ ليستجيب بالاجتهد والتجدد إلى
احتياجات العصر ومتطلبات مشكلاته ، فيقدم المضامين
والحلول ، التي تتخذ من التنظيمات أدوات للحركة والنهضة
والإحياء .. وفي ذلك يقول : « إن الأمة الإسلامية تقدر أن
تكسب ، بما يبقى لها من تراثها الأصلي ، وبعاداتها التي لم تزيل
متأثرة عن أسلافها ، ما يستقيم به حالها ، ويتسق به في التمديد
مجالها . ويكون سيرها في ذلك المجال أسرع من غيرها كائناً من
كان ، إذا أركبت حريتها الكامنة بتنظيمات مضبوطة تسهل لها
التدخل في أمور السياسة ! .. » .

فالعناصر الأصلية في التمدن الأصلي ، والحرية الكامنة التي

أقرتها وقررتها الشريعة الإسلامية ، مع التضييمات التي لابد من
أخذها عن أوروبا ، كفيلة يجعل هذه الأمة تخطو على درب
النهضة بأسرع مما صنع ويصنع الآخرون ^(١) .

(١) [أنوم المثالك في معرفة أحوال المالك] لخير الدين التونسي - المقدمة -
دراسة وتحقيق دكتور منصف الشنوفي . طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م ،
و [مسلمون نوار] للدكتور محمد عسارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٣٥) جمال الدين الأفغاني

[١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧ هـ]

هو محمد جمال الدين بن صفتر بن علي بن مير رضي الدين محمد الحسيني .

موقعه الشرقي ، وفيلسوف الإسلام ، ورائد تيار الجامعة الإسلامية ، وأبرز قادة الحركة الإصلاحية الإسلامية ، ومن طلائع المجددين والمختهدين في الفكر الإسلامي ، في عصرنا الحديث .

عربي الأصل ، هاشمي النسب ، حسيني - يرتفع نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) - ولد [١٢٥٤ هـ = ١٨٣٨ م] ببلدة « أسد آباد » ، في خطة « كتر » من أعمال « كابل » ، ببلاد الأفغان ، في أسرة ذات نفوذ سياسي وإداري في مقاطعتها .

وفي الثامنة من عمره ، انتقل - مع الأسرة - إلى العاصمة « كابل » ، عندما خشي أمير الأفغان (دومست محمد خان) نفوذ أسرته في منطقتها .. وفي « كابل » أشرف والده على تعليمه .. وقبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، كان قد تعلم - بالمنزل - القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية ، وحفظ القرآن الكريم .

وفي العاشرة من عمره ، رحل مع والده إلى إيران ، حيث

عمل والده مدرساً في مدرسة « قروين » وأصبح هو تلميذًا في هذه المدرسة ، التي أمضى فيها عامين ، لفت أشانتها الأنظار بذكائه واجتهاده ، وميله المبكرة لدراسة العلوم ، واهتمامه بالفلك ، ورغبته في قراءة كتب الطب ، ومحاولته ممارسة التشريح ! .

ومن « أسد آباد » - حيث كانت تقيم أسرته - سافر جمال الدين سنة (١٨٤٩م) إلى « النجف » - بالعراق - فدرس بها خمس سنوات ، تعلم فيها علوم القرآن ، والحديث ، والكلام ، والفلسفة ، والمنطق ، وأصول الفقه ، والرياضية ، والفلك ، والطب والتشريح .

ومن « النجف » عاد لزيارة الأسرة في « أسد آباد » سنة (١٨٥٤م) ، عازماً على زيارة الهند ، ليتعلم فيها الرياضة الحديثة والعلوم الأوروبية ، فسافر إلى « بومباي » ثم إلى « كلكتا » - حيث أقام بها أكثر من عام - ومن الهند سافر إلى « مكة » حاجاً سنة (١٨٥٧م) .. ثم عاد إلى العراق ، فإيران .. ولما طلبت منه أسرته الإقامة معها ، في « أسد آباد » اعتذر قائلاً : « إنني كصغر محلق ، يرى فضاء هذا العالم الفسيح ضيقاً لطيرانه ! وإنني لأنزعج منكم إذ تريدون أن تحيوني في هذا القفص الضيق الصغير ! وبعد زيارة لطهران .. وخراسان .. توجه عائداً إلى وطنه الأصلي أفغانستان .

وفي « كابل » بدأ جمال الدين الإسهام في النشاط العام ،

فكتب كتابه الأول « تتمة البيان في تاريخ الأفغان » - باللغة العربية - التي كان يجيدها ، هي والفارسية ، والأفغانية - والتي سيضيف إليها - فيما بعد - إجادة التركية ، والفرنسية ، مع إمام الإنجلizية ، والروسية ! .

وكان الاستعمار الإنجلizي - الذي كان يحتل الهند - قد بدأ تدخله في شؤون أفغانستان ، مناصراً الأمير « دوست محمد خان » ضد الأمير « محمد أعظم خان » ، فألفى جمال الدين بقله في العمل السياسي والوطني ، مناصراً حكومة الأمير الوطني محمد أعظم خان ، ومشاركاً في القتال الذي دار ضد الإنجلizي سنة (١٨٦٢ م) .. وارتقى في مناصب الحكومة الوطنية حتى أصبح الوزير الأول « رئيس الوزراء » ! ..

فلما دارت الدائرة على الأمير الوطني « محمد أعظم خان » ، وهزم سنة ١٨٦٨ م .. عرف جمال الدين طريقه إلى الترحال من جديد .. لكن ترحاله ، منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته ، كان في سبيل إيقاظ المسلمين ، ومحاربة الاستعمار الأوروبي ، والإنجليزي منه على وجه الخصوص .. فلقد خرج من أفغانستان إلى الهند .. ثم مصر .. فالآستانة .. فالحجاج .. فالعراق .. فإيران .. فروسيا .. فلنلن - وباريس .. داعياً إلى الإحياء والتتجديد للفكر الإسلامي ، وإلى إيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها ، وفك قيود الجمود والتقليد ، والإقلالع من التخلف أثروت إلى النهوض الإسلامي ، لمواجهة الاستعمار الزاحف

على ديار الإسلام .. فكان - في سبيل ذلك - مزكيًا لنهج الشورى والحرية في إدارة شئون الأمة وتدبير سياسات حكوماتها ، وموقدًا للثورات في وجه الاستبداد الداخلي .

ومع إيمانه بدور العامة والجماهير في التوراة والإصلاح ، فلقد كان أبرز صناع النخبة والصفوة التي قادت حركة الجامعية الإسلامية على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام ، مجددًا لل الفكر ، وقائدة لحركات التحرر الوطني ، وداعية إلى الإصلاح الاجتماعي ، ومفجورة للعديد من الثورات .. حتى لقد كانت صناعته الأولى هي تربية الرجال ١ .

ولقد كانت السنوات التي عاشها الأفغاني في مصر [١٢٨٨ - ١٢٩٦ هـ = ١٨٧١ - ١٨٧٩ م] هي أخصب السنوات في تاريخ إنجازاته الفكرية والسياسية .. ففيها روى نخبة من العقول التي جددت فكر الإسلام وحياة المسلمين - وفي مقدمتهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] - وشرح من كتب الفلسفة والكلام والمنطق ما أعاد للحياة الفكرية قسمة العقلانية الإسلامية ، التي غابت عنها منذ عصر التراجع الحضاري للMuslimين .. ونشأت على يديه مدرسة في الصحفة الأهلية الحرية - غير الحكومية - صحف [مصر] و [التجارة] و [مرآة الشرق] - وتيار شعبي لمعارضة الاستبداد الداخلي ، وللثورة على التفود الأجنبي - الاقتصادي والسياسي

والعسكري - كما عرفت البلاد على يديه طلائع التنظيمات السياسية والإصلاحية - [الحزب الوطني الحر] - في تلك الفترة المبكرة من تاريخ نشأة الأحزاب ..

وبضغط من الدول الاستعمارية - وخاصة إنجلترا ، التي كانت تحضُر لاحتلال مصر - خضع الخديوي توفيق [١٢٦٨ هـ = ١٣٠٩ م] فتفى جمال الدين من مصر [١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م] ، زاعماً أن الأفغاني « يقود جماعة من ذوي الطيش ، مجتمعة على فساد الدين والدنيا !! » .. فذهب جمال الدين منفيًا إلى الهند - وهي مستعمرة إنجليزية - فمكث فيها شبه معتقل ، حتى تمت هزيمة الثورة العارية ، واحتلال الإنجليز لمصر [١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م] .. وعند ذلك سمح له الإنجليز بمعادرة الهند ، فسافر إلى باريس - العاصمة المنافسة لإنجلترا - وهناك لقى به الشيخ محمد عبده - وكان منفيًا بيروت ، بعد هزيمة العاريين ومحاكمتهم - ومن باريس أصدرها مجلة [العروة الوثقى] لعبر عن فكر وسياسة التنظيم السري الذي أقامه الأفغاني ، لمواجهة الاستعمار الإنجلزي ، وإنهاض المسلمين .. وهو التنظيم الذي امتدت عقوبته - خلاياه - إلى أغلب بلاد المسلمين - وخاصة مصر والهند - والذي استقطب صفة العلماء المجددين والأمراء والساسة المجاهدين - تنظيم [العروة الوثقى] - .. فكان هذا التنظيم ومجلته أهم مدارس الوطنية الإسلامية والبعث الحضاري الإسلامي ، التي تربى فيها

وتعلم منها واستضاء منها جها دعوة اليقظة والتجدد والإصلاح
والثورة على امتداد عالم الإسلام.

ولقد انتهى المطاف بالأفغاني - بعد أن زرع التجدد
والإحياء والثورة في أرجاء العالم الإسلامي .. وبعد أن صنع
على عينه جيلاً من القادة والعلماء والثوار والمجددين - انتهى به
المطاف إلى «القفص الذهبي السلطاني» ! في الآستانة -
لكنه، وهو النسر المستعصي على قيود المسلمين ، وأسوار
المدن ، وجغرافية الأوطان ، حاول تحرير إرادة السلطان
عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨ م]
من قبضة حاشيته الغارقة في الرجعية والفساد .. وسعى إلى
بعث الروح في حركة الجامعة الإسلامية ! لناهضة الزحف
الاستعماري على ولايات الدولة العثمانية .. وتطلع إلى سد
ثغرة الشقاق المذهبي والسياسي بين إيران ودولة الخلافة
الإسلامية ، لقطع الطريق على الاستعمار الذي يخترق الوجود
الإسلامي من مثل هذه الثغرات ! .

وظل الأفغاني قائماً بفرضية الجهاد على هذه الجهات :
التجدد الفكري .. واليقظة الإسلامية .. والتصدي
للاستعمار .. وكسر قيود الاستبداد - حتى وفاته الأجل ،
فلقي ربه - في الساعة السابعة والدقيقة الثالثة عشرة من صبيحة
يوم الثلاثاء [٥ شوال سنة ١٣١٤ هـ = ٩ مارس سنة
١٨٩٧ م] ودفن في الآستانة .. ثم نقل جثمانه - بعد سنوات -

في موكب إسلامي مهيب - إلى بلاده الأفغان .

• • •

ولقد ترجم له ، وتحدث عنه أعرف الناس به ، وأقربهم إليه : الإمام محمد عبده ، فقال - ضمن ما قال - :

« هو السيد محمد جمال الدين ، ابن السيد صفتر . من يُسْتَعْظِمُ من بِلَادِ الْأَفْغَانِ .. حَنْفِيٌّ حَنْفِيٌّ . وهو وإن لم يكن في عقیدته مقلداً ، لكنه لم يفارق الشَّذَّةَ الصَّحِيحَةَ ، مع ميل إلى مذهب الشَّادَّةِ الصَّوْفِيَّةِ .. يُكْفُلُ لِنَاظِرِهِ عَرَبِيًّا مَحْضًا مِنْ أَهْالِ الْحَرَمَيْنِ ، فَكَائِنًا قد حفظت له صورة آباء الأولين سكناً الحجاز .

وكان مقصدده السياسي ، مدة حياته : إنهاض دولة إسلامية من ضعفها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية ، فيعود للإسلام شأنه وللدين الحنفي مجده .

أما أخلاقه : فسلامة في القلب سائدة في صفاته ، وحمله عظيم يسع ما شاء الله أن يسع ، إلى أن يدنو منه أحد لا يمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم إلى غضب تقض منه الشهب ! في بينما هو حليم أواب إذا هو أسد وثاب ! . وهو كريم يبذل ما بيده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالغ ما تأتي به صروف الدهر . عظيم الأمانة ، سهل من لا ينه ، صعب على من خاشهنه . ظموح إلى مقصدده السياسي .. إذا لاحت له بارقة منه

تعجل السير للوصول إليه - وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان ! .
وهو قليل المحرص على الدنيا ، بعيد من الغرور بزخارفها ،
ولوع بعظام الأمور ، عزوف عن صغارها ، شجاع مقدام ،
لا يهاب الموت ، كأنه لا يعرفه ! .

إلا أنه حديد المزاج - وكثيراً ما هدمت الحدة ما رفعته
القطنة ! .. إلا أنه صار في رسول الأطوار وثبات الأوتاد ! .

فخور بنسبة إلى سيد المرسلين صلوات الله عليه ، لا يعد لنفسه مزية أرفع
ولا عزاً أمنع من كونه سلالة ذلك البيت الظاهر .

ولو قلت : إن ما آتاه الله من قوة الذهن ، وسعة العقل ،
ونفوذ البصرة ؛ هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء ، لكنت غير
مبالغ ! .. فكأنه حقيقة كلية ، تحملت في كل ذهن بما يلامنه ،
أو قوة روحية ، قامت لكل نظر بشكل يُشاكله ! .

« لقد أُتيت من لدنه حكمة أقلب بها القلوب وأعقل
العقول ! .. وأعطاني حياة أشارك بها محمداً وإبراهيم
والأنبياء والقديسين !! » .

وإذا كانت هذه الكلمات - للإمام محمد عبده - عن
جمال الدين الأفغاني - هي سطور من الصفحات التي كتبها
أخبر الناس بالأفغاني ، وأقربهم إليه ، وأعرفهم به ، وأنضج
الثرمات لأطيب البدور التي غرسها هذا الفيلسوف العظيم ..

فلقد كانت رؤية الأفغاني لنفسه من البساطة بحيث تفتح البصائر على حقيقة الحياة التي عاشهها والآثار التي تركها هذا الإنسان العظيم .. لقد رأى نفسه « درويشا فقيراً ، عابراً في هذه الحياة ! » .. وكان ينادي نفسه فيقول : « أنت أيها الدرويش الفاني ! م تخشى ؟ .. اذهب وشأنك ، ولا تحف من السلطان ، ولا تخش الشيطان !! .. إنه مبيان عندي طال العمر أو قصر .. فإن هدفي أن أبلغ الغاية ، وحيثند أقول : فرث ورب الكعبة ! .. » ^(١) .

* * *

(١) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ . وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م ، و[الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م ، و[جمال الدين الأفغاني : موقف الشرق وفيلسوف الإسلام] تأليف الدكتور محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م و [جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض] تأليف الدكتور محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م ،

(٣٦) عبد الرحمن الكواكبي

[١٤٧٠ - ١٣٤٠ هـ = ١٨٥٤ - ١٩٠٢ م]

هو عبد الرحمن بن أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي [١٤٧٠ - ١٣٢٠ هـ = ١٨٥٤ - ١٩٠٢ م] .. واحد من أبرز المجددين والمصلحين الإسلاميين في عصرنا الحديث .

ولد في حلب ، من أرض الشام ، في أسرة « شريفة » النسب ، ذات نفوذ علمي وإداري ، كانت توارث « نقابة الأشراف » في حلب الشهباء .

وفي تكوينه العلمي ، درس علوم العربية ، الموروثة والحديثة ، والعلوم الإسلامية ، وأجاد - مع العربية - التركية والفارسية .

وكانت حلب ، يومئذ ، ولاية عثمانية .. وكانت الدولة العثمانية تعيش عصر تراجعها الحضاري والعسكري والسياسي .. الأمر الذي ضيق فيها مساحة الحرية إلى حد كبير .. فنشأ الكواكبي وقد نذر نفسه للجهاد ضد الحكم العثماني ، يعمل على تحرير العرب منه ، ويشير بإعادة الخلافة الإسلامية إلى الأمة العربية من جديد ! .

اشتغل بالصحافة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ثم أصدر بعد عامين صحيفة [الشهباء] أولى الصحف العربية بحلب ، وبعد إغلاقها من قبل الأتراك العثمانيين أصدر صحيفة

[الاعتدال] ، فلاقت نفس المصير ١.

ولقد شغل الكواكبي عدداً من المناصب الإدارية والاقتصادية الهامة في ولاية حلب ، واحترف التجارة فتارة من الزمن ، كما كان مرجعاً للمحاماة في القانون ١ .. وعمل « عرض ساحلياً » ، يحرر ظلامات وشكایات المظلومين ضد الأتراك ١٩ .

ولقد تصاعد عداء العثمانيين له ولنشاطه ، فأدخلوه السجن ، متهمًا بمحاولة اغتيال الوالي التركي ، وحكم عليه بالإعدام من القضاء التركي بحلب ، ثم برأته محكمة ١ بيروت ٢ .

ولما صارت به دنيا حلب ، وأغلقت أمامه سبل الإصلاح بها ، هاجر سراً إلى مصر [١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م] ، وفي القاهرة نشر فصول كتابه التمييز [طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد] ، نشرها في صحيفة [المؤيد] دون توقيع .. وفيها طبع كتابه [أم القرى] - وهو مذاكرات اجتماعات جمعية « أم القرى » السرية ، التي ضمت ممثلين للولايات العربية العثمانية ، وللمسلمين في مختلف بلاد الإسلام ، وخارج بلاد الإسلام .. عندما اجتمعوا ، سراً ، بمكة المكرمة ، فنذارسو أسباب تخلف المسلمين ، والسبيل إلى نهضتهم .. نشر الكواكبي هذا الكتاب بمصر .. ونشر كذلك كتابه [طبائع الاستبداد] .. وبدلًا من أن يضع اسمه على غالفيهما ، ذكر أن المؤلف هو « الرحالة : ك ١ .. وذلك مخافة انتقام السلطان

العثماني عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] .

ومن مصر - حيث استقر الكواكبي ، وأجرت عليه حكومة الخديو عباس حلمي الثاني [١٢٩١ - ١٣٦٣ هـ = ١٨٧٤ - ١٩٤٤ م] راتبًا منتظما - قام برحلات ساحق فيها عدد من البلاد الإسلامية الآسيوية والأفريقية .

وعندما وافته المنية في [٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ = ١٤ يونيو سنة ١٩٠٢ م] صادر رجال السلطان عبد الحميد أوراقه الخاصة ، وأصول كتب كان قد كتبها ولم تنشر .. وراجحت شائعات تقول أنه قد مات مسموما .. ودفن بالقاهرة .. وعلى قبره كتبت كلمة « الشهيد » ! .. وأيات شعر لحافظ إبراهيم [١٢٨٧ - ١٣٥١ هـ = ١٨٧١ - ١٩٣٢ م] يقول فيها :

هنا خير مظلوم هنا خير كاتب
هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى
فقوا وفروا أم الكتاب وسلموا
عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

• • •

وكانت القضية الكبرى التي شغلت الكواكبي هي استقصاء أسباب تخلف المسلمين ، وبذلة دليل العمل لنهضتهم .. وفي هذا الإطار جاءت الأفكار والقضايا التي عرض لها ، والتي أودعها كتابيه الفريدين : [أم القرى] و [طبائع الاستبداد] .. • ولقد احتلت الحرية - كنفيض للاستبداد - مكانًا

محورياً في مشروعه الإصلاحي؛ لأنَّه رأى في الاستبداد القيد الذي أعجز كل طاقات الأمة وملكاتها عن الحركة والنهوض . فالاستبداد مفسد للدين ، الذي هو الطاقة الحركية لجمهور الأمة .. وهو مفسد له في جانب الأخلاق - الذي هو أخضر جوانبه - حتى ليكاد يحوله إلى مجرد عبادات وشعائر لا تقلق بالمستبددين ! .

والاستبداد مفسد للقرية .. باستبعاده السياسة وشئون الاجتماع البشري من نطاق العلوم التي يربى الناشئة عليها ! . وهو مفسد للعلوم .. عندما يستبعد علوم الحياة ، التي تتفق ملكات الإبداع والنقد والمقاومة من إطار العلوم التي تسمح النظم المستبدة بدراستها .. « ففرالقض المستبد ترتعد من علوم الحياة ، مثل : الحكمة النظرية ، والفلسفة العقلية ، وحقوق الأمم ، وسياسة المدنية ، والتاريخ المفصل ، والخطابة الأدية .. إنه يخاف من العلوم التي توسيع العقول ، وتعريف الإنسان ما هو الإنسان ، وما هي حقوقه ، وهل هو مغبون ، وكيف الطلب ، وكيف النوال ، وكيف الحفظ ! .. » .

وعلى حين - كما يقول الكواكبي - « يسعى العلماء في نشر العلم ، فإنَّ المستبد يجتهد في إطفاء نوره » ! والاستبداد مفسد للاقتصاد؛ لأنَّه يحول ثروة الأمة ، التي هي عطاء الله وفيضه في الطبيعة ، من دائرة « اشتراك الأمة فيها » إلى حيث تصبح احتكاراً لقلة من الأغنياء ، يصيرون أعوناً للمستبد .. إذ

« الأغنياء ربائط المستبد ، يذلهم فيثرون ، ويستدرهم فيبحرون ؟ ولهذا يرسخ الذل في الأمم التي يكثر أغنياؤها .. » ١ .

ولذلك جاءت دراسة الكواكبي عن الاستبداد فريدة في بابها .. وأصبح كتاب [طبائع الاستبداد] وحيداً في موضوعه .. وشغلت هذه القضية مكان المخور في مشروعه الإصلاحي .. ومن كلماته الجامحة في الحرية والاستبداد : « إن الهرب من الموت موت ، وطلب الموت حياة ! .. وإن الخوف من التعب تعب ، والإقدام على التعب راحة ! .. والحرية هي شجرة الخلد ، وسقياها قطرات من الدم المفتوح .. والأسرار - [العبودية] - هي شجرة الزقوم ، وسقياها أنهر من دم المخالفين المخانيق ! .. والاستبداد لو كان رجلاً وأراد أن ينتسب لمقابل : أنا الشر ، وأني الظلم ، وأمي الإساءة ، وأخي الغدر ، وأنخني المسكتة ، وعمي الفسق ، وحالى الذل ، وابني الفقر ، وبنتي البطالة ، وعشيرتي الجهلة ، ووطني الخراب ، أما ديني وشرفي وحياتي : فالمال ، المال ، المال ! .. » .

فالحرية أم الفضائل جميعاً .. والاستبداد رأس الرذائل بإطلاق ! .

* وفي تشخيص الكواكبي لأسباب تخلف المسلمين - الذي سماه « الفتور » الذي يحول بين الأمة وبين الحركة والنهضة .. رصد - وخاصة في كتابة [أم القرى] - كل الأمراض التي أصابت الحضارة الإسلامية ، الخطير منها

والصغير .. وسلط الضوء على الأسباب الأساسية للتخلُّف ..
من مثل :

١ - عقيدة الجبر والزهد ، المفضية إلى لون من التصوف
المعطل لطاقات الناس .. فالطرق الصوفية - وليس التصوف
المهذب للنفس والمذكرى لها - قد اجتذبت جماهير غفيرة ،
أدارت ظهرها لأسباب التقدم وسته وقوانيه ، وأخلدت إلى
التواكل واستنامت للبدع والخرافات .

٢ - وانعدام التنظيمات والجمعيات ، التي تؤلف بين
طاقات الناس ، وتضمن للأفكار ، بالشوري ، حصافة أكبر
وحسانة تفوق الآراء المفردة .. كما تضمن للمشاريع الكبرى
الدؤام الذي يتجاوز عمر الأفراد وهضم الأفراد .. وبعبارة
الكواكبي « فإن الجمعيات القانونية المنتظمة يتسعى لها الشبان
على مشروعها عمراً طويلاً يفي بما لا يفي به عمر الواحد
الفرد ، وتأتي بأعمالها كلها بعزم صادقة لا يفسدها التردد .
وهذا هو سر ما ورد في الآخر من أن يد الله مع الجماعة ! .. ».
وهو بذلك قد نبه على أهمية وضرورة التنظيمات السياسية
والأحزاب والجمعيات كأدوات للنهضة ، وأدعيَة لتجميع
وترشيد طاقات الأمة الإسلامية .

٣ - والإغراق في الشهوات الحسية ، على النحو الذي
لا يميز بين رسالة الإنسان وغرائز الحيوان في هذه الحياة ! .

٤ - واحتلال التوازن بين شئون الدنيا وشئون الآخرة في حياة عامة المسلمين ، على النحو الذي جعل « من دأب الشرقيين ألا يفكروا في مستقبل قريب » ، كان أكبر همهم منصرف إلى ما بعد الموت فقط ! » على حين أن الإسلام قد جعل الدنيا عنواناً للأخرة .. وبه على أن احتلال التوازن بينهما لابد وأن يفضي إلى خسران الصدقين معاً .

لقد نبه الكواكبي على كثير من أمراض الفكر والسلوك المتوطنة في حياة العامة والخاصة .. وسلط كل الأضواء على أمراض الإدارة العثمانية .. أمراض الظلم الاجتماعي .. والاستبداد بالحكم .. والتحلل الإداري .. والفقر الحضاري .. وتقليد الأجنبي .. والاحتقار للعرب .. وجاهر بضرورة تحرير الأمة العربية من نير العثمانيين ، وإعادة الخلافة عربية ، وتجديد حياة المسلمين بتجدد الفكر الإسلامي الحديث الذي لابد وأن يستجيب لمشكلات العصر الذي يعيشون فيه .

ومن كلماته الجامحة في أسباب فتور الأمة الإسلامية ، تلك التي تقول : « من أسباب فتور المسلمين :

تحول نوع السياسة الإسلامية ، فلقد كانت نياية اشتراكية أي « ديمقراطية » تماماً ، فصارت ، بعد الراشدين ، ملكية مقيدة ، ثم صارت أشبه بالمطلقة ..

ولقد أثبت الحكماء أن المنشأ الأصلي لشقاء الإنسان هو وجود السلطة القانونية منحلة ، ولو قليلاً ، لفسادها ، أو لغيبة

سلطة شخصية أو شخصية عليها .

ومن أعظم أسباب فخر أمتنا : أن شريعتنا مبنية على أن في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم ، لكن حكوماتنا قد قلبت الموضوع ، فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء ، وتحابي بها المسرفين والسفهاء ! .

لقد دعا إلى حكومة شورية خاضعة لرقابة الأمة ، « فالحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها .. » .

وحاول الكواكبي تأليف الجمعيات التي تعمل في سبيل تطبيق المشروع الإصلاحي الذي يبشر به ؛ لأنه لم يكن من أنصار الثورات العفوية والشمردات غير المدروسة .. وإنما أكد على « أنه يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ما يستبدل به الاستبداد ! .. » ^(١) .

(١) [الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م ; و [عبد الرحمن الكواكبي : شهيد الحرية ومجلد الإسلام] للدكتور محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٣٧) محمد عبد

[١٤٦٥ - ١٤٢٣ هـ = ١٩٠٥ - ١٨٤٩ م]

هو محمد عبد حسن خير الله . ولد بقرية ٥ محلية نصر ١ مركز « شبراخيت » محافظة البحيرة لأسرة تعتر برجالها ، الذين قاوموا مظالم الولاة والحكام ، وضحوا في سبيل ذلك بالأرض والمال والرجال والاستقرار ١ .

وبعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن بدء كتابه « القرية ، أخذ طريقه إلى التعليم الأزهري بالمعهد « الأحمدي » بطبطنا [١٤٧٩ هـ = ١٨٦٤ م] لكن عقم أساليب التدريس صدته عن طلب العلم ، فعاد إلى القرية ، وتزوج ، ورحب في الاشتغال ، كإيجوه ، في فلاحة الأرض ، لكن والده أصر على عودته إلى طلب العلم ، فهرب إلى أحوال أبيه في قرية « كبيسة أورين » ، وهناك لقيه الشيخ درويش خضر ، وكان صوفياً من الطريقة السنوسية - وعلى يديه فتح الله صدره لطلب العلم ، فغادر إلى طبطنا .. ثم غادرها إلى الأزهر بالقاهرة ، حيث تحول مجرى حياته عندما تعرف في [١٤٨٨ هـ = ١٨٧١ م] على جمال الدين الأفغاني [١٤٥٤ هـ = ١٨٣٦ هـ = ١٨٢٨ - ١٨٩٧ م] وتلمس على يديه ، ولازم حلقات درسه ، حتى عدا أصدقائه ، وأبرز خلفائه في حركة الإصلاحية وتيار الجامعة الإسلامية .

وبعد أن تخرج محمد عبد الله من الأزهر [١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م] عين مدرساً للتاريخ بمدرسة دار العلوم العليا ، كما درس بمدرسة الألسن ، وشرح لطلابه مقدمة ابن خلدون ، وعلم الاجتماع وال عمران .. وكان يكتب في الصحافة .. ويعمل بالسياسية ، مع أستاذة الأفغاني : من خلال « الحزب الوطني الحر » .

وعندما نفي الأفغاني من مصر [١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م] عزل محمد عبد الله من التدريس ، وحددت إقامته بقرفيته ، إلى أن استصدر له ناظر النظار رياض باشا [١٢٥٠ - ١٣٢٩ هـ = ١٨٣٤ - ١٩١١ م] عفواً خديوياً ، وعيّنه محرراً أول لصحيفة « الواقع المصرية » فطورها ، وأنشأ بها قسمًا غير رسمي ، نشر فيه - هو وغيره - الكثير من المقالات الفكرية في مختلف الفنون .

ولم يكن محمد عبد الله من أنصار « الثورة » طریقاً للتغيير ، وإنما كان من أنصار الإصلاح التدريجي ، وخاصة بواسطه التربية والتهدیب والتعليم ، وصولاً إلى تكوین الشخصية التي تربى الأمة ، حتى تأتیها ثمرات الإصلاح ناضجة راسخة وبالتدريج .. لكن الحزب الجهادی - العسكري - الذي كان يقوده أحمد عرابي باشا [١٢٥٧ - ١٣٣٩ هـ = ١٨٤١ - ١٩١١ م] قد دخل بمصر إلى طريق الثورة .. وبعد مظاهره عابدين [٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م] التي جاءت لمصر

بالحكم النهائي والدستور ، والتي أعقبتها - أيضاً - تهديدات إنجليزية وفرنسية لاستقلال مصر ، انخرط محمد عبد وحزبه في خضم الثورة العرابية ، لكنه مثل في قيادتها جناح الاعتدال .. حتى إذا هزمت الثورة ، واحتل الإنجليز مصر في [سبتمبر سنة ١٨٨٢م] سجن وحوكم مع زعماء الثورة ، ونفي إلى خارج البلاد ثلاث سنوات ، امتدت إلى ست سنوات .. ولقد بدأ منفاه بيروت .. ومنها حق بالأفغاني في باريس ، حيث انخرط في العمل السياسي ، رئيساً لتحرير مجلة « العروة الوثقى » ونائباً للأفغاني في رئاسة التنظيم الذي تنطق باسمه هذه المجلة [جمعية العروة الوثقى] السرية ، وبهذه الصفة تنقل ، سراً ، في كثير من البلاد راعياً ومتابعاً « عقود التنظيم » - « خلاياه » .

وبعد توقيف المجلة .. وانقضاء السنوات الثلاث المحكوم عليه بالنفي فيها .. تطرق اليأس من العمل السياسي المباشر إلى نفس محمد عبد ، وعادته الرغبة في الإصلاح ينهاج التربية والتعليم والتجدد الفكري وإصلاح مناهج التفكير لدى المسلمين ، ففارق أستاذة ، وعاد إلى بيروت معلماً بالمدرسة السلطانية ، ومفسراً للقرآن بالمسجد العمري ، ومؤلفاً ، ومحققاً لكتبتراث الإسلام .. فبدأ المرحلة التي تفرغ فيها للاحتجاج والتجدد ، حتى عدا المهندس الأول لفكرة هذه الحركة الإصلاحية .. فعلى حين اتفق والأفغاني في منهاج

التجديد الفكري ، ركز الأفغاني على العمل السياسي ، وتفرغ محمد عبده للتجديد الفكري والتربيه والتعليم .

وفي [١٣٠٦ هـ = ١٨٨٩ م] نجحت مساعي أصدقائه فعاد إلى مصر .. وإذا كان هو قد أدار ظهره للعمل السياسي المباشر ، فإن الخديوي توفيق [١٢٦٨ - ١٣٠٩ هـ = ١٨٥٢ - ١٨٩٢ م] لم يقنع بذلك ، فأبعده عن مهمته الحبية : التدريس .. فاشتغل بالقضاء ، حتى أصبح مستشاراً بمحكمة الاستئناف سنة [١٨٩١ م] وكان قد عين في « مجلس شورى القوانين » [١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م] .. وشارك في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية [١٣١٠ هـ = ١٨٩٢ م] ورأسها في [١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م] .. وأسس « إحياء التراث - جمعية إحياء الكتب العربية » [١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م] .. وتولى منصب مفتى الديار المصرية [١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م] ..

ومن هذه الواقع والمناصب كرس جهوده للعمل الفكري .. فخاض المعارك الفكرية الكبرى مع جابريل هانوتوا [١٨٥٣ = ١٩٤٤ م] دفاعاً عن الإسلام .. ومع فرح أنطون [١٨٦١ = ١٩٢٢ م] دفاعاً عن الإسلام وحضارته .. ومن خلال مجلة [المدار] - التي أصدرها تلميذه رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] بلغت دعوه في التجديد والإصلاح إلى كل أرجاء العالم

الإسلامي .. وكان تفسيره لما فسر من القرآن الكريم .. ورسالته التي جدد بها علم الكلام الإسلامي - [رسالة التوحيد] - .. مع معاركه الفكرية .. وفتواه .. المعالم الفكرية لمشروع النهضة الإسلامية ، الذي تجاوز حمود أهل التقليد ، ورفض تبعية المشهرين بالحضارة الغربية الغازية .. فمن موقع الوسطية الإسلامية ، صاغ الأستاذ الإمام للأمة معاصرة إسلامية متميزة ، هي الامتداد المتتطور لأصالتها الإسلامية المتميزة .

والى جانب المشروع الفكري ، ركز - في الميدان العملي - على إصلاح المؤسسات الثلاث التي تقوم على صياغة العقل والوجودان الإسلامي : الأزهر .. والمساجد .. والمحاكم الشرعية .. ولقد حقق في هذا الميدان بمحاجات لم تبلغ الحد الذي كان يريد !؟ .

وفي [أعماله الكاملة] - بمجلداتها الخمسة - تمثل واحدة من أبرز ثمرات الفكر الإصلاحي في عصرنا الحديث (١) .

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبد] دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة دار الشروق سنة ١٩٩٣ م ، و [الإمام محمد عبد] مجدد الدنيا بتجديد الدين] لدكتور محمد عمارة . طبعة دار الشروق . القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٣٨) رشيد رضا

[١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م]

هو السيد محمد رشيد بن علي رضا - ولد بقرية « القلمون » - وإليها ينتمي - « القلموني » - وهي في نواحي طرابلس الشام - بشمال لبنان - .. وأصل أسرته من بغداد . وفي القرية حفظ القرآن الكريم ، ووجهته أسرته إلى العلم الديني .. فدرس بالمدرسة الوطنية الإسلامية - بطرابلس - ثم في بيروت .. وبعد دراسة علوم القرآن والحديث والفقه واللغة - على التمتع الشبيه بالأزهر - نال شهادة [العالمية] من طرابلس الشام .

وفي المرحلة الأولى من تكوينه الفكري ، غلب عليه منهاج « المنقول » والمأثورات .. وتأثر كثيراً بكتاب [إحياء العلوم] للغزالى ، فمال إلى الزهد والتصوف ، واتخرط - مريداً - في « الطريقة النقشبندية » ، ومارس الوعظ والإرشاد في قريته والقرى المحيطة بها .. وعينه « متصرف » طرابلس - الذي أعجب بخطاباته - عضواً في « شعبة المعارف » ..

وفي [١٣١٠ هـ = ١٨٩٢ م] حدث له تحول في توجهه الفكري ؛ إذ بينما هو يكتب في أوراق والده ، عثر على بعض أعداد مجلة [العروة الوثقى] التي أصدرها - من باريس -

جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] و محمد عبده [١٢٦٦ - ١١٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] في سنة [١٨٨٤ م] - فأحدث فكرها في عقله انقلاباً عميقاً و شاملأ - وبدأ بهذا الفكر مرحلة من حياته أصبح فيها - وعلى امتداد أكثر من أربعين عاماً - ترجمان فكر هذا التيار الإصلاحي في البقظة الإسلامية الحديثة .. ولقد تحدث عن هذا التحول الذي أحدثه في فكره أعداد [العروة الوثقى] فقال : « .. لقد كان كل عدد منها كسلك من الكهرباء ، اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طور إلى طور ومن حال إلى حال .. وتعلمت منها : أن الإسلام ليس روحانياً آخرورياً فقط ، بل هو دين روحي جسماني ، آخروي دنيوي ، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله في تقرير الحجۃ والعدل .. فتعلقت نفسي بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ، ومبارة الأمم العزيرة في العلوم والفنون والصناعات ، وجميع مقومات الحياة . فطافت أستعد لذلك استعداداً .. » .

ومنذ ذلك التاريخ سعى رشيد رضا لصحبة الأفغاني .. فلما لم يتيسر له ذلك .. هاجر إلى مصر [١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ م] فلقي الإمام محمد عبده ، واتفق معه على أن يكون تلميذه ،

وترجمان فكره ، وأصدر مجلة [المنار] - التي قلل منبر هذا التيار التجديدي لأكثر من أربعين عاماً .

وبعد وفاة الإمام محمد عبد [١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م] واستقلال رشيد رضا بقيادة الفكرية لهذا التيار ، اقترب أكثر من ذي قبل من « العمل السياسي » ، فاهتم بمعالجة علاقات العرب بالأتراك .. والمسألة الشرقية .. والتدخل الاستعماري الغربي في الشرق الإسلامي .. وشنون الخلافة الإسلامية .. والخطر الصهيوني على فلسطين - وكان أحد أقطاب [حزب اللا مركزية] الذي أراد إصلاح الإدارة العثمانية ، على نحو يحفظ وحدة الدولة ويستجيب للطموحات العربية المشروعة في إطارها - وهو الحزب الذي تكون [١٣٣٠ هـ = ١٩١٢ م] .. كما كانت له علاقات بالمشاريع السياسية لتشريف حسين بن علي [١٣٥٠ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٤ - ١٩٣١ م] وأمبارك عبد العزيز آل سعود [١٣٧٣ - ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٣ م] ..

لكن ، يظل الإنجاز الأعظم لرشيد رضا على الجبهة الفكرية : مجلة المنار .. وإذاعته لنفسه محمد عبد وجمال الدين الأفغاني .. ومواصلة جهود محمد عبد في تفسير القرآن - [تفسير المنار] - وتاريخه لحياة محمد عبد ومدرسته .. والكتب الكثيرة والفتاوی العديدة التي واصل فيها وبها حركة التيار التجديدي ، والتي خاض بها الكثير من

المعارك الكبرى التي شهدتها العالم الإسلامي في مرحلة الزحف الاستعماري والفكر التغريبي على عالم الإسلام^(١).

* * *

(١) [تاريخ الأستاذ الإمام رشيد رضا] - طبعة القاهرة سنة ١٩٣١ م ، و [مسلمون ثوار] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٣٩) ابن باديس

[م ١٩٤٠ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٩ - ١٣٠٧]

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس .. رئيس « جمعية العلماء المسلمين بالجزائر » .. والأب الشرعي للنهضة الإسلامية والحركة الوطنية الجزائرية الحديثة والمعاصرة ..

ولد بمدينة « قسطنطينة » ، وبها درس علوم العربية والإسلام .. ثم رحل إلى تونس فالتحق بجامعة « الزيتونة » سنة [م ١٩٠٨ - ١٣٢٦ هـ] وطلب العلم فيها على يدي عدد من أكابر العلماء ، منهم : الشيخ محمد النحلي ، والشيخ العلّاه بن عاشور .. فارتبط بفكر مدرسة التجديد والإحياء الإسلامي - مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ..

ومنذ مرحلة مبكرة من حياته توجه إلى رفض الواقع الاستعماري الفرنسي في الجزائر ، والذي بلغ في مسخه لهوية الجزائر - « العربية - الإسلامية » حد جعلها « ولاية فرنسية » وامتداداً لاتينياً لفرنسا عبر البحر المتوسط ، وليس فقط مجرد مستعمرة فرنسية .. وكان شيخه « حمدان التونسي » قد عاهده على أن لا يخدم الحكم الاستعماري في الجزائر ، فأصبح هذا « العهد » تقليداً يعاهد به ابن باديس تلامذته ومربياته ! ..

ولقد سافر إلى الحجاز حاجاً سنة [م ١٩١٢ - ١٣٣٠ هـ] .. وهناك عرض عليه بعض العلماء الجزائريين المقيمين بمكة والمدينة أن

يحاور مثلهم الخرمي الشريفين .. لكنه رفض ، وعبر عن مشروعيه لاسترداد الجزائر للعروبة والإسلام ، فقال : « نحن لا نهاجر . نحن حراس الإسلام والعروبة والقومية في هذا الوطن » ! .

وعلى امتداد ما يقرب من العشرين عاماً - من عودته إلى الجزائر سنة [١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م] وحتى إعلانه تكوين « جمعية العلماء المسلمين في الجزائر » سنة [١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م] - است俾ل ابن باديس في ملحمة لصناعة الرجال ، الذين يمتلكون - حسب قوله - : « فكرة صحيحة ولو مع علم قليل » ! .. وكان التعليم في المساجد والكتاتيب .. وكان الوعظ ، وتفسير القرآن الكريم كما كانت الصحافة .. هي سببها إلى هذا الانجاز ، الذي جمع حول ابن باديس نحوًا من ألف رجل عزموا على استرجاع الجزائر إلى العروبة والإسلام .

ومنذ سنة [١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م] أطل ابن باديس على الرأي العام الجزائري من خلال الصحافة .. فشارك في جريدة [التحاج] وأصدر [المتنقد] فلما ألغتها الإدارة الفرنسية أصدر [الشهاب] .. و [الشريعة] و [السنة الحمدية] و [الصراط] .

وعندما احتفل الفرنسيون بمرور قرن على احتلالهم للجزائر ، وخطب الكاردينال « لافيجري » فقال : « لقد ولّى عهد الهدى وأقبل عهد الصليب » في الجزائر .. جاء الرد على هذا التحدي بإعلان ابن باديس تكوين « جمعية العلماء المسلمين في الجزائر » سنة [١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م] .. وهي الجمعية التي

قادت صناعة الجيل الذي أحيى الانتماء « العربي الإسلامي » للجزائر ، وعهد للجيل الذي ثار بالسلاح ، لتحقيق هذا الهدف سنة [١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م] .

ولقد بلغت مقالات ابن باديس وخطبه - عندما جمعت - أربع مجلدات .. وكانت مع تفسيره للقرآن - [مجالس التذكير] - وكبته الأخرى : كتاب الفكر المجاهد ، التي انتزعت الجزائر من « الفرنسة » إلى الاستقلال والعربيّة والإسلام .

وعندما انتصرت الثورة الجزائرية ، واستقلت الجزائر سنة [١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م] لم يكن هناك خلاف على أن هذه الشمرة الطيبة هي من جنى غرس الشيخ عبد الحميد بن باديس .

(٤٠) حسن البنا

[١٣٦٨ - ١٩٠٦ = ١٩٤٩ م]

على امتداد أوطان الأمة الإسلامية - من « غانة » إلى « فرغانة » - شرقاً ومن « حوض نهر الفولجا » إلى جنوبى « خط الاستواء » - بل وفي مواطن الأقليات الإسلامية خارج دار الإسلام - إذا نظر الباحث المنصف إلى ظواهر وحركات ومشروعات البعث والنهضة والتغيير والإصلاح .. فسيجد ظاهرة الصحوة الإسلامية ومشروعها الحضاري أقوى وأخطر وأكبر وأعمق ظواهر ومشاريع العصر الذي نعيش فيه .. يستوي في ذلك التقييم : الباحثون المؤيدون ، أو المناوئون لهذا المشروع .

والحقيقة الثانية : التي لن تجد عليها خلافاً بين الباحثين ، ولا بين حركات وتيارات هذه الصحوة الإسلامية : هي الأبوة والإمامية والريادة التي يمثلها الإمام الشهيد حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] بالنسبة لهذه الظاهرة الكبرى ، التي تمثل أهل النهضة لدى المسلمين .. والقلق الخيف لأعداء المسلمين ١.

أما الحقيقة الثالثة - في هذا المقام : فهي أن أبوة وإمامية وريادة حسن البنا لهذا الإحياء الإسلامي المعاصر ، إنما تمثل الحلقة « المعاصرة » في سلسلة الإحياء الإسلامي « الحديث » .. إنها مرحلة متميزة في « الحكم » و« الكيف » .. ولكنها امتداد

متطور ، لمرحلة « النشأة » و « التبلور » التي تمثلت في حركة الجامعية الإسلامية » التي ارتاد ميدانها ورفع أعلامها إمام الإحياء الإسلامي في العصر الحديث جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] والتي كان الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] المهندس الأعظم لتجديدها الفكري .. كما مثل الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] الامتداد الذي أسلم أمانتها إلى حسن البنا ، الذي انتقل بها إلى هذا « الكيف » المعاصر الذي تعيش فيه .

لقد بدأ المشروع الحضاري الإسلامي ، على يد الأفغاني ، حركة تجديد واجتهداد وإحياء ، تستهدف تحرير العقل المسلم ليواجه ويتجاوز التخلف الموروث عن الحقبة « المملوكيه - العثمانية » ، وليتتمكن من مواجهة التحدى الحضاري الغربي ، الذي اقتحم حياتنا الفكرية وواقعنا الإسلامي في ركاب الغزوة الاستعمارية الحديثة .. وبعبارة محمد عبده ، فلقد « وجه الأفغاني عنايته حل عقد الأوهام عن قوائم العقول » .

أما مقصده السياسي : فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها ، وتبنيها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية ، فيعود للإسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده ^(١) !

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده [ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٢ م] دراسة وتحقيق : د. محمد عصارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

وفي هذا المشروع الحضاري « رابط » محمد عبده على « ثغرة الفكر » ، ومجاهد في ميدانها جهاداً عظيمًا ، حتى جعله اجتهاده المهندس الأعظم لفكرة هذا المشروع .. وبعبارة هو ، التي يتحدث فيها عن « الثغرة الفكرية » التي « رابط » عليها مجدداً ومجاهداً .. يقول : « لقد لرتفع صوتي بالدعوة إلى أمررين عظيمين :

الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة ، قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معرفة إلى بناءها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه .. لست حكمة الله في حفظه نظام العالم الإنساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، ياعنًا على البحث في أسرار الكون ، داعيًا إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبًا بالتعويذ عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ، كل هذا أعده أمراً واحداً . وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفتنتين العظيمتين اللتين يتركب منها جسم الأمة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم ! .

أما الأمر الثاني : فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير ...)^(١) .

(١) المصادر السابق ج ٢ ص ٣١٨ .

وعلى امتداد ما يقرب من أربعين عاماً [١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م = ١٣٥٤ هـ - ١٩٢٥ م] كانت مدرسة [المغار] - التي قادها رشيد رضا - هي ترجمان هذا التيار ، الذي وضع الأسس والمعالم للمشروع الحضاري الإسلامي ، والذي كون له : « العقل - الصفوة - النخبة » - كما تمثلت في تنظيماته - وأبرزها تنظيم [جمعية العروبة الوثقى] .

تصاعد التحدي .. وعموم البلوى؟! ..

في أوائل هذا القرن العشرين خذل الإمام محمد عبده من عواقب صراع « العرب » و « الأتراك » ، لأن هذان الشعوب هما أقوى شعوب الإسلام .. ودول أوربة واقفة لهما بالمرصاد .. فإذا وهنت قوتهم في الصراع ، وثبتت دول أوربة ، فاستولوا على الفريقين ، أو على أضعفهما .. ف تكون العاقبة إضعاف الإسلام وقطع الطريق على حياته .. (١) .

وبعد خمسة عشر عاماً من هذا « التحذير - التهوعة » وقع المحظور .. وبدأ عموم البلوى يخيم على سائر بلاد الإسلام .. فالشريف حسين بن علي [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ = ١٨٥٦ م] تردد على الدولة العثمانية سنة [١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م] استجابة لعوامل داخلية ، ومدفعياً بإغراءات إنجلزية ! .. ففتحت في جدار دولة الإسلام الكبيري الثغرة التي

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٣٥ .

أفضت إلى تفريط الغرب لمعاهدة «سيكس - بيكو» السرية ، التي عقدوها سنة [١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م] لتقسيم تركية الدولة العثمانية بين أقطاب التحالف الغربي .. ولوعده بلغور سنة [١٣٣٦ هـ = ١٩١٧ م] بإقامة الكيان الصهيوني ، قاعدة غربية على أرض فلسطين .

واحتل الفرنسيون الشام ، وقال قائدتهم «جورو» أمام قبر صلاح الدين الأيوبي : «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين» .
واحتل الإنجليز فلسطين والعراق ، وقال قائدتهم «اللنبي» عندما دخل القدس : «اليوم انتهت المخوب الصليبية» ! .

وبعد أن رفقت رايات الاستعمار الغربي على أوطان الأمة الإسلامية - من غانة إلى فرغانة أسقطت الخلافة الإسلامية سنة [١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م] .. فعمت البلوى ، التي جاهد ضدها الأفغاني .. وحضر منها محمد عبده ، وتيار الجامعة الإسلامية لأكثر من نصف قرن من الزمان ! ..

بل لقد حدث ما هو أخطر من الاحتلال الأرض ، ونهب الثروة ؛ حدث الاعتراف للعقل المسلم ، وببدأ صوت «التغريب» - على لسان نفر من أبناء الأمة - يبشر بأن الخلاص لن يتحقق إلا عبر تبني المشروع الحضاري الغربي ، بخierre وشره ، بحلوه ومره ، بصوابه وخطايه .. فتحن منه ؛ لأننا أبناء حضارة البحر المتوسط .. وعقلنا يوناني ، لم يغير القرآن من يونانيته ، كما لم يغير الإنجيل يونانية العقل الغربي -

إذ القرآن مصدق للإنجيل (١) - .. والإسلام ليس إلا رسالة روحية ، لا سياسة فيها ولا دولة ولا حكم .. بل يا تبعد ما ينتها وبين السياسة ، وما كان محمد إلا صاحب سلطان روحي ، كالخالين من الرسل ، لم يقم دولة ، ولم يرأس حكومة .. فرسالته ، كسابقتها ، تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله (٢) ! .. وللمؤمنين أن يؤمنوا ما شاء لهم الإيمان بقصص القرآن ، لكن الباحثين لا بد لهم من الشك فيه (٣) ! وليست العربية هي لغة النهضة والتقدم ، لأنها لغة القرآن والأخلاقيات العربية ، لا لغة الديمقراطية والبرلمانات (٤) ! .. ومعايير النضج الفكري هي الإيمان بالغرب والكفران بالشرق (٥) ! ..

نعم .. حدث هذا الاختراق .. وصدرت الكتب العربية الخاملة لهذه الأفكار ، وأمثالها ، لنفر من أعلام الفكر العربي في العقد الثالث من هذا القرن العشرين .. الأمر الذي اهتز له

(١) انظر : د. طه حسين [مستقبل الثقافة في مصر] ج ١ ص ٤٥ . طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ م .

(٢) انظر : الشيخ علي عبد الرازق [الإسلام وأصول الحكم] ص ٤٨ - ٨٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

(٣) انظر : د. طه حسين [في الشعر الجاهلي] ص ٨٠ - ٨١ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

(٤) انظر : سلامة موسى [البلاغة المعاصرة واللغة العربية] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

(٥) انظر : سلامة موسى [البر ووالغد] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م .

ضمير الأمة كما لم يهتز في منعطف من منعطفات التحديات
التاريخية التي واجهتها .. فكانت الاستجابة الإيجابية أمام هذا
التحدي : تعبيراً عن نفارة المعدن .. وتحقيقاً للسنة الإلهية
﴿إِنَّمَا تَخْنُونَ تُرْكَلَ الذِّكْرَ وَإِنَّمَا لَتَحْفِظُونَ﴾^(١) .. سنة : حفظ الإسلام
بالمسلمين .. وتجديد دنيا المسلمين بتجدد دين الإسلام ! ..

الجامعة الإسلامية في طور جديـد

نعم .. كان الإسلام ، على مر تاريخ الأمة ، هو حصنها المنيع عندما تهدد المللmat والتحديات وجودها .. وكانت صحيحة : « وأسلاماه ! » هي كلمة السر التي تبادى بها الأمة ، وتندفع إلى فيها عقولها وقلوبها .. خاصتها وجمahirها .. كان هذا هو قانون « التحدي » و « التصدي » على مر تاريخ الإسلام والمسلمين .. ولقد عاد ليعمل عندما عممت البلوى أشلاء وعقب الحرب الاستعمارية العالمية الأولى ..

● ففي سنة [١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م] اجتمع صفوة علماء الإسلام بالقاهرة، وأسسوا [جمعية الشبان المسلمين].

● وفي العام التالي [١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م] حدثت اللحظة التاريخية ، التي مثلت « التطور النوعي » لإنجاز حسن البناء في سياق تطور المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية .. عندما أدرك الرجل أن تصاعد التحدي .. وثورات

١٣ : المحتوى

الاختراق .. وعموم أسلوبى ، إنما تتطلب الانتقال بالقضية من إطار الصفة والنخبة - الذي كانت عليه منذ [العروة الوثقى] وحتى [الشبان المسلمين] - إلى الدائرة التي تشارك فيها « الأمة » مع « النخبة » ، وإلى المستوى الذي تسهم فيه « الجماهير » مع « الصفة » في مواجهة التحديات ..

لقد كان النصف قرن الذي مضى من عمر الجامعة الإسلامية : تأسيساً لمشروع النهضة الإسلامية .. وتكوينها « للعقل » القائد لهذا المشروع .. وأمام تصاعد التحديات .. والاختراق من الداخل .. كان لا بد من بذورة « جسم » لهذا « العقل » .. فكان الإنماز التاريخي لحسن البنا في سياق الإحياء الإسلامي : الانتقال بـ « أسس المشروع الحضاري » إلى « عالم » أشد وضوحاً ، وأكثر تفصيلاً ، حتى ليقترب بها من « البرنامج » المقدم « للجماهير » .. والانتقال بـ « التنظيم » الحامل للرسالة ، من إطار « الصفة » - كما كان الحال في [جمعية العروة الوثقى] - إلى إطار « الجماهير » - كما تجسد في [جماعة الإخوان المسلمين] ! ..

تلك هي اللحظة التاريخية لحسن البنا .. وذلك هو التطور النوعي ، والإضافة الكيفية لإنجازه ، في السياق التاريخي لحركة الإحياء الإسلامي الحديث .. وتلك هي « بصماته » الحالدة في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة ! .

معالم المشروع الحضاري

وإذا كان المقام لا يتسع ل الحديث مفصل عن معالم المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية ، كما صاغه الإمام الشهيد حسن البنا ، لحركة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ممثلة في [جماعة الإخوان المسلمين] .. فإننا تقف هنا عند « عناوين » أمهات المسائل في هذا المشروع .. وهي « عناوين » شاهدة على شمول المشروع للإجابات الإسلامية على أهم التحديات وعلمات الاستفهام التي مثلت ، يومئذ ، أبرز العلل والمخاطر والتحديات .

• ففي مواجهة « الغرب » .. الذي اخترق عقل الأمة ، وغدا له أنصار من بين أبنائها .. يقف مشروع الأستاذ البنا ليقول : « إن الحضارة الغربية ، بمبادئها المادية ، قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية ، بمبادئها القومية الجامعة للروح والمادة معاً ، في أرض الإسلام نفسه ، وفي حرب ضروس ميدانها نقوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم ، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري .. وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تبنيه المشاعر القومية ، كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية (١) .. إن مدينة الغرب ، التي زدت بجمالها العلمي حيناً من الدهر ، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم

(١) [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] - رسالة المؤتمر الخامس - ص ١٥٠ - ١٥١ .. طبعة دار الشهاب . القاهرة .

لدوله وأئمه ، تفلس الآن وتختهر ! .. فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات ، وأصولها الاقتصادية تحتاجها الأزمات .. وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان . وقد حار الناس في علاج شأنها وضلوا السبيل ^(١) ! .. ونحن نريد أن نفكيرًا استقلالًا ، يعتمد على أساس الإسلام الحنيف ، لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتغنى بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء ، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كامة عظيمة مجيدة ، تحرر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد ^(٢) ! .. .

● ولقد كان رفض « التغريب » في مشروع الأستاذ البنا رفضًا « للتقليد .. والتبعية » .. ولم يكن رفضًا « للتفاعل - الصحي » بين الحضارات .. ولا دعوة « للعزلة .. والانغلاق .. والاكتفاء الذاتي » ! .. فهو الذي يقول عن حضارتنا الإسلامية ، وأمتنا الإسلامية : « لقد اتصلت بغيرها من الأمم ، ونقلت كثيراً من الحضارات ، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً ، فعربتها أو كادت ، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال ، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً ،

(١) المصدر السابق - رسالة نحو التور . ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) المصدر السابق - رسالة : دعوتنا في طور جديد . ص ١٢٠ .

من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية ..^(١) .

• وفي مواجهة « التخلف الموروث » .. وتيارات « التقليد » لهذا « التخلف » .. دعا حسن البنا إلى « التجديد » .. وحدد في صراحة ووضوح ، أن دعوته هي واحدة من « الدعوات التجددية لحياة الأمم والشعوب » ..^(٢) .. وطالب - في النظرة النقدية للتراث والتاريخ - بالتمييز بين « الدين - الثابت » وبين « الفكر - التغير » و « الممارسات - البشرية » .. ذلك « أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله ، تبارك وتعالى وسنة رسوله عليه السلام .. وأن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدها والشعوب التي عاصرتها ، ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية ، التي تحمل عليها الأمة ، من هذا المعنى الصافي ، معن السهولة الأولى ، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ، رضوان الله عليهم ، وأن تقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا تقييد الفساد بغير ما يقيينا به الله ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه .

والإسلام دين البشرية جموعه ! ..^(٣) .

وقف موقفاً نقدئاً من تاريخ الدولة الإسلامية ، عندما حدد

(١) المصدر السابق - رسالة : بين الأمس واليوم . ص ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق - رسالة : دعوتنا في طور جديد . ص ١٤٢ .

(٣) المصدر السابق - رسالة : المؤتمر الخامس .. ص ١٥٤ - ١٥٥ .

العوامل السبعة التي أدت إلى تحلل كيانها .. وهي :

أ - الخلافات السياسية والعصبية وتنافر الرئاسة والجاه .

ب - والخلافات الدينية والمذهبية .

ج - والانغماض في ألوان الترف والتعميم .

د - وانتقال السلطة والرئاسة إلى غير العرب ، من الغرس
تارة والدليل تارة أخرى والمالك والأترالك وغيرهم من لم
يذوقوا طعم الإسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بأنوار
القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه .

ه - وإهمال العلوم العملية والمعارف الكونية ، وصرف
الأوقات وتضييع الجهد في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية
سقيمة .

و - وغرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم ، وإهمال
النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم في
الاستعداد والأهبة ، وأخذتهم على غرة .

ز - والانخداع بدسائس المثقلين من خصومهم ،
والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم ، والاندفاع في تقليدهم
فيما يضر ولا ينفع ! ^(١) .

● وفي مواجهة الذين اكفروا من مقاصد « الاستقلال »

(١) المصدر السابق - رسالة : بين الأمس واليوم . ص ١٣٢ ١٣١ .

بالاستقلال « السياسي » - الذي يقف عند « القلم .. والشيد »؟! .. دعا حسن البنا إلى الاستقلال الذي يتحقق « سيادة الأمة »؛ لأن الإسلام لا يرضي من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والممال ..^(١) .. وإلى الاستقلال الاقتصادي - للأمة - وليس لقطر واحد من أقطارها ... فالهدف هو تحقيق « نظام اقتصادي استقلالي للثروة والممال والدولة والأفراد »^(٢) .. والنقد^(٣) ذلك أن الرابطة بين أمم العروبة والإسلام تهدى لنا سبيل الابتكاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي ، وتقذفنا من هذا التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما^(٤) .. وإلى « الاستقلال الحضاري » الذي يعيد لأمة الإسلام وحضارته مكانة الإمامة للدنيا وموقع الشهود على العالمين .. « فلقد كانت قيادة الدنيا ، في وقت ما ، شرقية بحثة ، ثم صارت بعد ظهور اليونان والروماني غربية ، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية ، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ، ونهض الغرب نهضة الحديثة فورث الغرب القيادة العالمية .. وهذا هو ذا الغرب يظلم ويجهور ويطغى ويحار ويتحخط ، فلم تبق إلا أن تختد يد « شرقية » قوية ، يضللها لواء الله ، وتحتفق على رأسها راية القرآن ، ويدها جند الإيمان القوي المتن ، فإذا الدنيا مسلمة هائنة ، وإذا

(١) المصدر السابق - رسالة : المؤتمر الخامس ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق - رسالة : الإخوان المسلمين تحت راية القرآن ، ج ١ ، ١٠٠ .

(٣) المصدر السابق . رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي . ص ٢٣٨ .

(٤) المصدر السابق . رسالة : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي . ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

بـالـعـالـم كـلـهـاـ هـاتـفـةـ : ﴿ لَتُخْتَدِلَنَا يَلْوَى الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِهَذِئِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ ﴾ (١) .. (٢) .

إـنـهـ اـسـقـلـالـ الـحـضـارـةـ «ـ التـمـيـزـ »ـ -ـ لاـ «ـ الـمـغـلـقـةـ »ـ وـلاـ «ـ التـابـعـةـ »ـ ذـلـكـ أـنـ «ـ الإـسـلـامـ »ـ لـاـ يـأـمـيـ أـنـ نـقـبـسـ النـافـعـ ،ـ وـأـنـ نـأـخـدـ الـحـكـمـةـ أـنـيـ وـجـدـنـاـهـ ،ـ وـلـكـهـ يـأـمـيـ كـلـ الـإـبـاءـ أـنـ تـشـبـهـ فـيـ كـلـ شـيـءـ بـمـنـ لـيـسـواـ مـنـ دـيـنـ اللـهـ عـلـىـ شـيـءـ ،ـ وـأـنـ نـطـرـحـ عـقـائـدـهـ وـفـرـائـصـهـ وـحـدـودـهـ وـأـحـكـامـهـ لـتـجـريـ وـرـاءـ قـوـمـ فـتـتـهـمـ الـدـنـيـاـ وـأـسـتـهـوـتـهـمـ الشـيـاطـيـنـ !ـ .. (٣) .

* وفي مواجهة المضمون الغربي ، الضيق الأفق ، والانعزالي ، لكل من «ـ الـوطـنـيةـ »ـ وـ«ـ الـقـومـيـةـ »ـ .. يـقـدـمـ مـشـرـوعـ الـأـسـنـادـ الـبـنـاـ الصـيـغـةـ الـتـيـ تـحـقـقـ الـانـسـجـامـ بـيـنـ درـجـاتـ الـانـتمـاءـ :ـ الـوـطـنـيـ ..ـ الـعـرـبـيـ ..ـ الـإـسـلـامـيـ ..ـ الـإـلـاـنـسـانـيـ ..ـ فـالـإـسـلـامـ قدـ وـفـقـ بـيـنـ شـعـورـ الـوـطـنـيـ الـخـاصـةـ وـشـعـورـ الـوـطـنـيـ الـعـامـةـ (٤) ..ـ وـمـصـرـ هـيـ قـطـعـةـ مـنـ أـرـضـ الـإـسـلـامـ ،ـ وـزـعـيمـةـ أـمـمـهـ (٥) ..ـ وـفـيـ الـمـقـدـمةـ مـنـ دـوـلـ الـإـسـلـامـ وـشـعـوبـهـ (٦) ..ـ وـنـحـنـ نـرـجـوـ أـنـ تـقـومـ

(١) الأعراف : ٤٢ .

(٢) مجموعة الرسائل . رسالة : نحو النور . ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق . رسالة : الإخوان المسلمين تحت راية القرآن . ص ٩٨ .

(٤) المصدر السابق . رسالة : نحو النور . ص ٦٢ ٦٣ .

(٥) المصدر السابق . رسالة : إلى الشيام . ص ٨٨ .

(٦) المصدر السابق . رسالة : الإخوان المسلمين تحت راية القرآن . ص ٩٩ .

في مصر دولة مسلمة تحضن الإسلام ، وتحمّل الكلمة العرب وتعمل لخيرهم ، وتحمي المسلمين في أكاف الأرض من عدوان كل ذي عدوان ، وتنشر الكلمة الله وتبلغ رسالته .. فالمصرية لها في دعوتنا مكانها ومتزانتها وحقها في الكفاح والنضال .. ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ، ولخير العالم كله ! .. »^(١) .

• وفي مواجهة « الغلاة » .. الذين لا يرون في المجتمعات الإسلامية ، وفي عقائد المسلمين المعاصرين إلا شوائب الكفر والجاهلية .. فيحكمون بهما على الأمة .. أو على النظم والمجتمعات .. يقدم مشروع الأستاذ البنا الموقف الموضوعي المترافق .. فتحن « لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض - برأي أو معصية - إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو انكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسّره على وجه لا تتحمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .. »^(٢) .

ولقد اندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليتها ، عقيدته ولغته وحضارته ، ودافعت عنه وذادت عن حياضه ورددت عنه عادية المعدين .. ومن هنا يدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفقة في كثير من جوانب الحياة المصرية ، فأسماؤها

(١) المصدر السابق . رسالة : « دعوتنا في طور جديد » . ص ١١٦ - ١١٩ .

(٢) المصدر السابق . رسالة : « التعليم » . ص ٢٧١ .

- وفي مواجهة المتعجلين لقطف الثمار .. الذين يريدون القفز سريعاً إلى القبض على صولجان الحكم .. والذين يستطيعون طريق التربية وتغيير الذات - ذات الفرد ، فالأسرة ، فالمجتمع .. ثم الدولة - .. في مواجهة هؤلاء يؤكد مشروع الأستاذ على ضرورة اعتماد طريق المراحل .. ومنهج التربية .. وسياسة

(١) المصدر السابق . رسالة : دعوتنا في طور جنديه . ص ١٢٠ ١٦١ .

النفس الطويل .. فینادي الرجل قائلاً : « أيها الإخوان المسلمين ، وبخاصة للتحمدون المعجلون منكم : اسمعواها منى كلمة عالية داوية .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده .. ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتحمت كل الاقتراح بأنها أسلم طريق للوصول .

أجل ! قد تكون طريقاً طويلاً ، ولكن ليس هناك غيرها . إنما تظهر الرجولة بالصبر والثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يسعنجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات .. ومن صبر معن حتى تنمو البذرة ، وتثبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف ، فأجره في ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر الحسينين : إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة .

أجمعوا نزوات العواطف بنظارات العقول .. ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحرلوها تيارها ، واسمعوا بعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر ، وما هي منكم بعيداً ! أريد أن أكون صريحاً معكم للغاية ، فلم تعد تفعنا إلا المصارحة .. أعدوا أنفسكم .. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ثلاثة كثيبة قد جهزت كل منها نفسها ، روحياً بالإيمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لمح البحر ،

وأقحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل جبار عنيد ، فإنني
فاعل إن شاء الله ! .. »^(١) .

* * *

تلك بعض من « عناوين نماذج » من المبادين التي صاغ لها الإمام الشهيد حسن البنا مشروعًا حضاريًّا إسلاميًّا ، توخي فيه تجديد الفكر الإسلامي ، ليجدد بواسطته واقع الأمة الإسلامية .. وهو المشروع الذي أقام لتنفيذ أول وأكبر التنظيمات الجماهيرية الإسلامية في عصرنا الحديث .. فكان لهما - للمشروع وللتنظيم - أوضح البصمات على كل فصائل وحركات وتيارات الصحوة الإسلامية المعاصرة ، على امتداد وطن الإسلام ، ومواطن الأقليات الإسلامية خارج بلاد الإسلام .

فإذا علمنا أن الرجل الذي أبغز هذا الإنجاز العملاق - حتى استحق لأجله - من قبل الكثيرين - أنه مجدد الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر - .. إذا علمنا أن حياته في هذه الدنيا لم تتجاوز ثلاثة وأربعين عامًا ؛ أدركنا معنى « البركة » التي يودعها الله بِكَفَلَ في عمر العبد من عباده .. وعلمنا معنى أن الأعمار لا تقاس - فقط - بالطول ، وإنما بالعمق الذي يمنحها من التراء والتأثير أعظم وأكبر مما يمنحها طول السنين؟! .. ﴿ ألم ترَ كيْفَ

(١) المصدر السابق . رسالة : المؤقر الخامس - ص ١٦٢ ١٦١ .

صَرِيبَ اللَّهُ مَنْلَا كَيْمَةً طَيْبَةً كَنْجَرَقَ طَيْبَوَ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا
فِي السَّكَمَةِ ⑩ تُؤْتِي أُكُلُهَا كُلُّ يَمِينٍ يَادِينَ رَبِّهَا وَيَعْسِبُ اللَّهُ
الْأَمَدَالَ لِلثَّابِنِ لَعْلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ⑪ .. صدق اللَّهُ الْعَظِيمُ .

٠٠٠

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥

(٤١) الحضر حسين

[١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ - ١٩٧٦ م]

هو شيخ الأزهر : محمد الحضر حسين . ولد في « نطفة » من أعمال « الحريد » ، جنوبى القطر التونسي ، لأسرة جزائرية الأصل .. وفيها نشأ ، وحفظ القرآن ، وألم بجانب من الأدب ، والعلوم العربية ، والشرعية .

وفي الثانية عشرة من عمره [١٣٠٥ هـ = ١٨٨٨ م] انتقل مع أسرته إلى « تونس » العاصمة ، وبعد عامين التحق بجامعة الزيتونة ، فبلغ في علوم العربية ، والشرعية ، وتحلى ذوقه الأدبي تدريجياً وإنشاء .. وكان أول موقف له إزاء سلطات الاستعمار الفرنسي لبلده هو رفضه تولي بعض الخطط العلمية التي عرضتها عليه حكومة تونس الفرنسية ! ..

وفي سنة [١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م] تأل شهادة العالمية ، وأصبح من علماء الزيتونة .. وفي ذات العام أصدر أولى المجالس العلمية والأدبية في بلاد الشمال الأفريقي [السعادة العظمى] فلقت الأنظار إلى قلمه .. وإلى جانب نثره وشعره كان خطيباً ، ومحاضراً .

وفي سنة [١٣٢٤ هـ = ١٩٠٥ م] تولى قضاء مدينة « بنزرت » ومنطقتها ، إلى جانب الخطابة والتدريس بجامعها الكبير .. وبعد عامين عاد إلى تونس العاصمة مدرساً بالمدرسة

الصادقية التي كان قد حاضر في قدماء خريجيها عن « الحرية في الإسلام » .. وفي العام التالي تطوع للتدرس بالزيتونة ، وتولى تنظيم مكتبتها ، ثم عين ، رسميًا ، مدرستا بها .

وفي سنة [١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م] اشترك في تأسيس « الجمعية الزيتונית » .. ولما قام الحرب الإيطالية الطرابلسية سنة [١٣٢٩هـ = ١٩١١م] قادت مجده [السعادة العظمى] حملة مناصرة الطرابلسيين ضد الاستعمار الإيطالي .. واتجهت السلطات الاستعمارية الفرنسية [بيت روح العداء للغرب] .. فسافر إلى « الأستانة » - عبر مصر ودمشق - ثم عاد إلى تونس ، ليهاجر منها ، ثانية إلى دمشق - عبر القاهرة - ثم إلى الأستانة ، فعمل محررًا عربيًّا بوزارة الحرية العثمانية ، وشارك في رحلات وفاوضات سياسية عثمانية خلال الحرب العالمية الأولى - فلما ضاق بالفساد العثماني والتبعثر الطوراني عاد إلى دمشق ، فاعتقله الأتراك فيها سنة [١٣٣٤هـ = ١٩١٦م] لعدة أشهر .. ثم عاد إلى الأستانة ، فبرلين ، فالاستانة ، فدمشق - فلما احتلها الفرنسيون - الذين سبق له وهاجر من احتلالهم لبلده تونس - رحل إلى القاهرة ليستوطنها منذ سنة [١٣٣٩هـ = ١٩٢١م] ..

وفي « القاهرة » أقام بناءه الفكري ، واستقرت علاقاته الجهادية في سبيلعروبة والإسلام ، فحصل على العالمية من الأزهر ، وأصبح عضوا في « هيئة كبار العلماء » ، ودخل

مجمع اللغة العربية ، وصار شيخاً للأزهر سنة [١٣٧١هـ = ١٩٥٢م] وأسس - منذ سنة [١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م] [جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية] - التي كانت ملتقياً للمجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي لتونس والجزائر والمغرب .

إلى جانب المجالات التي رأس تحريرها [الهدایة الإسلامية] و[نور الإسلام] و[لواء الإسلام] .. والمقالات والمحاضرات - التي جمعت في ثلاثة أجزاء [رسائل الإصلاح] - والدراسات اللغوية التي قدمها لمجمع اللغة العربية - إلى جانب ذلك كله ، كانت كتبه التي شارك بها في كبرى المعارك الفكرية معالم للرصانة الفكرية ، والتعلق الراจح ، والعقلانية الإسلامية .. وفي مقدمة هذه الكتب : [نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم] - الذي رد به على الشيخ علي عبد الرزاق [١٣٠٥هـ = ١٩٦٦م] - الذي صدر سنة ١٣٨٦هـ = ١٨٨٧ - [نقض كتاب في الشعر الجاهلي] - الذي رد به على كتاب [في الشعر الجاهلي] للدكتور طه حسين [١٣٠٦هـ = ١٩٧٣م] سنة ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ - .

ولقد كانت رئاسته للجتماع التحضيري لتأسيس « جمعية الشبان المسلمين » [١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م] - وهو الاجتماع الذي ضم أعلام الفكر وأكابر المجاهدين والعلماء في العالم الإسلامي - دليلاً على المكانة العلمية والجهادية التي اعترف لها بها العلماء والمجاهدون .

وكمما كان أول شيخ للأزهر ، في ظل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م .. فلقد استقال من منصبه بعد أقل من ستة عشر شهراً ، عندما استشعر رغبة الدولة في السيطرة على الأزهر .. ويومنها قال : « إن الأزهر أمانة في عنقي ، أسلمها - حين أسلمها - موفورة كاملة ، وإذا لم يعاتب أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي ، فلا أقل من أن لا يحصل له نقص ! .. يكفيني كوب لبن وكسرة خبز ، وعلى الدنيا بعدهما العفاء ! » .

وعندما انتقل إلى جوار ربه ، وصفه صديقه العالم الفاضل محب الدين الخطيب [١٣٠٣ - ١٢٨٩ هـ = ١٨٨٦ - ١٩٦٩ م] فقال : « هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله فهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقْتَمُوا سَيِّئَاتٍ عَلَيْهِمُ الْمَقْبِرَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تُحَرِّجُوا وَإِنَّشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصل : ٣٠] ^(١) . »

(١) [معركة الإسلام وأصول الحكم] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٩ م ، و [مسلون ثوار] للدكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٤٢) أمين الخولي

[١٣٩٥ - ١٣٨٥ هـ = ١٩٧٦ - ١٩٦٥ م]

قد لا تعرف أجيال جديدة - وهذا مؤسف .. بل ومخجل ! - من هو الشیخ أمین الخولی [١٣١٣ - ١٨٩٥ هـ = ١٩٦٦ - ١٩٦٥ م] .. وهو الذي عاش متربعاً على قمة الهرم الفكري في مصر ووطن العروبة وعالم الإسلام لأكثر من خمسين عاماً ، هي جل عمره الذي تجاوز السبعين .
لذلك ، سأروي - وأنا أقدم بين يدي دراسته عن [القرآن الكريم] - طرفاً من المشهد الذي تعرفت عليه فيه قبل وفاته بأقل من عام .

كنت قد تقدمت - عقب تخرجي من الجامعة - بمحفوظات أربعة كتب من تأليفه - هي [فجر اليقظة القومية] ، و [العروبة في العصر الحديث] ، و [الأمة العربية وقضية الوحدة] ، و [إسرائيل .. هل هي سامية] - تقدمت بها إلى إحدى مؤسسات التشرّر ، التابعة لوزارة الثقافة المصرية لنشرها ..

وكان القائمون على هذه المؤسسة يدققون في اختيار أجوره الكتب ، وأيضاً أشهر الأسماء من بين المؤلفين .

وبادئ ذي بدء - وقبل فحص الكتب - أشاروا علىي - في أدب جم - بالذهاب بمحفوظاتي إلى مؤسسة أخرى - تابعة

أيضاً لوزارة الثقافة - لا تدقق مثلهم في مستويات الفكر وشهرة المؤلفين ! .. لكتني - بأدب أشد - رجوتهم أن يكون الحكم بعد فحص الإنتاج ، عسى أن يكون لي في منشوراتهم نصيب ! فقبلوا استلام المخطوطات .. وأخذت دورها في الفحص والتدقيق .

وبعد شهور عاودت الذهاب إليهم ، وسعدت لأن تقرير فحص الكتاب الأول [فجر اليقظة القومية] كان إيجابياً ، بل وحرى من التركيبة والإشادة والثناء ما هو جدير بمشاهير المؤلفين .. وانتظرت أن يأخذ الكتاب دوره في الطباعة والإصدار .

لكن .. حدث أن رئيس مجلس إدارة المؤسسة - وكان يهتم - من جيل المثقفين والمترجمين العظام - يداله - مخاوف سياسية ، و « أوهام أيديولوجية » - ألا ينشر الكتاب .. لكن ؛ لأنه أستاذ كبير ، يعرف التقاليد المرعية .. لم يكن من الممكن - رغم سلطاته - أن يرفض نشر كتاب تمنع بتقرير صلاحية إلا بناء على تقرير آخر من « فاحص » أكبر وأستاذ لا معقب لحكمه في الرأي والعلم والتدقيق .. فقرر إحالة كتابي إلى الشيخ أمين الحولي ! .

وعندما ذهبت لأستعلم عن الكتاب ، قالوا لي - وهم يبتسمون .. ويغطرون - : « لقد تقرر تحويل كتابك إلى المفتني ! أي إلى الإعدام ! .

ولما طلبت المزيد من الإيضاح .. حدثوني عن أن الكتاب قد أحيل إلى رجل لا يمدح حتى نجوم السماء ! .

وكان لي صديق - هو المرحوم الأستاذ أمين مجاهد - أعرف أنه من مرادي الشيخ أمين الحولي ، الذين تلذموا عليه - أوائل عقد الأربعينيات - بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، فحدثه عن الموضوع فعرض عليه أن يتصل به ، وأن يقترح عليه أن تزوره معا ، للتعرف عليه .

فلما عرض الأستاذ مجاهد اقتراحه على أستاذة أمين الحولي ، ضحك - عبر الهاتف - وقال :
- إن في هذه الزيارة - أثناء فحصه لكتابي - شبهة مجاملة ومحاباة ! .

فأجابه الأستاذ مجاهد :

- يا أستاذنا ، إنك فوق كل الشبهات ! .

فقبل أن تزوره ، وذهبنا إلى بيته - بمصر الجديدة .. في شارع العجم الذي هو الآن شارع أمين الحولي - فرأيت الشيخ أمين الحولي ، لأول مرة في حياتي سنة ١٩٦٥ م .

رأيت عقلاً أحسنه من أكبر العقول في جيل الأساتذة العظام الذين أنجبتهم مصر في النصف الأول من القرن العشرين - وهو جيل لازلنا نباهي بأعلامه الأمم والحضارات .

رأيت فلاخاً مصرياً ، يعيش دقائق وتفاصيل حياة الفلاح المصري ، التي أعرفها كفلاح - ويحمل حكمة هذا الفلاح ، الضاربة في أعماق تاريخ الحضارات .. مع أفق حضاري عالمي ، استوعب بالفكر - كصناعة تقيلة - وبالثقافة المفتوحة على مختلف الثقافات - استوعب مواريث الإنسانية ، في مختلف الحضارات والديانات والفلسفات .. مع وعي سياسي جعل صاحبه يتحدث عن التيارات السياسية العالمية ، والمذاهب الأيديولوجية الكونية ، والمصالح القومية والدولية ، وكأنه صورة معاصرة لجمال الدين الأفغاني ! .

رأيت عالماً بالأصول الإسلامية ، والخصائص العربية ، أميناً إلى حد التقوى في التعامل مع التصور والتاريخ والمذاهب والأراء التي خلفها لنا السابقون ، مع نزوع شديد إلى التقدم والتطور والتجدد .

رأيت إنساناً - على أستاذيته العظيمة ، وعظمته بين جيل الأساتذة العظام - يصفى إلى ليسمع طرفاً من تجربتي الفكرية البارزة .. وكثيراً عن تجربتي السياسية - التي أكثراها كثيراً - وعن تجربتي مع مأساة التعذيب في السجون والمعتقلات .. إلى الحد الذي جعله يتواضع - وهو العملاق - أمام الصور التي حكبتها له عن طرق من هذه المعاناة .. حتى لقد بدا مبهوراً أمام صور الصمود الإنساني في ملحمة ظلم « الإنسان » لأخيه الإنسان ! .. وحتى لقد اغزورقت عيناه بالدموع عدة مرات ! .

رأيت شيخاً تجاوز السبعين من عمره ، يعيش في منزل فسيح ، هو مكتبة كبيرة ، زاخرة بعيون الفكر وكتوز المعارف .. ولقد قال لي : إنه يمضى معظم وقته في هذه المكتبة العامرة التي فاضت جدرانها على أركان الغرفة أكواها من المجلدات .. حتى إذا أدركه الإعياء دلف إلى حجرة صغيرة ، ملحة بغرفة « المكتب - المكتبة » - أرانى إياها - وبها سرير صغير ، ليرتاح عليه حتى يسترد قواه ، فيعاود العيش مع الأفكار .

وعلى امتداد لقاءين - في منزل هذا الأستاذ العظيم - تجاوزت ساعاتهما العشر ساعات - أدركت معنى أن أمين الحولي كان صانع رجال ، وصانع أسلنته ، بأكثر مما كان مؤلفاً للكتب ومحققاً للمخطوطات - على نفاسة ما كتب من كتب .. ودقة ما حقق من مخطوطات .

وفي هذين اللقاءين ، اتفقنا واحتلتنا .. بل وبلغ الاختلاف درجة الحدة حيناً ، وحد الغضب أحياناً - ونهض صديقي وتلميذه الأستاذ أمين مجاهداً بدور المطوف لحدة الخلاف - ومع ذلك ، فلقد أحسست أن الرجل يقف يازائي موقف الأستاذ العظيم ، الأمين والخريص على موهبة يكتشفها ويعرف عليها .. فوجئني - ناصحاً - إلى ضبط بعض العبارات في الكتاب الذي يراجعه لي ، وذلك حتى لا أندفع - دون مبرر - إلى مصير شهداء الرأي والفكر - كما قال - ونبهني على

حقيقة لم أكن أعرفها ، عندما قال لي : إنك صاحب أسلوب متميز ، وإن هذا نادر في عالم الكتابة والكتاب ، ونصحني بالحرص على هذا التميز - ولا زلت أذكر عبارته : « إن أسلوب الرجل قطعة منه ١٠ . »

ثم كانت المفاجأة - مؤسسة النشر التي أحالت إليه الكتاب ، ليفتني بالإعدام ! ذلك التقرير الذي كتبه عن الكتاب ، وعن الكاتب - فلقد تحدث فيه عن لقائنا - والذي أشار فيه إلى مواطن الاتفاق - وإلى نقاط الاختلاف - مؤكداً على حقي في الاختلاف ! .. حتى لقد اعتبر القائمون على أمر النشر في تلك المؤسسة ، أن هذا التقرير وثيقة فريدة لم يسبق أن كتبها هذا الأستاذ - الذي لا يمدح حتى ثيوم السماء - فما بالنا إذا كانت هذه الوثيقة عن كاتب ليس له - يومئذ - من عالم الشهرة نصيب !؟ .. بل واعتبروا هذا التقرير « إجازة ١٠ إجازة ١٠ » تجعلهم يرجحون بكل ما لدى من إنتاج فكري ، أتقدم به - مستقبلاً - لينشروه ! (١) .

(١) ومع ذلك أني رئيس مجلس الإدارة - مخافة التبعات السبامية - إلا أن بحيل الكتاب إلى رئاسة الجمهورية التي أحالته إلى مسئول الشؤون العربية الذي أحاله إلى أستاذ المعهد الاشتراكي ليصدر الكتاب بعد ثلاثة سنوات من الفحص والتدقيق .

ذلكم هو مشهد لقائي الفريد بهذا العقل المصري المتميز ، وتعزى على هذه العبرية العربية الفذة .. وهذا هو الدرس العظيم الذي تعلنته من هذا الفلاح الحكيم والفصيح ، الذي ولد بريف مصر - في قرية ١ شوشاي ٢ من أعمال محافظة الموفية ، بدلنا النيل سنة (١٣١٣هـ = ١٨٩٥م) - في نفس العام الذي ولد فيه والدي - عليهم جميعاً رحمة الله فحفظ القرآن الكريم « بكتاب » القرية .. وتعلم بالمعاهد الدينية التابعة للأزهر الشريف ، ثم تخرج من « مدرسة القضاء الشرعي » - التي كانت مع « مدرسة دار العلوم » - ساحة التجديد الإسلامي ، الوثيق الصلة بأصول الإسلام وثوابت الحضارة الإسلامية .

والذي كانت حياته مدرسة لصنع الرجال وصياغة كوكبة من الأساتذة الكبار - في الجامعة وفي « جامعة الأماناء » - كما كانت حياته سلسلة من المعارك الفكرية ، التي اتفق فيها معه كثيرون ، واحتل فيها معه كثيرون .. في داخل مصر والوطن العربي والعالم الإسلامي - إبان توليه الأستاذية في الجامعة ، ووكلة كلية الآداب وعضوية مجمع اللغة العربية ، وإدارة الشفافة العامة بوزارة التربية والتعليم وبعد إحالته إلى التقاعد سنة ١٩٥٥م .. بل لقد امتدت معاركة الفكرية إلى ما وراء وطن العروبة وعالم الإسلام ، أثناء توليه مسؤولية الشئون الدينية بالسفارة المصرية في إيطاليا .. ثم في ألمانيا .. وكذلك في المؤتمرات الفكرية الدولية التي مثل بلاده فيها خير تمثيل .. تاهيك عن معاركه الفكرية ضد تخيزات بعض المستشرقين

ووجهاتهم ، بالتعليقات التي كتبها على عدد من مواد [دائرة المعارف الإسلامية] - في طبعتها العربية الأولى ..

هذا هو الشيخ أمين الحولي ، الذي عرفته .. والذي كتب عن [مالك بن أنس] ، و [المجددون في الإسلام] ، و [الأزهر في القرن العشرين] ، و [الجندية في الإسلام] ، وكتب [من هدي الرسول] ، و [في أموالهم] ، و [صلة الإسلام بإصلاح المسيحية] .. غير مئات من الدراسات والمقالات - في مجلة « أدب » التي كان يصدرها لسان حال « جمعية الأمانة » .. وفي غيرها من الصحف والمجلات - هذا غير تحقيقاته لعدد من عيون التراث العربي والإسلامي التي قدم فيها منهاجاً عظيماً في أمانة التعامل مع النصوص التي مات أصحابها ، والتي غدت - كما كان يقول - « ببيمة بين أيدي المحققين ، الذين يجب أن يتعاملوا معها بضمير الأوصياء على الأيتام » ! .

هذا هو الشيخ أمين الحولي - كما عرفته في مشهد واحد من مشاهد اللقاء - قبل وفاته سنة [١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م] - بأقل من عام .. والذي آمل - عندما أقدم عنه للباحثين والقراء هذه الصفحات أن أذكر الأجيال الجديدة بواحد من أعظم العقول التي أنجبتها أمتنا في القرن العشرين بكل تفتقده .. وجعل عمله العلمي في ميزان حسناته يوم الدين .. إنه ~~ذلك~~ أعظم مسؤول ، وأكرم مجيب ! .

(٤٣) سيد قطب

[١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م]

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي . واحد من أكثر الكتاب والمفكرين والساسة الإسلاميين الذين شغلوا ويشغلون تيارات وحركات الصحوة الإسلامية المعاصرة .

ولد في صعيد مصر - ببلدة موشا ، التابعة لأسيوط - لأسرة مستورة الحال مادياً ، ووطنية الائتماء سياسياً - ذات أصول هندية .. وفي السادسة من عمره دخل المدرسة الأولية بالقرية أربع سنوات حفظ فيها القرآن الكريم .. وفي سنة [١٩٢١ م] انتقل إلى القاهرة ، ليكمل تعليمه ، وبعد حصوله على شهادة « الكفاءة » اشتغل مدرساً بالمدارس الأولية ، وواصل دراسته في « تجيهيزية دار العلوم » ، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا وتخريج منها سنة [١٩٣٣ م] ، فانتقل إلى التدريس الابتدائي ، بدمياط .. فبني سويف .. فحلوان .. وفي سنة [١٩٤٤ م] أصبح مفتشاً بالتعليم الابتدائي .. ثم انتقل إلى الإدارة العامة للثقافة في سنة [١٩٤٥ م] .

وفي القاهرة أتقن سيد قطب الإنجليزية ، وتأثر بأدبها وكانت له موهبة فنية وشعرية وأدبية وملكة تقديرية فذة - ثُم بتلمسه على الأستاذ عباس العقاد - بعد فترة عابرة من

الإعجاب بالدكتور طه حسين - حتى أصبح من « مرادي » العقاد ، وأقرب تلاميذه إليه .. ثم استقل برأيه عن أستاذه ، نازعا إلى الاغتراف من التابع لا من الأستاذ ! .

ولقد عرفت انتقاماته السياسية مراحل متميزة .. من « الوفد » إلى « الهيئة السعودية » إلى « الإخوان المسلمين » .

وعرفت حياته الفكرية ، هي الأخرى ، مراحل متميزة .. ففي البداية كان شاعراً أدبياً وناقداً ، خاض العديد من المعارك النقدية ضد كثيرون من أعلام الأدب والنقد في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات .. وفي هذه المرحلة سيطر عليه شعور بعيادة الحياة .. وفي سنة [١٩٤٥ م] بدأ أولى دراساته الفنية الإسلامية [التصوير الفني في القرآن] - وفي سنة [١٩٤٨ م] بدأت علاقاته الفكرية - « التنظيمية - بفصائل التغيير والتجدد ، ذات التزعة الإسلامية .. فشارك في رئاسة تحرير مجلة [الفكر الجديد] - التي كانت تصدرها جماعة الإخوان المسلمين - وكتب فيها - عدد يناير سنة [١٩٤٨ م] - مشروع لتقنين الفكر الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي .. وبدأ يسهم في تحرير صحيفة [الاشتراكية] - لسان الحزب الاشتراكي - و [اللواء الجديد] - لسان اللجنة العليا للحزب الوطني - .. وصاحب هذا التصور الفكري تطور في معاير النقد الأدبي والفنى لديه ، فانتقد في سنة [١٩٤٩ م] - استلهام توفيق الحكيم - في مسرحيته [أوديب] - الأساطير الإغريقية

الإسلامية .. لكنه انضم - تنظيمياً للإخوان المسلمين عقب الثورة ، وأشرف على قسم نشر الدعوة في الجماعة .. وهي مرحلة الوفاق بين الثورة والإخوان - ولهم في التمهيد لها وفي قيامها الدور الأكبر - دافع سيد قطب عن الثورة ، في كتابات كثيرة ، واختير مستشاراً لمجلس قيادة الثورة للشئون الثقافية والمالية ، وعين سكرتيراً مساعداً « لهيئة التحرير » - تنظيمها السياسي الأول - الذي تأسس في [يناير سنة ١٩٥٣ م] .

وعقب الخلاف بين الإخوان والثورة - بعد توقيع اتفاقية الحلاة [في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ م] رأس سيد قطب مجلة [الإخوان في المعركة] - وهي مجلة الجماعة السرية ، المناوئة للثورة .. ودخل السجن عقب [أكتوبر سنة ١٩٥٤ م] ، وحكم عليه بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً .. لكن الرئيس العراقي عبد السلام عارف - والذي كان معجباً بتفسيره للقرآن [في ظلال القرآن] - طلب الإفراج عنه ، فصدر له « عفو صحي » في [مايو سنة ١٩٦٤ م] ، بعد عشر سنوات من السجن والتعذيب .. انتقلت بفكرة « نقلة نوعية » فحكم على المجتمعات الإسلامية كلها بالكفر والجاهلية .. بل وحكم بارتداد « الأمة » عن الإسلام منذ قرون ، وكتب يقول : « إن وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة » والمطلوب جعلهم « مسلمين من جديد » ! .

وعن هذه المرحلة عبرت كتبه [هذا الدين] ، و [المستقبل

لها الدين] ، و [معالم في الطريق] .

وبعد خمسة عشر شهراً من الإفراج عنه ، أدخل السجن من جديد في [أغسطس سنة ١٩٦٥ م] - متهمًا بقيادة تنظيم جديد يتبني أيديولوجية فكره الجديد .. فحوكم .. وأعدم في [٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٦ م] .. تاركًا من الآثار الفكرية ٢٤ كتاباً ، وديوان شعر ، و ١١٠ قصيدة ، وثلاث قصص للأطفال ، وأربع صور قصصية ، وكتاب خواطر - بالاشتراك مع إخوته - وروايات ، وسيرة ذاتية ، و ٤٨٧ مقالة ، وعدداً من المقدمات التي كتبها لعدد من الكتب .. وتاركًا باباً جديداً لفصيل جديد من فصائل الصحوة الإسلامية المعاصرة ، يرفض كل الواقع .. ويدعو لغيره بالقوة ..

لقد سار سيد قطب على درب الاستشهاد ، مؤمناً بما قدمت يداه .. بل لقد تباً بذلك عندما كتب في [معالم في الطريق] : « وتبدل الأحوال ، ويقف المسلم موقف المغلوب المجرد من القوة المادية ، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى ، وينظر إلى غالبه من عل ما دام مؤمناً ، ويستيقن أنها فرحة وتحضى ، وأن للإيمان كرة لا مفر منها .

وهي كانت القاضية ؛ فإنه لا يحي لها رأساً . إن الناس كلهم يموتون ، أما هو فيشهد ، وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة ، وغالبه يغادرها إلى النار ، وشنان شنان ، وهو يسمع نداء ربه الكريم : ﴿لَا يُغْرِيَنَّكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾

مَنْعَ مُقِيلٌ ثُمَّ مَا وَبَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَقْسَ الْمَهَادُ ۝ لَكِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا
رِزْقَهُمْ لَمْ يَمْجُدُتْ نَجْعَلِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلَقْنَا فِيهَا تُرُولاً فَنِ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝ [آل عمران: ۱۹۵ - ۱۹۸]
صدق الله العظيم ^(۱).

• • •

(۱) [سید قطب : الخطاب والأدبياتوجها] للدكتور محمد حافظ دباب .
طبع القاهرة سنة ۱۹۸۷ م ، و [الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري]
للدكتور محمد عمارة . طبعة دار الشروق سنة ۱۹۹۱ م .

(٤٤) أبو الأعلى المودودي

[١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ = ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م]

أبو الأعلى المودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ = ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] هو واحد من أبرز «المفكرين - المجاهدين » في حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة ..

ولد في «أورنث آباد» الدكشن مقاطعة حيدر آبار، بالهند في ٣ رجب سنة ١٣٢١ هـ = ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٠٣ م .. وفي تكوينه العلمي والمعزفي درس العربية والفارسية - إلى جانب لغته الأوردية - ودرس علوم الإسلام .. ثم أجاد الإنجليزية واستوعب مذاهب الحضارة الغربية .. واحترق الصحافة منذ فجر حياته العملية .. وتفتح وعيه الإسلامي عندما انخرط في حركة «إحياء الخلافة الإسلامية » التي قامت بالهند سنة [١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م].

وبعد تجارب عديدة في إصدار الصحف والمجلات ، وفي المشاركة في إصداراتها ، أنشأ في سنة [١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م] مجلته « ترجمان القرآن » التي قدمته إلى مسلمي الهند مفكراً متعملاً عن المفكرين المسلمين الذين انخرطوا في « حزب المؤمن » - ذي الأغلبية الهندوسية - وعن المفكرين المسلمين الذين انخرطوا في حزب « الرابطة الإسلامية » - ذي التوجه العلماني - وكان شعار مجلة ترجمان القرآن : « احملوا ، أيها

ال المسلمين القرآن ، وانهضوا ، وحلقوا فرق العالم ! » .. أما أول مؤلفاته فهو كتابه [الجهاد في الإسلام] الذي ألفه سنة [١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م] ردًا على الافتراء الموجه للإسلام بأنه قد انتشر بالسيف .

وفي سنة [١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م] كانت شهرة المودودي قد ذاعت بين مسلمي الهند ، فدعاه الفيلسوف محمد إقبال [١٢٩٠ - ١٣٥٧ هـ = ١٨٧٣ - ١٩٣٨ م] إلى أن يغادر « حيدر آباد » ويتحذى من « لاہور » - ذات الخطيط الإسلامي الواسع والكثيف - مكاناً لجهاده ودعوته .. فلبي المودودي دعوة إقبال .. وفي العام التالي توفي إقبال ، وأصبح المودودي أبرز مفكري المسلمين الهنود منذ ذلك التاريخ .

وفي السنوات الخمس [١٣٥٦ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ هـ = ١٩٣٧ - ١٩٤١ م] قدم المودودي الدراسات والأبحاث والكتب - وأيضًا الخطط - فلقد كان خطيبًا مفوهاً - التي بلورت معاً المشروع السياسي الذي رأه البديل الإسلامي لمشروع « حزب المؤمن » ولمشروع « حزب الرابطة الإسلامية » .

وفي سنة [١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م] قام تنظيم « الجماعة الإسلامية » ، التي بنت رؤية المودودي برئاستها .. وانتخب المودودي أميناً لهذا التنظيم .

وكان « حزب المؤمن الهندي » يدعو إلى مستقبل للهند المستقلة ، تكون فيه الهند دولة واحدة ، مؤسسة على قومية

واحدة ، لوحدة الأرض والمصلحة السياسية .. تأخذ بالديمقراطية الغربية ، التي تحكم إلى الأغلبية .. وتأخذ بالعلمانية ، التي تفصل الدين عن الدولة .

وفي الكتب الخمسة الأساسية التي صاغ المودودي فيها مشروعه السياسي والحضاري ، البديل والمناهض لمشروع حزب المؤتمر - وهي كتب : [المسلمين والصراع السياسي الراهن] ، و [الأمة الإسلامية وقضية القومية] ، و [النظرية السياسية الإسلامية] ، و [الحكومة الإسلامية] ، و [موجز تاريخ تجديد الدين وحياته] - في هذه الكتب تبلورت معالم المشروع الإسلامي المستقبل الهندي : دولة اتحادية ، متعددة القوميات ، تتميز قومياتها حضاريا .. ومن ثم تتميز في القرانيين .. رفض الديمقراطية الغربية ، لا لأنها سلطة الأغلبية ؛ وإنما لثبات الأغلبية الهندوسية - التي ستظل دائماً أغلبية - ٧٥٪ من السكان - ولثبات الأقلية المسلمة - التي ستظل دائماً أقلية - ٢٥٪ - فواقع الهند غير صالح لتطبيق الديمقراطية الغربية .. ورفض العلمانية الغربية ؛ لأن الإسلام دين ودولة .. وإذا كانت العلمانية تجعل كل الحكمية للشعب ، فإن حاكمة الله ، في الإسلام ، هي الحاكمة على سلطان البشر أجمعين ! .

وعندما انتهت الأحداث بالهند إلى التقسيم - إلى هند وباكستان سنة [١٣٦٦ھ = ١٩٤٧م] - قيل المودودي واقع التقسيم ، وواصل جهاده في باكستان .

ورغم وضوح أفكار المودودي السياسية ، إلا أن كثیراً من الأفراد والحركات قد أساءت فهمها ، أو فهم بعض منها ، إما لاجتزاء بعض من نصوصه ، دون البعض الآخر .. وإما للوقوف عند بعض عباراته « الإثارية » التي جاءت في خطب جماهيرية ذكر فيها على جوانب بعضها دون أخرى .. الأمر الذي أدى إلى أحكام ظالمة على فكره ، لا من خصومه وحدهم ، بل ومن المتشayعين له والمتعصبين لاتجاهه الإسلامي ! .

• فالمودودي - الذي ارتاد في الفكر الإسلامي الحديث - رفع شعار « الحاكمية » وبلور نظرية في « الحاكمية الإلهية » ، يقدم الحاكمية الإلهية على أنها السيادة الإلهية الحاكمة .. سيادة الفعال لما يريد ، الذي لا يسأل عما يفعل .. ويعرف بوجود حاكمية بشرية فيما لا نص فيه ، قطعي الدلالة والثبوت ، وهي المساحة الأوسع في القانون الإسلامي ، الذي يتطور - بالاجتهاد - وفق الزمان والمكان .. وليس صحبيحاً نفي المودودي لسلطة الأمة .. فلها السلطة والحاكمية المحكومة بسيادة الشريعة الإلهية .

ونحن لن نفهم نظرية المودودي في الحاكمية - وهي محور فكره السياسي كله - إذا نحن وقنا فقط عند قوله : « إن أي شخص أو جماعة يدعى لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو جزئية .. هو ولاريب سادر في الإفك والزور والبهتان المبين .. فالله حاكم وحده ، بالمعانى السياسية والاجتماعية .. وهو لم يهب

أحداً حق تغيف حكمه في خلقه .. وإن الإنسان لا حظ له من الحاكمة إحلالاً .. وإن الأساس الذي ارتكرت عليه دعامة النظرية السياسية في الإسلام : أن تتربع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر ، منفردين ومجتمعين ، ولا يؤذن لواحد منهم أن ينفذ أمره في بشر فيطبعوه ، أو ليس قانوناً لهم فيقادوا له ويبيعواه . إن وضعية الدولة الإسلامية أنها ليست ديمقراطية .. فإن الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم تكون السلطة فيه للشعب جمیعاً .. وهي ليست من الإسلام في شيء ! ۚ

إننا لن نفهم نظرية المودودي في الحاكمة إذا وقفنا فقط عند هذه العبارة وأمثالها .. ولنما نفهمها إذا جمعنا كل نصوصه في القضية ، لتفسر مجلمل موقفه ، ولنراها في ضوء الملابسات السياسية التي قلت فيها .. فالرجل ، هو أيضاً الذي يقول :

« إنه لا يمكن لأي عاقل أن يعارض الديمقراطية .. إن القضية التي تقلقنا هي أن نظام الحكم في الهند يسير على أساس المؤسسات الديمقراطية ، على افتراض وجود فوهة واحدة .. ولا يجب أن نخلط هنا بين الديمقراطية نفسها وللمؤسسة ذات النوع الجمهوري ، على افتراض وجود القومية الواحدة ، فيبيهما فرق السماء والأرض ، ولا يعني الاختلاف مع واحدة الاختلاف مع الأخرى .. إنه حين يتم تطبيق أصول الحكومة المنبثقة عن الأغلبية في النظام الديمقراطي ؛ فإن هذا

يعني أن المجموعة كبيرة العدد تتولى الحكم .. ويمكن لمبادئ حكومة الأغلبية أن تكون في مكانها الصحيح حين يتم الاتفاق أصلاً في الأمور الأساسية للمواطنين .. فيمكن لأقلية اليوم أن تصبح أغلبية الغد ، ولأكثرية اليوم أن تصبح أقلية الغد .. ولكن اختلاف الأهداف أو الأصول الدينية أو العواطف القومية س يجعل الأغلبية تتطل دائمًا هكذا .. فهي ليست ، إذن الديموقراطية .. بل هي البربرية ! .. إن الإسلام أقر نيابة الشعب واستخلافه عن الله ، في ظل سيادة الله وحاكميته .. ولقد خول في هذه الحكومة لل المسلمين حاكمية شعبية مقيدة .. فالآمة نائبة عن الله ، وهي تنتخب حاكمها ، ونوابها ، وأهل الخل والعقد فيها بطريقة ديمقراطية ، الأمر الذي يجعل الخلافة الإسلامية ديمقراطية .. إن ديمقراطيتنا الإسلامية هي - كديمقراطية الغرب - لا تتألف الحكومة فيها ولا تتغير إلا بالرأي العام . ولكن الفرق بيننا وبينهم : أنهم يحسبون ديمقراطيتهم حرفة مطلقة العنان ، ونحن نعتقد الخلافة الديمقراطية مقيدة بقانون الله **يُحِلُّ** » .

فالرفض للديمقراطية ولحاكمية الآمة إذا كانت الأغلبية كافرة؛ لأنها ستكون حاكمية متحررة من الشريعة .. أما إذا كانت الأغلبية مؤمنة ، ومتقيدة بالشريعة ، فإن حاكميتها هي «**الديمقراطية الإسلامية**» و «**الخلافة الديمقراطية**» التي يدعوا إليها المودودي .

فالنظرية الشاملة لنصوص الرجل ، ورؤيتها في ضوء الواقع الهندي الذي كتبت فيه هو السبيل لفهم حقيقة نظرية الحاكمية الإلهية ، التي صاغها .. والتي أحدثت ولا تزال تحدث الكثير من الجدل في صفوف الإسلاميين وغير المسلمين .

• ولقد حكم المودودي بـ « الكفر » و بـ « الجاهلية » على المجتمعات التي لا تجعل حاكمية الله وقانونه فوق حاكمية البشر وقوائمهن .. قديمة تلك المجتمعات أم حديثة .

• وقدم نقداً عقرياً للنظريات الأساسية التي طبعت فكر الحضارة الغربية الحديث بطابعها نقد فلسفة التاريخ عند هيجل [١٧٧٠ - ١٨٣١ م] .. ومذهب دارون [١٨٠٩ - ١٨٨٢ م] في التطور .. ومذهب ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣ م] في الصراع الطبقي .. وأفاض في المقارنة بين توازن الحضارة الإسلامية ووسطيتها ، وبين افتقاد الحضارة الغربية إلى التوازن والوسطية .

• كذلك اتخذ المودودي من التراث الإسلامي موقفاً نقدياً .. فسلط الأضواء على فكر التجديد والإحياء والأصالة ، ومال إلى رفض الوافد غير الإسلامي ، وخاصة اليوناني منه .. وزكى مواقف العلماء الذين قدموا للبيضة الإسلامية مشاريع متکاملة ، وجاهدوا في سبيل تطبيقها ، دون أن يقفوا فقط عند حدود التفكير والتأليف ^(١) ..

(١) [أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية] لدكتور محمد عماره .
طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م ، و [الحكومة الإسلامية] للمودودي - طبعة =

(٤٥) محمد الغزالى

[١٣٣٥ - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ - ١٩١٧ م]

هو ٠ الفقيه - الداعية المجدد ٠ الشيخ محمد الغزالى السقا ..
مصري المولد ، والنشأة - ولد - لأسرة ريفية فقيرة ومتدينة -
في قرية ٠ نكلا العنب ٠ مركز ٠ إيتاي البارود ٠ محافظة
البحيرة ٠ - بدلنا مصر - يوم السبت [٥ ذي الحجة سنة
١٣٣٥ هـ = ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ م] . ولقد اختار له والده
اسم ٠ محمد الغزالى ٠ تيمناً بحجج الإسلام ٠ أبو حامد
الغزالى ٠ - لترعنة صوفية لدى الوالد .

وكان الشيخ الغزالى أكبر إخوه - السبعة - . ولقد نشأ
وأنسأته الفقيرة تعلق عليه الآمال . ولقد أتم حفظه القرآن الكريم
وهو في العاشرة من عمره ، والتحق - طالباً للعلم الإسلامي -
بالمعهد الديني - التابع للأزهر الشريف - بمدينة الإسكندرية .
فحصل على شهادة ٠ الابتدائية ٠ سنة [١٩٣٢ م] . ومن
نفس المعهد - القسم الثانوى - حصل على الشهادة الثانوية
الأزهرية سنة [١٩٣٧ م] ..

وفي سنة [١٩٣٧ م] التحق بالتعليم العالى الأزهري -
كلية ٠ أصول الدين ٠ بالقاهرة - وفيها تلقى العلم على كوكبة

= القاهرة سنة ١٩٧٧ م [نظرية الإسلام وعديمة في السياسة والقانون] طبعة
بيروت سنة ١٩٦٩ م .

من كبار العلماء ، منهم الشيخ عبد العظيم الزرقاني .. والإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .. وتخرج من «أصول الدين» ، فنال شهادة «العالمية» سنة [١٩٤١م] .. كما حصل - من نفس الكلية - على إجازة الدعوة والإرشاد سنة [١٩٤٣م] .

وفي نفس العام الذي التحق فيه بكلية أصول الدين سنة [١٩٣٧م] - التقى برشد جماعة الإخوان المسلمين ، الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] وأصبح عضواً بالجماعة ، فبدأت بذلك أهم تحولات حياته الفكرية والعملية .

ولقد ترور الشيخ الغزالي ، وهو لا يزال طالباً بكلية أصول الدين ، وأنجب من الأولاد تسعة .. يحيى منهم ولدان - ضياء .. وعلاء - وخمس سيدات .

كما بدأت ممارسته للدعوة الإسلامية أثناء طلبه العلم بكلية أصول الدين ، عندما عمل إماماً وخطيباً بأحد مساجد القاهرة .. فلما نال شهادة العالمية سنة [١٩٤١م] ، عين - في العام الثاني سنة [١٩٤٢م] - بوزارة الأوقاف - إماماً وخطيباً بمسجد «العتبة الحضراء» - بوسط القاهرة .. ولقد تدرج في مناصب الدعوة والوعظ والإرشاد ، بوزارة الأوقاف المصرية ، فتولى التفتيش بالمساجد .. والوعظ بالأزهر الشريف .. ووكيلاً ، فميديراً للمساجد .. فميديراً للتدريب .. فميديراً للدعوة والإرشاد في [٢ يوليو سنة ١٩٧١م] .. فوكيلاً لوزارة

الأوقاف ، لشئون الدعوة الإسلامية في [٨ مارس سنة ١٩٨١ م] . ولقد تفتحت مواهبه الأدبية والفكرية على يدي الشيخ حسن البنا وفي صحفة الإخوان - التي أصبح من كتابها - حتى أطلق عليه لقب «أديب الدعوة» .. وكتب إليه الأستاذ البنا خطاباً في سنة [١٩٤٥ م] - يقول له فيه : « أخي العزيز الشيخ محمد الغزالي .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . قرأت مقالتك «الإخوان المسلمون والأحزاب» في العدد الأخير من مجلة «الإخوان» ، فطرحت لعبارته الجزلة ومعانبه الدقيقة ، وأدبها العف الرصين .

هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان المسلمين . اكتب دائمًا ، وروح القدس يؤيدك ، والله معك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . حسن البنا » .

ولقد تحمل الشيخ الغزالي نصيبيه من المحن والمكاره التي أصابت جماعة الإخوان المسلمين .. فقضى في معتقل «الطور» - بشبة جزيرة سيناء - قرابة العام سنة [١٩٤٩ م] .. وأقل من عام في سجن «طره» إبان التحقيقات مع الشهيد سيد قطب سنة [١٩٦٥ م] ..

ومنا شارك في «المؤتمر الوطني للقوى الشعبية» سنة [١٩٦٢ م] ، كانت له مواقف أثارت ضده حملة صحفية قادها عدد من الصحفيين الليبراليين واليساريين ، وانتصرت له فيها جماهير المساجد .. وكان يخطب الجمعة بمسجد عمرو

ابن العاص ، فتحتشد لسماعه عشرات الآلاف .. وعندما كانت تثير انتقاداته الدولة ، ففهم بقيود حريته ، كانت تتحرك لنصرته مظاهرات جماهير المساجد .. وفي سنة [١٩٧٤ م] كان له - هو والشيخ محمد أبو زهرة - موقف معارض للتعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية - فكان يرى أن مشكلة مصر هي في عجز شبابها عن تكاليف الزواج ، وليس المشكلة في تعدد الزوجات - فضاقت الدولة بمعارضته ، ومحنته من الخطابة بجامع عمرو بن العاص ، وسجروا منه اختصاصاته في وظائف الدعوة ، حتى لقد ألغوا المنصب الذي كان يشغلة - مدير عام الدعوة - ! فوجد نفسه على « حصیر » دون مكتب في « سدرة » ملحقة بمسجد صلاح الدين - بالقاهرة - فجلس على « حصیر » يستغل بالتأليف ! .

ولما أحسن باقتراح المخاطر منه ، إبان التحقيقات مع صالح سرية - المتهم الأول فيما عرف بقضية « الفتنة العسكرية » - الذي ذكر أنه زار الشيخ الغزالى مرة ! - سعى إلى الخروج من مصر ، فسافر إلى المملكة العربية السعودية ، أستاذًا بجامعة أم القرى - بجدة المكرمة - فأمضى بالجامعات السعودية ما بين سنة [١٩٧٤ م وسنة ١٩٨١ م] .. وفي سنة [١٩٨١ م] - الذي رقى فيه إلى منصب وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة - قدم استقالته من الوزارة ، عندما اختلف مع سياسة الدولة في الصلح مع إسرائيل .

وكان تعرف الشيخ الغزالى على الواقع العربي والإسلامي ،

خارج مصر ، قد بدأ مبكراً .. ففي سنة [١٩٥٢ - ١٩٥٣] شغل وظيفة رئيس ١ التكية المصرية ١ بمحكمة المكرمة .. وفي الأعوام من سنة [١٩٦٨ م إلى سنة ١٩٧٣ م] أمضى شهر رمضان في دول الكويت وقطر والسودان والمغرب - وشارك في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر - بانتظام - سنوياً - منذ سنة [١٩٨٠ م] .. وعمل في قطر - أستاذًا زائراً - ما بين سنة [١٩٨٢ م وسنة ١٩٨٥ م] .. وعاش بالجزائر ما بين سنة [١٩٨٥ م وسنة ١٩٨٨ م] .. منشأة ورعايتها لجامعةها الإسلامية - جامعة الأمير عبد القادر ، ومشاركة على مجلسها العلمي .. وعلى امتداد هذه الأعوام الخمسة عشر [١٩٧٤ - ١٩٨٨ م] ، عاش واقع الأمة ، واستوعب مشكلاتها ، وأعطى لجماهيرها ، وغداً أبرز فقهاء الدعوة والتجديد والأصالة والاستنارة على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام .

ولقد امتلك الشيخ الغزالي حرية المفكر واستقلالية المجدد منذ بداية عقد الخمسينيات ، عندما استقل عن تنظيم جماعة الإخوان المسلمين - خلافه مع مرشدتها العام الأستاذ حسن الهضيبي - فكان تفرغه للدعوة والتأليف .. وظل محافظاً على استقلالية الفكر حتى بعد أن عادت المؤدة والتعاون والعلاقات مع جماعة الإخوان في سنوات عمره الأخيرة .

* * *

وإذا كان الشيخ الغزالي قد تعلم على حسن البناء ، الذي

تتلمذ على رشيد رضا ، تلميذ محمد عبده ، أئدب تلاميذ جمال الدين الأفغاني .. فلقد حدد الشيخ الغزالى منهاج هذه المدرسة التي ينتهي إليها مشروعه الفكرى التجددى - في معرض حديثه عن مدارس الفكر الإسلامى - «مدرسة الرأى» .. والأثر .. والموازنة بينهما - كما هو الحال عند ابن تيمية - مع ميل للأثر .. ومدرسة الاختيار الشخصى والتيسير بين وجهات النظر المختلفة - حدد منهاج مدرسته ، التي وازنت بين «الرأى» و «الأثر» على نحو متميز عن موازنته مدرسة ابن تيمية ، وذلك «ببروبيجها للعقل ، وتقديم دليله ، واعتبارها العقل أصلًا للنقل . وهي تقدم الكتاب على السنة ، وتحجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الأحادى . وهي ترفض مبدأ النسخ ، وتذكر إنكاراً حاسماً أن يكون في القرآن نص انتهى أمهه . وترى المذهبية فكرًا إسلاميًّا قد يتسع به ، ولكنَّه غير ملزم ، ومن ثم فهي تناهى التقليد المذهبى ، وتحترم علم الأئمة ، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية ، ولا تلقي بالأى إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة »^(١) .

فهو علم ، متميز من أعمال هذه المدرسة التي تميزت اجتهادات وتجددات أعمالها في هذا الإطار .

ولقد كان الشيخ الغزالى يوجز الحديث عن الإسلام عندما

(١) [دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين] ص ٦٩ - ٧٧ طبعة دار الوفاء - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

يقول : إنه « قلب تقي » و « عقل ذكي » ا معتبرا ، بذلك عن منهج الوسطية الإسلامية الجامع ، في مصادر المعرفة بين كتابي الله : كتاب الوحي المسطور ، و كتاب الكون المنظور .. وفي سبل المعرفة ، بين العقل والنفل التجربة والتجاذب .. ولذلك كان عطاء الشيخ الغزالي في « القدوة » منافتا لعطائه في « الفكر » كما برى مشروعه الفكري من الفحش بين العقل والقلب ، وامتزجت فيه الرؤية المشكّلات الأمة والإنسانية ، والماضي والحاضر والمستقبل جمِيعا .

- ففي مواجهة الاستبداد المالي والظالم الاجتماعي ، قدم : عدالة الإسلام ، في العديد من الآثار الفكرية .. مثل : [الإسلام والأوضاع الاقتصادية] ، و [الإسلام وانماهض الاشتراكية] ، و [الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين] ، و [الإسلام في وجه الزحف الأحمر] إلخ ..

- وفي مواجهة الاستبداد السياسي ، دافع عن الشورى الإسلامية ، في كتبه : [الإسلام والاستبداد السياسي] ، و [حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة] .. إلخ .

- وفي مواجهة الهيمنة الغربية وتيارات العلمانية والمادية والإلحاد والتغريب ، قدم : [من هنا نعلم] ، و [دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين] ، و [الغزو الثقافي يمتد في فراغنا] ، و [مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف تفكير فيه] ، و [صيحة تحذير من دعاة التنصير] إلخ .

- وفي مواجهة الجمود والحرفية والتقليد ، قدم : [دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين] ، و [تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل] ، و [قضايا المرأة بين التقاليد الراکدة والواهدة] ، و [المسنة التبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث] إلخ .

- ولتجديد الذات الإسلامية ، قدم عشرات الكتب ، من مثل : [خلق المسلم] و [عقيدة المسلم] و [جدد حياتك] و [فقه السيرة] و [كيف تفهم الإسلام ؟] و [الجانب العاطفي من الإسلام] و [سر تأثير العرب والمسلمين] إلخ ..

中 中 古

ولقد كانت رسالة الشيخ الغزالى ، في حياته الفكرية والدعوية والعلمية والعملية هي إحياء الأمة بالإسلام ، وتحريكها ببطاقاته الإحيائية .. فالجهاد الأول المطلوب هو تحريك قافلة الإسلام ، التي توقفت في وقت تقدم فيه حتى عبيد البر ! .. وسوف تلاشى التحديات التي تواجهنا يوم يعتنق المسلمين الإسلام ، ويدخلون فيه أفراجا ، حكاما وشعريا ! ^(١) .

وكان داعية لتحرير العقل الإسلامي من قيود الحمود والتقليد، وذلك بالتمييز بين مصادر الإسلام المعصومة وبين الفكر الإسلامي غير المعصوم، ورفض الادعاء بأن الأولين لم

(١) [دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين] ص ١٩ ، و [ظموم داعية] ص ١٧ طبعة سنة ١٩٨٣ م.

يدعوا للآخرين مجالاً في الاجتهد والتجدد « فالإسلام هو صائع الأئمة المحتهدين » وهم لم يصوغوه .. ومصادر الإسلام معصومة ؛ لأنها من عند الله ، ولكن التفكير فيها والاستباط منها غير معصوم ؛ لأنه من عند الناس .. والأئمة الأوليائ كانوا رواذاً في تأسيس الفقه الإسلامي ، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير ، ولعل من يجيء بعده يكون أقدر على التنظيم والمراجعة والموازنة والاختيار .. ^(١) .

وكان يرى أن صلاح دنيا الناس ، بالعدالة الاجتماعية ، شرط لصلاح قلوبهم بدين الإسلام .. فعدالة الإسلام هي الطريق إلى فضائل الإسلام ونقوي القلوب .. « إذ من العسير أن تملأ قلب إنسان بالهدى ؛ إذا كانت معدته خالية ! .. أو أن تكسوه بلباس التقوى ، إذا كان جسده عارياً ! .. فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع ، والإصلاح العمراني الشامل ، إذا كما مخلصين حقاً في محاربة الرذائل باسم الدين ، أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين ! » ^(٢) .

وكان يدعو - في فهم المصدر الأول للإسلام : القرآن الكريم - إلى تدبر محاوره الجامدة : التوحيد ، الذي هو قانون الوجود ونظام الحياة ، وطريق تحرير الإنسان وملكياته من

(١) [دستور الوحدة الثقافية] ص ٨٥ - ٩٣ .

(٢) [الإسلام والأوضاع الاقتصادية] ص ٦١ ، ٦٢ . طبعة سنة ١٩٨٧ م .

العبودية للطواغيت .. وآيات الله الكونية ، المثبتة في الأنفس والآفاق ، والتي على تعقلها ترتفع أركان الدين وأعلام الإيمان .. والقصص القرآني ، كأدلة للتربية والتزكية ، ومعالم على طريق الاعتقاد الديني .. ونبأ الغيب والبعث والجزاء ، ودوره في بناء الأخلاق .. والتربية والتشريع ، لصلاح الدنيا ، الذي يتأسس عليه صلاح يوم الدين .. ^(١) .

وكان مدافعاً عن سنته رسول الله ﷺ ، فهي مع القرآن « قوام الإسلام ، وهي الامتداد لسنا القرآن ، والتفسير لمعناه ، والتحقيق لأهدافه ووصايته .. وكما أنه لا فقه إلا سنته ، فلا سنة بغير فقه .. والحكم الديني لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره ، وإنما يضم الحديث إلى الحديث ، ثم تقارن الأحاديث المجموعة بما يدل عليه القرآن الكريم ، فإن القرآن هو الإطار الذي تعمل الأحاديث في تعاقده لا تعدوه .. والأحكام في الأحاديث الصحيحة مأخوذة ومستبطة من القرآن ، استبطها النبي ﷺ ، من القرآن بتأييد إلهي وبيان رباني » فهي بيان نبوى للبلاغ القرآني ، وإرادة من الله لنبيه ليفصل ما أجمله القرآن ^(٢) .

(١) [المخاور الخمسة للقرآن الكريم] طبعة سنة ١٩٩٤ م .

(٢) [دستور الوحدة الثقافية] ص ٣٢، ٣٤، ٣٦ - ٣٨ . و [السنة التبرية بين أهل الفقه وأهل الحديث] ص ١١٨، ١١٩ طبعة سنة ١٩٨٩ م ، و [هذا ديننا] ص ١٩٧ طبعة سنة ١٩٦٥ م .

ولقد عاش الشيخ الغزالي حياته وقلبه معلق بالمساجد -
وكان حلم حياته - الذي حققه عندما كان مسؤولاً عن الدعوة
بوزارة الأوقاف - أن تصبح المساجد جامعات إسلامية حرة
لشباب الأمة وجماهيرها ، تلقى فيها الدروس المنظمة في علوم
الدين والحضارة الإسلامية .. حتى لقد كانت آخر الأوراق التي
كتبها إلى الندوة التي عقدت بجامعة الأزهر - يوم ٥ مارس
سنة ١٩٩٦ م - حول المساجد والدعوة الإسلامية - والتي
حال سفره دون حضوره لها - كانت بثانية ٤ الوصية ٤ التي
كتبها ، لتحويل المساجد إلى جامعات الثقافة الإسلامية - ولقد
اتخذتها ٤ الندوة ٤ توصيات لمداولاتها .. وكان ذلك قبل وفاته
بأربعة أيام ! ..

ولقد شرفت بعضوية الشيخ الغزالي العديد من الجامعات
الفكرية والمؤسسات العلمية - من مثل : ٤ مجمع البحوث
الإسلامية ٤ بالأزهر الشريف .. و ٤ الجمعي الملكي لبحوث
الحضارة الإسلامية ٤ بالأردن و ٤ المعهد العالمي للفكر
الإسلامي ٤ بواسطنطون ، و ٤ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ٤ -
بالكويت - إلخ إلخ ..

كما حصل على العديد من الأوسمة والجوائز .. من مثل :
١ - وسام الأمير - وهو أعلى وسام بالجزائر سنة ١٩٨٨ م .

- ٢ - جائزة الملك فيصل العالمية - لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٩ م .
- ٣ - جائز الامتياز - من باكستان سنة ١٩٩١ م .
- ٤ - جائزة الدولة التقديرية - من مصر سنة ١٩٩١ م .
- ٥ - جائزة على وعثمان حافظ - المفكر العام -
سنة ١٩٩١ م .

* * *

ولقد عاد الشيخ الغزالى للإقامة الدائمة بمصر - في منزله رقم ١٠ بيدان الدكتور سليمان - بحي الدفي - بالقاهرة - منذ سنة [١٩٨٨] .. وكانت أسفاره إسهاماً في الملتقيات العلمية وال الفكرية .. وكان من أواخرها رحلته إلى الأمم المتحدة - حيث خطب في عيدها الخمسين ، مثلاً للأزهر الشريف سنة [١٩٩٦] .. وأمضى بين مسلمي أمريكا - في تلك الرحلة ثلاثة أسابيع .

وبعد أسبوع من عودته سافر إلى المملكة العربية السعودية ، للمشاركة في المهرجان الوطني للثقافة - الجنادرية - حيث لبى نداء ربه ، فصعدت روحه إلى بارئها - في قاعة الملك فيصل ، والقلم في يده يدلون تقاطعاً للدفاع عن الإسلام ، مساء يوم الجمعة [١٧ شوال سنة ١٤١٦ هـ = ٩ مارس سنة ١٩٩٦] .. ليُدفن « بالبقيع » في المدينة المنورة ، عاصمة

النبوة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

* * *

مؤلفات الشيخ الغزالى :

- ١ - الإسلام والأوضاع الاقتصادية . طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٦ م .
- ٢ - الإسلام والمناهج الاشتراكية .
- ٣ - الإسلام والاستبداد السياسي .
- ٤ - الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٧ م .
- ٥ - من هنا نعلم . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٦ - تأملات في الدين والحياة . طبعة دار الدعوة - الإسكندرية - سنة ١٤١٢ هـ = سنة ١٩٩٢ م .
- ٧ - خلق المسلم . طبعة دار الدعوة سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .
- ٨ - عقيدة المسلم . طبعة دار الدعوة سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .
- ٩ - التعصب والتسامح .
- ١٠ - فقه السيرة . طبعة دار الدعوة سنة ١٩٨٨ م .

- ١١ - في موكب الدعوة .
- ١٢ - ظلام من الغرب .
- ١٣ - جدد حياتك . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ١٤ - ليس من الإسلام .
- ١٥ - من معالم الحق .
- ١٦ - كيف تفهم الإسلام . طبعة دار الدعوة سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .
- ١٧ - الاستعمار أحقاد وأطماع .
- ١٨ - نظرات في القرآن . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ١٩ - مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة .
- ٢٠ - معركة المصحف . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٢١ - كفاح دين . طبعة مكتبة وحدة - القاهرة سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .
- ٢٢ - الإسلام والطاقات المعطلة .
- ٢٣ - حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة . طبعة دار الدعوة سنة ١٤١٣ هـ = سنة ١٩٩٣ م .
- ٢٤ - هذا ديننا . طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

- ٢٥ - حقيقة القومية العربية وأسطورة البحث العربي .
- ٢٦ - الجانب العاطفي من الإسلام .
- ٢٧ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين .
طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٢٨ - ركائز الإيمان بين العقل والقلب . طبعة مكتبة وهبة
سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .
- ٢٩ - حصاد الغرور . طبعة مكتبة وهبة سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦
م .
- ٣٠ - الإسلام في وجه الزحف الأحمر .
- ٣١ - قذائف الحق .
- ٣٢ - الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر . طبعة
مكتبة وهبة سنة ١٤١٠ هـ = سنة ١٩٩٠ م .
- ٣٣ - فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء . طبعة دار
الاعتصام - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- ٣٤ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين . طبعة دار
الوفاء - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م .
- ٣٥ - واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر .
- ٣٦ - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية . طبعة نهضة
مصر سنة ١٩٩٦ م .

- ٣٧ - هموم داعية . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٣٨ - مائة سؤال في الإسلام . طبعة دار ثابت . القاهرة سنة ١٩٨١ م .
- = ٣٩ - علل وأدوية . طبعة دار الدعوة سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .
- ٤٠ - مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف تفكير فيه .
طبعه الأردن - عمان سنة ١٩٨٤ م .
- ٤١ - قصة حياة .
- ٤٢ - سر تأخر العرب وال المسلمين . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٤٣ - الطريق من هنا .
- ٤٤ - جهاد الدعوة بين عجز الداخل و كيد الخارج .
- ٤٥ - الحق المُر . ج ١ - ج ٥ . طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦ م .
- ٤٦ - من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث .
- ٤٧ - الغزو الثقافي يمتد في فراغنا . طبعة الأردن - عمان سنة ١٩٨٥ م .
- ٤٨ - المخاور الخمسة للقرآن الكريم . طبعة دار الصحوة ودار الوفاء - القاهرة سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م .

- ٤٩ - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث . طبعة دار الشروق سنة ١٩٩٦ م .
- ٥٠ - قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافية . طبعة دار الشروق سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .
- ٥١ - تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل . طبعة دار الشروق سنة ١٩٩١ م = سنة ١٤١١ هـ .
- ٥٢ - كيف نتعامل مع القرآن الكريم . طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي . وامتنعون سنة ١٤١٢ هـ = سنة ١٩٩٢ م .
- ٥٣ - صيحة تحذير من دعاة التنصير . طبعة دار الصحوة .
- ٥٤ - نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم . طبعة دار الشروق سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م .
- ٥٥ - كنوز من السنة .

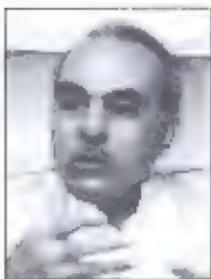
مراجع - عن الشيخ محمد الغزالى - غير مؤلفاته :

- ١ - دكتور محمد عمارة [الشيخ محمد الغزالى الموقع الفكري . والمعارك الفكرية] طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .
- ٢ - دكتور يوسف القرضاوى [الشيخ الغزالى كما عرفته .. رحلة نصف قرن] طبعة دار الوفاء سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م .

- ٣ - محمد شلبي [الشیخ الغزالی و معرکة المصحف فی العالم الاسلامي] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م .
- ٤ - د. أحمد حجازي السقا [دفع الشبهات عن الشیخ محمد الغزالی] طبعة القاهرة .
- ٥ - د. عامر النجار [نظرات فی فکر الغزالی] طبعة القاهرة .

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف



- د. محمد عمارة مصطفى عمارة .
- مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق
وعضو «مجمع البحوث الإسلامية»
بالأزهر الشريف .
- ولد بريف مصر ببلدة «صروة»، مركز «قلين»، محافظة
«كفر الشيخ» في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠هـ - ٨ ديسمبر
سنة ١٩٣١م في أسرة ميسورة الحال مادياً، تُحترف الزراعة؛
وملتزمة دينياً .
- قبل مولده، كان والده قد نذر لله إذا جاء المولود ذكراً،
أن يسميه محمداً، وأن يهب للعلم الديني أي أن يطلب العلم
في الأزهر الشريف .
- حفظ القرآن وجوده بـ «كتاب القرية مع تلقي العلوم
المدنية الأولية بمدرسة القرية مرحلة التعليم الإلزامي» .
- في سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م التحق «معهد دسوق
الديني الابتدائي التابع للمجتمع الأزهر الشريف»، ومنه حصل
على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

• وفي المرحلة الابتدائية النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية ، والערבية الإسلامية ، والأدبية ، والثقافية ، فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر ، والقضية الفلسطينية - بالخطابة في المساجد والكتابة نثراً وشعراً ، وكان أول مقال نشرته له صحيفة [مصر الفتاة] بعنوان « جهاد » عن فلسطين في إبريل سنة ١٩٤٨م وتطور للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين .

• في سنة ١٩٤٩م ، التحق بمعهد صناعة الأحمدى الديني الثانوي « التابع للجامع الأزهر الشريف ، ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣هـ - سنة ١٩٥٤م .

• وواصل في مرحلة الدراسة الثانوية اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية ، ونشر شعراً ونثراً في صحف ومجلات [مصر الفتاة] و [منير الشرق] و [المصري] و [الكاتب] وتطور للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م .

• في سنة ١٣٧٤هـ سنة ١٩٥٤م التحق « بكلية دار العلوم » جامعة القاهرة ، ومنها تخرج ، ونال درجة « الليسانس » في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ولقد تأخر

تخرجه بسبب نشاطه السياسي إلى سنة ١٩٦٥ م بدلاً من سنة ١٩٥٨ م .

● وتوacial في مرحلة الدراسة الجامعية نشاطه الوطني والأدبي والثقافي فشارك في «المقاومة الشعبية» ، عنطقة قناة السويس ، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

● ونشر المقالات في صحيفة [المساء] المصرية ومجلة [الآداب] ال بيروتية ، وألف ونشر أول كتابه عن [القومية العربية] سنة ١٩٥٨ م .

● بعد التخرج من الجامعة ، أعطى كل وقته تقريرًا وجميع جهده لمشروعه الفكري ، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة : رفاعة رافع الطهطاوي ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وعلي مبارك ، وفاسن أمين . وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامية من مثل الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا ، والشيخ محمد الغزالى ، وعمر مكرم ، ومصطفى كامل ، وخير الدين التونسي ، ورشيد رضا ، وعبد الحميد بن ياديس ، ومحمد الخضر حسين ، وأبو الأعلى المودودي ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، والشيخ محمد شلتوت إلخ .

● ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو ذر الغفاري ، وأسماء بنت أبي بكر . كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة . وعن أعلامتراث الإسلامي ، من مثل : غيلان الدمشقي ، والحسن البصري ، وعمرو بن عبيد ، والنفس الزركية - محمد بن الحسن - وعلي بن محمد ، والماوردي ، وأبن رشد (الحفيد) ، والعز ابن عبد السلام إلخ .

● وتناولت كتبه - التي تجاوزت المائة - السمات المميزة للحضارة الإسلامية ، والمشروع الحضاري الإسلامي ، والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية ، وتيارات العلمنة والتغريب ، وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي ، والعقلانية الإسلامية . وحاور وناظر العديد من أصحاب المشارع الفكرية الواقفة . وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي القديم منه وال الحديث .

● وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري ، حصل من كلية دار العلوم في العلوم الإسلامية تخصص الفلسفة الإسلامية على الماجستير سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، بأطروحة عن [المعرلة ومشكلة الحرية الإنسانية] وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، بأطروحة عن [الإسلام وفلسفة الحكم] .

• أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجها كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية العامة ، مثل : [الموسوعة السياسية] و [موسوعة الحضارة العربية] و [موسوعة الشروق] و [موسوعة المفاهيم الإسلامية] إلخ .

• نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية ، منها : « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » بمصر ، و « المعهد العالمي للفكر الإسلامي » بواشنطن ، و « مركز الدراسات الحضارية » بمصر ، و « المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية » مؤسسة آل البيت - بالأردن و « مجمع البحث الإسلامي » بالأزهر الشريف .

• حصل على عدد من الجوائز ، والأوسمة ، والشهادات التقديرية ، والدروع ، منها : « جائزة جمعية أصدقاء الكتاب » بلبنان سنة ١٩٧٢م ، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦م ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بمصر سنة ١٩٧٦م ، وجائزة علي وعثمان حافظ لمفكر العام سنة ١٩٩٣م ، وجائزة المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سنة ١٩٩٧م ، ووسام التيار الفكري الإسلامي - القائد المؤسس سنة ١٩٩٨م .

- جاوزت أعماله الفكرية تأليفاً وتحقيقاً المائة كتاب ، وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات .
- ترجمت العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية من مثل التركية ، والمالاوية ، والفارسية ، والأوردية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والإسبانية ، والألمانية ، والألبانية .
- ثبت بأعماله الفكرية :
 - ١ - تأليف :
 - ١ - معالم النهج الإسلامي - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
 - ٢ - الإسلام والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
 - ٣ - نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
 - ٤ - معارك العرب ضد الغزاة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
 - ٥ - الغارة الجديدة على الإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .

- ٦ - جمال الدين الأفغاني يبين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٧ - الشيخ محمد الغزالى الموضع الفكري والمعارك الفكرية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
- ٨ - الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٩ - التراث والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٠ - الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف في إطار الوحدة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١١ - الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٢ - الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا إسلامية الدولة والمدنية والقانون - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .
- ١٣ - الإسلام والسياسة : الرد على شبّهات العلمانيين - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٤ - الإسلام وفلسفة الحكم - دار الشروق - سنة ١٩٩٨ م .
- ١٥ - معركة الإسلام وأصول الحكم - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م .

- ١٦ - الإسلام والفنون الجميلة - دار الشروق -
سنة ١٩٩١ م .
- ١٧ - الإسلام وحقوق الإنسان - دار الشروق -
سنة ١٩٩٨ م .
- ١٨ - الإسلام والثورة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ١٩ - الإسلام والعروبة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٢٠ - الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية -
دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٢١ - هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟ - دار الشروق -
سنة ١٩٨٨ م .
- ٢٢ - سقوط الغلو العلماني - دار الشروق -
سنة ١٩٩٥ م .
- ٢٣ - الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟ - دار الشروق -
سنة ١٩٩٧ م .
- ٢٤ - الطريق إلى اليقظة الإسلامية - دار الشروق -
سنة ١٩٩٠ م .
- ٢٥ - تيارات الفكر الإسلامي - دار الشروق -
سنة ١٩٩٧ م .

- ٢٦ - الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري
دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٧ - المعتلة ومشكلة الحرية الإنسانية - دار الشروق
سنة ١٩٨٨ م.
- ٢٨ - عندما أصبحت مصر عربية إسلامية - دار الشروق
سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٩ - العرب والتحدي - دار الشروق - سنة ١٩٩١ م.
- ٣٠ - مسلعون ثوار - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٣١ - التفسير الماركسي للإسلام - دار الشروق
سنة ١٩٩٦ م.
- ٣٢ - الإسلام بين التنوير والتزوير - دار الشروق
سنة ١٩٩٦ م.
- ٣٣ - التيار القومي الإسلامي - دار الشروق
سنة ١٩٩٦ م.
- ٣٤ - الإسلام والأمن الاجتماعي - دار الشروق
سنة ١٩٩٨ م.
- ٣٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام - دار الشروق
سنة ١٩٩٨ م.

- ٣٦ - الجامعة الإسلامية والفكرة القومية - دار الشروق -
سنة ١٩٩٤ م.
- ٣٧ - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة
الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٣ م.
- ٣٨ - عمر بن عبد العزيز - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٣٩ - جمال الدين الأفغاني موقف الشرق - دار الشروق -
سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٠ - محمد عبده تجديد الدنيا بتجديد الدين -
دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤١ - عبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق -
سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٢ - أبو الأعلى المودودي - دار الشروق - سنة ١٩٨٧ م.
- ٤٣ - رفاعة الطهطاوي - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٤ - علي مبارك - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٥ - قاسم أمين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٦ - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - نهضة
مصر - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ٤٧ - القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار -

- ٤٨ - نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
٤٨ - هذا إسلامنا خلاصات الأفكار - دار الوفاء -
سنة ٢٠٠٠ م .
- ٤٩ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٠ - الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥١ - أبو حيان التوحيدى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٢ - ابن رشد بين الغرب والإسلام - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٣ - الانتماء الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٤٥ - التعددية الرؤوية الإسلامية والتحديات الغربية - نهضة
مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٥ - صراع القيم بين الغرب والإسلام - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٦ - الدكتور يوسف القرضاوى المدرسة الفكرية
والمشروع الفكري - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٧ - عندما دخلت مصر في دين الله - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٧ م .

- ٥٨ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٨ م.
- ٥٩ - المنهج العقلي في دراسات العربية - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٠ - التمودج الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦١ - تجديد الدنيا بتجديد الدين - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٢ - الثواب والمتغيرات في فكر البقظة الإسلامية الحديثة -
نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٣ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - نهضة
مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٤ - التقدم والإصلاح بالتشويير الغربي ؟ أم بالتجدد
الإسلامي ؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٥ - الحملة الفرنسية في الميزان - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٦ - الحضارات العالمية : تدافع أم صراع ؟ - نهضة
مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٧ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين - نهضة

- ٦٨ - القدس بين اليهودية والإسلام - نهضة مصر .
سنة ١٩٩٩ م .
- ٦٩ - الأقليات الدينية والقومية : تنوع ووحدة ؟ أم تفتيت
واحتراق ؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٠ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية - نهضة مصر -
سنة ٢٠٠٠ م .
- ٧١ - خطر العولمة على الهوية الثقافية - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٩ م .
- ٧٢ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية -
نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م .
- ٧٣ - بين الغرالي وابن رشد .
- ٧٤ - الدين والدولة والحداثة عند السنهاوري باشا .
- ٧٥ - هل المسلمين أمة واحدة ؟ - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٩ م .
- ٧٦ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام ؟ - نهضة مصر -
سنة ١٩٩٩ م .
- ٧٧ - تحليل الواقع منهج العاهات المزمنة - نهضة مصر -

سنة ١٩٩٩ م .

- ٧٨ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين - نهضة مصر -
سنة ٢٠٠٠ م .
- ٧٩ - من القومية أولاً إلى الإسلام أولاً .
- ٨٠ - التحرير الإسلامي للمرأة - دار الشروق -
سنة ٢٠٠٢ م .
- ٨١ - الظاهرة الإسلامية - اختار الإسلامي - ١٩٩٨ م .
- ٨٢ - الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية -
نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٨٣ - الحوار فريضة إسلامية .
- ٨٤ - إسلاميات السنهروري ياشا .
- ٨٥ - منار الإحياء والتجديد .
- ٨٦ - النص الإسلامي بين الاجتهاد والحمدود والتاريخية -
دار الفكر - دمشق سنة ١٩٩٨ م .
- ٨٧ - أزمة الفكر الإسلامي الحديث - دار الفكر - دمشق
سنة ١٩٩٨ م .
- ٨٨ - المادية والماثالية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف -
سنة ١٩٨٣ م .

- ٨٩ - العطاء الحضاري الإسلامي - دار المعارف
سنة ١٩٩٨ م .
- ٩٠ - إسلامية المعرفة ماذا تعني ؟ - دار المعارف -
سنة ١٩٩٩ م .
- ٩١ - ثورة الزنج - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م .
- ٩٢ - دراسات في الوعي بالتاريخ - دار الوحدة -
سنة ١٩٨٤ م .
- ٩٣ - الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية
للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٩ م .
- ٩٤ - الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية
للدراسات والنشر - سنة ١٩٨٠ م .
- ٩٥ - الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت -
القاهرة - سنة ١٩٨٢ م .
- ٩٦ - فكر التأثير بين العلمانيين والإسلاميين - دار الوفاء -
القاهرة - سنة ١٩٩٥ م .
- ٩٧ - سلامه موسى : اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية ؟ -
دار الوفاء - سنة ١٩٩٥ م .
- ٩٨ - العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية - دار الوفاء -

سنة ١٩٩٧ م .

٩٩ - عالمنا : حضارة أم حضارات ؟ - دار الوفاء -

سنة ١٩٩٧ م .

١٠٠ - الجديد في الخطط الغربية تجاه المسلمين -

دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م .

١٠١ - العلمانية بين الغرب والإسلام - دار الوفاء -

سنة ١٩٩٦ م .

١٠٢ - محمد عبده سيرته وأعماله - دار القدس -

بيروت سنة ١٩٧٨ م .

١٠٣ - نظرية جديدة إلى التراث - دار فتبية - دمشق

سنة ١٩٨٨ م .

١٠٤ - القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب -

دار الفكر - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

١٠٥ - الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت - القاهرة

سنة ١٩٨٢ م .

١٠٦ - الإسلام وضرورة التغير - دار المعارف -

سنة ٢٠٠١ م .

١٠٧ - ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت -

سنة ١٩٨٣ م .

- ١٠٨ - رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة حوار -
دار الكتاب الحديث - بيروت سنة ١٩٨٩ م .
- ١٠٩ - نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة -
القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- ١١٠ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة
الجديدة - سنة ١٩٧٨ م .
- ١١١ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة
الجديدة - سنة ١٩٧٨ م .
- ١١٢ - إسرائيل هل هي سامية؟ - دار الكتاب العربي -
القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- ١١٣ - الإسلام وأصول الحكم دراسات ووثائق - المؤسسة
العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٨٥ م .
- ١١٤ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة
١٩٩٧ م .
- ١١٥ - الاستقلال الحضاري - الهيئة العامة للكتاب -
سنة ١٩٩٣ م .
- ١١٦ - الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت

سنة ١٩٨٤ م .

١١٧ - الإسلام وال الحرب الدينية - دار الوحدة - بيروت
سنة ١٩٨٢ م .

١١٨ - الإسلام والعروبة والعلمانية - دار الوحدة -
سنة ١٩٨١ م .

١١٩ - الفريضة العائمة عرض وحوار وتقسيم - دار الوحدة -
سنة ١٩٨٣ م .

١٢٠ - التراث في ضوء العقل - دار الوحدة -
سنة ١٩٨٤ م .

١٢١ - فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .

١٢٢ - العروبة في العصر الحديث - دار الوحدة -
سنة ١٩٨٤ م .

١٢٣ - الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة -
سنة ١٩٨٤ م .

١٢٤ - أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر - المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .

١٢٥ - في المسألة القبطية : حقائق وأوهام - مكتبة
الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

- ١٢٦ - الإسلام والآخر : من يعترف بمن ؟ ومن ينكر من ؟ -
مكتبة الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .
- ١٢٧ - شبكات وإجابات حول القرآن الكريم - المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - ٢٠٠١ م .
- ١٢٨ - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠١ م .
- ١٢٩ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية - دار الشروق -
سنة ٢٠٠٢ م .
- ١٣٠ - شبكات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام -
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ج ١ ، ٢ ، ٣ سنة
٢٠٠١ م .

ب - دراسة وتحقيق :

- ١٣١ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي - المؤسسة
العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- ١٣٢ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني - المؤسسة
العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٩ م .
- ١٣٣ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - دار الشروق -
القاهرة سنة ١٩٩٣ م .

- ١٣٤ - الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٥ م.
- ١٣٥ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٩ م.
- ١٣٦ - رسائل العدل والتوحيد - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٧ م.
- ١٣٧ - كتاب الأموال لأبي عبد القاسم بن سلام - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٩ م.
- ١٣٨ - رسالة التوحيد للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٩٣ م.
- ١٣٩ - الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ١٤٠ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٩٩ م.
- ١٤١ - التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ لمحمد مختار باشا المصري - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٨٠ م.
- ١٤٢ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان للشيخ

- محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ١٤٣ - السنة والبدعة للشيخ محمد الخضر حسين
نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .

ج - مناظرات :

- ١٤٤ - أزمة العقل العربي - دار الآفاق الدولية - القاهرة
سنة ١٩٩٣ م .
- ١٤٥ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - دار الآفاق
الدولية - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ .
- ١٤٦ - تهافت العلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة
سنة ١٤١٣ هـ .

د - بالاشراك مع آخرين :

- ١٤٧ - الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية - الكويت
سنة ١٩٨٩ م .
- ١٤٨ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر -
بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- ١٤٩ - محمد عبده - المؤسسة العربية للدراسات والنشر -
بيروت سنة ١٩٧٢ م .
- ١٥٠ - عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات

والنشر - بيروت سنة ١٩٧٣ م .

١٥١ - علي بن أبي طالب - المؤسسة العربية للدراسات
والنشر - بيروت سنة ١٩٧٤ م .

١٥٢ - قارعة سبتمبر - مكتبة الشروق - القاهرة
سنة ٢٠٠٢ م .

* * *

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٠٦٢٣

I.S.B.N الترميم الدولي

977-342-239-9

الفهرس

٥	تقديم
١٠	نافع بن الأزرق
١٦	نجدة بن عامر
٢٣	محمد ابن الحنفية
٢٨	الجعد بن درهم
٣٠	غيلان الدمشقي
٣٢	الحسن البصري
٣٨	زيد بن علي
٥٠	الجهنم بن صفوان
٥٢	عمرو بن عبيد
٦٦	النفس الزركية
٦٩	القاسم الرئيسي
٧٣	الكندي - الفيلسوف
٧٦	علي بن محمد
٧٨	يعقوب بن الحسين
٨٣	الصاحب بن عباد
٨٧	الباقلاني
٨٩	القاضي عبد الجبار
٩١	الشريف المزني
٩٣	البيروني
٩٦	الماوردي
٩٨	أبو يعلى الفراء
١٠٠	أمام الحرمين الجوزي

١٠٣	الشهرستاني
١٠٦	البيهقي
١٠٨	ابن رشد
١٢٠	ابن عربي
١٢٨	العز بن عبد السلام
١٣١	ابن تيمية
١٣٥	ابن الوزير
١٣٩	ابن المُرْتَضَى
١٤٤	ابن عبد الوهاب
١٤٧	عمر مكرم
١٥١	رفاعة الطهطاوي
١٦٣	خير الدين التونسي
١٧١	جمال الدين الأفغاني
١٨٠	عبد الرحمن الكواكبي
١٨٨	محمد عبده
١٩٢	رشيد رضا
١٩٧	ابن باديس
٢٠٠	حسن البنا
٢١٩	الحضر حسن
٢٢٣	أمين الحولي
٢٣١	سيد قطب
٢٣٧	أبو الأعلى المودودي
٢٤٤	محمد الغزالى
٢٦٣	تعريف بالمؤلف
٢٨٥	الفهرس

الكتاب في سطور

اعلام الامة هم المرأة الاكثر تمثيلاً للتاريخها وانجازاتها الحضارية عبر المسيرة التي بدات بظهور الاسلام. ومواصلة لهذه المسيرة يعرض هذا الكتاب ترجمات منفصلة. تتصل بخيط رقيق الاسلوب بحياة وانجازات خمسة وأربعين علماً من اعلام التجديد والاجتهاد في تاريخ الاسلام - من القرن الهجري الاول وحتى العصر الذي نعيش فيه.

هفي صفحات هذا الكتاب يتتابع من الفكر المجدد، فجرتها عبقريات اسلامية. من خلال حياة وفكرة هؤلاء الاعلام، الذين ازدانت بهم - ولا تزال - حضارة الاسلام.

الناشر

دار الالطباعنة والتوزيع والتعميم

المقاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الازهر - مصرب ١٦١ القورية

هاتف : ٣٣٩٤٧٦٥ - ٣٣٩٤٧٦٦ - ٣٣٩٤٧٦٧

فاكس : ٢٤٣٣٧٧٥٦١٩٣

الاسكندرية - هاتف : ٣٩٢٢١٥٥ - فاكس : ٣٩٢٢٢٠٥

www.dar-al-salam.com info@dar-al-salam.com

ISBN : ٩٧٧-٣٤٢-٢٣٩-٩



9 789773 422394